

الْمِنَاهِلُ الْحَسَنَاتُ

فِي دُرُوسِ رَمَضَانَ

تأليف

عبد العزيز محمد السلمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

المناهل الحسان

في

دروس رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَسْبِيحُ مُحَمَّدٍ الْخَيْرِ الرَّؤُوفِ

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي تفرّد بالجلالِ والعظمةِ والعزِّ والكبرياءِ والجمالِ،
وأشكره شكرَ عبدٍ مُعترفٍ بالتقصيرِ عن شكرِ بعضِ ما أولاه من الإنعامِ
والإفضالِ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلَّى الله
عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

فبما أن صيامَ شهر رمضان -الذي هو أحد أركان الإسلام ومبانيه
العظام - فريضةٌ مُحكمةٌ، كتبها الله على المسلمين كما كتبها على الذين من
قبلهم من الأمم السابقة، والأجيال الغابرة تحقيقاً لمصالحهم وتهذيباً
لنفوسهم لينالوا من ثمرة التقوى ما يكون سبباً للفوز برضا ربهم، وحلول دار
المقامة.

وحيث إنني أرى أن الناس في حاجةٍ إلى تبيين أحكام الصيام والزكاة
وصدقة الفطر وصدقة التطوع وقيام رمضان، وأنهم في حاجةٍ إلى ذكر طرفٍ
من آداب تلاوة القرآن ودروسه والحث على قراءته وأحكام المساجد
والاعتكاف، فقد جمعت من كُتب الحديث والفقه ما رأيت أنه تتناسب قراءته

مع عموم الناس، يفهمه الكبير والصغير، وأن يكون جامعاً لكثير من أحكام ما ذكر، ووافياً بالمقصود، وقد اعتنيت حسب قدرتي ومعرفتي بنقل الحكم والدليل أو التعليل أو كليهما، وسميته: "المناهل الحسان في دروس رمضان"، وأسأل الله الحي القيوم أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به نفعاً عاماً من قرأه ومن سمعه. إنه سميعٌ عليمٌ قريبٌ مُجيبٌ، على كل شيءٍ قديرٌ، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد العزيز بن محمد السلطان



الباب الأول: في شهر رمضان

يقول الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

قال ابن كثير على هذه الآية:

"يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة، وأمرًا لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله ﷻ، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة. وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل ما فعله أولئك" انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ (١).

وقد وردت في فضله ومضاعفة أجره أحاديث كثيرة:

﴿ روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مَبَارِكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مِنْ حُرْمٍ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِّمَ» (٢).

﴿ وقال بعض العلماء: "هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان" (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٨٩٩١) وهذا لفظه، والنسائي في سننه (٢١٠٦).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٤٨).

- ❖ وفي الحديث الآخر: «لو يعلم العبادُ ما رمضانُ، لتمنت أمتي أن يكون السنة كلها»^(١).
- ❖ وعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه مرفوعاً: «أتاكم رمضانُ شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فيُنزل الرحمةَ، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاءَ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكتَه، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقيِّ من حُرِم فيه رحمة الله»^(٢).
- ❖ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا دخل شهر رمضان فُتِّحت أبوابُ السماء، وغلقت أبوابُ جهنم، وسُلسلت الشياطينُ»^(٣).
- ❖ ولمسلم: «فُتِّحت أبواب الرحمة»^(٤).
- ❖ ولمسلم أيضاً: «إذا جاء رمضانُ فُتِّحت أبوابُ الجنة، وغلقت أبوابُ النار، وصُفِّدت الشياطينُ»^(٥).
- ❖ وفي رواية: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطينُ ومردة الجنِّ، وغلقت أبوابُ النار، فلم يُفتح منها بابٌ، وفُتِّحت أبوابُ الجنة فلم يُغلق منها بابٌ، وينادي مُنادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كلَّ ليلة»^(٦).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٢٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٨٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [كما في مجمع الزوائد للهيتمي (١٤٢/٣) (٤٧٨٣)، وجامع

المسانيد والسنن لابن كثير (٤/٥٣٦)]، وفي مسند الشاميين (٢٢٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢/١٠٧٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٠٧٩).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢٣٦) وابن ماجه في سننه (١٦٤٢):

♦ وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يُقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحدٌ»^(١) وفي رواية «من دخل فيه شرب، ومن شرب لم يظم أبداً»^(٢).

♦ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان، مُكفَّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتنبَ الكبائر»^(٣).

♦ وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهُم: الصائمُ حتى يُفطر، والإمامُ العادلُ، ودعوةُ المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبوابَ السماء، ويقول الربُّ: "وعزَّتي لأنصركَ ولو بعد حين"» رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه^(٤).

♦ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيَّت أمتي خمسَ خصال في رمضان، لم تُعطها أمةٌ قبلهم: خلوفُ فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكةُ حتى يُفطروا، ويزين الله ﷻ كلَّ يوم جنته، ثم يقول: يُوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى، ويصيروا إِيَّيْكَ، ويُصَفَّد فيه مردةُ الشياطين، فلا يخلُصوا فيه إلى ما كانوا يخلُصون إليه في غيره، ويُغفر لهم في آخر ليلة». قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: «لا، ولكن العامل إنما يوفَّى أجره إذا قضى عمله»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٢٢٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٦/٢٣٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٨٠٤٣)، والترمذي في سننه (٣٥٩٨) وابن ماجه في سننه (١٧٥٢)،

وابن حبان في صحيحه (٧٣٨٧).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٧٩١٧).

♦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: «أمين، آمين، آمين» قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين، آمين، آمين، قال: «إن جبريل آتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين...» الحديث^(١).

♦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أظلكم شهركم هذا، بمحلوفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مرَّ بالمسلمين شهر قطُّ خيرٌ لهم منه، وما مرَّ بالمنافقين شهر قطُّ أشرُّ لهم منه، بمحلوفا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليكتبُ أجره ونوافله، ويكتبُ إصره وشقاءه من قبل أن يدخله، وذلك لأن المؤمن يعدُّ فيه القوة من النفقة للعبادة، ويعدُّ فيه المناقبة ابتغاء غفلات المؤمنين وعوراتهم، فهو غنمٌ للمؤمن يغتنمه الفاجر»^(٢).

♦ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان» رواه الطبراني وغيره^(٣).

♦ وقال عبد العزيز بن مروان: "كان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان: اللهم قد أظلل شهر رمضان، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجدَّ والاجتهاد والقوة والنشاط، وأعدنا فيه من الفتن، ووفقنا فيه ليلية القدر، واجعلها لنا خيراً من ألف شهر"^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٧٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٧٨٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٩٣٩) وهذا لفظه.

(٤) ذكره قوام السنة في الترغيب والترهيب (١٧٨٤) معلقاً، إلا أن هذا الأثر بنحوه مروى مسنداً عن عبد العزيز بن أبي رواد عند الطبراني في الدعاء (٩١٤)، فيظهر أن ما ورد في الترغيب والترهيب لقوام السنة تصحيح، كما تصحف اسمه في المنهاج للحليمي (٢/ ٤٠١) إلى عبد العزيز بن أبي داود، والعلم عند الله تعالى.

◆ وقال معلّى بن الفضل: كانوا يدعون الله ﷻ ستة أشهر أن يُبلّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبّله منهم^(١).

◆ وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: "اللهم سلّمني إلى رمضان، وسلّم لي رمضان، وتسلّمه مني مُتقبلاً"^(٢).

قال الناظم:

عِبَادَةَ سِرٍّ ضِدَّ طَبَعِ مُعْوَدٍ	وَحُذِّ فِي بَيَانِ الصَّوْمِ غَيْرَ مُقْصَرٍ
وَفَطْمٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَالْمُتَعَوِّدِ	وَصَبْرٌ لِفَقْدِ الْإِلْفِ مِنْ حَالَةِ الصَّبَا
لَهُ الصَّوْمُ يَجْزِي غَيْرَ مُخْلِيفِ مَوْعِدِ	فِثْقٌ فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الَّذِي
لِحَامِسٍ أَرَكَانَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ	وَحَافِظٌ عَلَى شَهْرِ الصَّيَامِ فَإِنَّهُ
وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ لِعَبْدِ	تُغْلَقُ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ إِذَا أَتَى
لَأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعْبُدِ	تُزْخَرُ جَنَاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا
عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فُضِّلَتْ فَتُرْتَضَدِ	وَقَدْ خَصَّه اللهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ
وَأَعْظَمَ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ	فَأَرْغَمَ بِأَنْفِ الْقَاطِعِ الشَّهْرَ غَافِلًا
وَصُنَّ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُوهٍ وَمُفْسِدِ	فَقُمْ لَيْلَهُ وَاطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا

اللهم أهل شهرنا علينا بالسلامة والإسلام، والأمن والإيمان، واغفر لنا كل قبيح سلف وكان، وأعتقنا فيه من لفحات النيران، وأعننا على الخير يا كريم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب (١٧٦١).

(٢) ذكره هكذا ابن رجب في لطائف المعارف (ص ١٤٨)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٩) من قوله. قال: كان يحيى بن أبي كثير يدعو حضرة شهر رمضان: "اللهم سلّمني لرمضان، وسلّم لي رمضان، وتسلّمه مني مُتقبلاً"، وروي نحوه من قول مكحول عند الطبراني في الدعاء (٩١٣).

موعظة

عبادَ الله؛ أخرج البخاريُّ في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ»^(١).

عبادَ الله؛ إن هذا الحديثَ على إيجازه ليحتوي على وصيةٍ ثمينةٍ من أبلغ الوصايا وأقيمها وأجلها وأنفعها؛ فقد اشتمل على الأمرِ بحفظِ عُضْوَيْنِ عليهما مدارٌّ عظيمٌ، حقيقين بتعهدهما بالرعاية والاستقامة والرقابة والصيانة، ألا وهما اللسان والفرج، ولا شك أنهما إن أُطلق سراحُهما في الشهواتِ واللذاتِ وطرقِ الغيِّ والفسادِ كانا أصلًا للبلاء والفتنة والشر والهلاك.

وقال ﷺ: «مَنْ وُقِيَ شَرَّ لَقَلْقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ فَقَدْ وَجَبَ لَهُ الْجَنَّةُ» أخرجه منصور الديلمي من حديث أنس رضي الله عنه^(٢)، واللَّقْلُقُ: اللسانُ، القَبْقَبُ: البطنُ، والذَبْذَبُ: الفَرْجُ.

فهذه الشهواتُ بها يهلك أكثرُ الخلقِ، وسئل ﷺ عن أكثر ما يُدخِلُ النَّارَ، فقال: «الأجوفان؛ الفم والفرج»^(٣).

فالعاقلُ من يُبصر مواقعَ الكلامِ، ويحفظُ لسانَه من الفضول والهديان، ولا يتعدَّى بفرجه زوجته وما ملكت يمينه.

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمِتْ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) أخرجه الديلمي كما في الفردوس بمأثور الخطاب (٥٩٧٨)، وأخرجه كذلك البيهقي في شعب الإيمان (٥٠٢٦)، ولفظه: مَنْ وُقِيَ شَرَّ لَقَلْقِهِ وَقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ، فَقَدْ وُقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه في سننه (٤٢٤٦) وهذا لفظه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

إذا فهتَمَ ذلك، فاعلمْ أنَّ زلاتِ اللسانِ عَظيمةٌ، فزَلَّةٌ من زَلَّاتِهِ قد تُؤدِّي بالإنسانِ إلى الهلاكِ والعَطَبِ ومفارقةِ أهلهِ وولديه وأصدقائه وجيرانه، فليحذرِ الإنسانُ مما يجري به لسانُهُ.

وقال ﷺ: «لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتى يستقيمَ لسانُهُ...» الحديث (١).

وعن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ مرفوعاً إلى رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم فإنَّ الأعضاء كُلَّها تُكفِّرُ اللسانَ فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» (٢)، ورُوي أن عمرَ بن الخطاب ﷺ رأى أبا بكرٍ الصديقِ ﷺ وهو يمدُّ لسانَهُ بيده، فقال: ما تصنع يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: إنَّ هذا أوردني المواردَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ليس شيءٌ من الجسدِ إلا يشكو إلى الله اللسانَ على حدِّته» (٣).

وعن ابن مسعودٍ ﷺ، أنه كان على الصِّفا يُلبِّي ويقول: يا لسانُ، قُلْ خيراً تغنمُ، واسكُتْ عن شرِّ تسلَّم من قبل أن تندمَ، ثم قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أكثرُ خطايا ابنِ آدمِ في لسانه» (٤).

وقال ابن عمرٍ ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كَفَّ لسانَهُ سترَ اللهُ ﷻ عورَتَهُ، ومَن مَلَكَ غضبَهُ وقاه اللهُ ﷻ عذابَهُ، ومَن اعتذرَ إلى اللهِ ﷻ قَبْلَ عُذْرِهِ» (٥).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٠٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٠٧).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٩٨٨/٢) (١٢)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٣) وهذا لفظه.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٧/١٠) (١٠٤٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢١).

وقال ﷺ: «أخزَنَ لسانَكَ إلا من خَيْرٍ؛ فإنكَ بذلك تغلبُ الشيطانَ»^(١).

وقال ﷺ: «إذا رأيتَ المؤمنَ صموتًا وقورًا فادنوا منه؛ فإنه يُلقنَ الحكمةَ»^(٢).

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ: «إذا رأيتَ الرجلَ قد أُعطيَ زهدًا في الدنيا وقلةً منطِقٍ، فاقترَبوا منه؛ فإنه يُلقَى الحكمةَ»^(٣).

ولا تحسبن حفظَ اللسانِ قاصرًا على الصمتِ في موضعه أو الكلام، بل يتعدى إلى حفظه من طعامٍ مشبوهِ أو حرامٍ، وإنَّ من المعلوم أن اللسانَ هو الوسيلةُ لمضغِ ما يأكله المرءُ وقذفه في المعدةِ بيتِ الطعامِ ومستقره. فليصنهُ من الزللِ والحرامِ؛ فهو خيرٌ له في عاقبةِ أمره.

وأما حفظُ الفرجِ فبتركِ التعديِّ على أعراضِ الناسِ وحرمتهم، ووضعهُ في الحلالِ في الطرقِ المشروعةِ، وكفُّه عن الزنا والحرامِ، والزنا آفةٌ وبيلةٌ على المجتمعِ الإنسانيِّ، وقد بينَّا مضاره في الجزء الثاني، والله أعلم.

وَحَادِي الْمَوْتِ بِالْأُرْوَاحِ حَادِي
وَلَكِنَّا أَشَدُّ مِنَ الْجَمَادِ
وَمَا نُضْغِي إِلَيْ قَوْلِ الْمُنَادِي
وَلَكِنَّ الذُّنُوبَ إِلَيْ اِزْدِيَادِ
فَلَيْسَ دَوَاؤُهُ غَيْرُ الْحَصَادِ
وَبِالْأُخْرَى مُنَادِيهَا يُنَادِي
سَلَامَكُمُ إِلَيْ يَوْمِ التَّنَادِ

إِلَى كَمْ ذَا التَّرَاخِيِ وَالتَّمَادِي
فَلَوْ كُنَّا جَمَادًا لَاتَعَطَّنَا
تُنَادِينَا الْمَنِيَّةُ كُلَّ وَقْتِ
وَأَنْفَاسُ النُّمُوسِ إِلَيْ انْتِقَاصِ
إِذَا مَا الزَّرْعُ قَارَنَهُ اصْفِرَارُ
كَأَنَّكَ بِالْمَشْيِبِ وَقَدْ تَبَدَّى
وَقَالُوا: قَدْ قَضَى فَاقْرُوا عَلَيْهِ

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠٠٠).

(٢) ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين (٣ / ٦٩) بهذا اللفظ، وهو بمعنى الحديث الآتي.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤١٠١).

آخر:

تَجَافَ عَنِ الدُّنْيَا وَهَوْنٌ لِقَدْرِهَا
 وَسَارِعَ بِتَقْوَى اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً
 وَلَا تَنْسَ شُكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
 فَدَعُ عَنْكَ مَا لَا حَظَّ فِيهِ لِعَاقِلٍ
 وَشَحَّ بِأَبْصَامِ بَقِيَّةِ فَلَائِلِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ العُمَرَ يَمْضِي مُوَلِيًّا
 نَحْوُضٌ وَنَلْهُوَ غَفْلَةً وَجَهَالَةً
 تَوَاصَلْنَا فِيهِ الحَوَادِثُ بِالرَّدَى
 عَجِبْتُ لِنَفْسٍ تُبْصِرَ الحَقَّ بَيِّنًا
 وَتَسْعَى لِمَا فِيهِ عَلَيْهَا مَضْرَّةٌ
 ذُنُوبِي أَخْشَاهَا وَلَسْتُ بِأَيْسٍ
 وَإِنْ كَانَ رَبِّي غَافِرًا ذَنْبَ مَنْ يَشَا

عباد الله؛ إذا حضرتم إلى الصلاة، فأحضروا قلوبكم مع الأبدان، وقوموا
 بين يدي الله ﷻ بخضوع وخشوع وهيبة ووقار واستكانة وتعظيم، ألا فراقبوا
 الله، واعرفوا قدرَ مَنْ قُتِمَ له فعظموه وهابوه، فقد روى بعض أهل العلم في
 قول الله ﷻ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: القنوت: الخشوعُ في الركوع
 والسجود، وغضُّ البصرِ وخفضُ الجناحِ من رهبةِ الله ﷻ.

وكان العلماء إذا قام أحدهم للصلاة هاب أن يتلفت أو يعبث بشيء من
 شؤون الدنيا إلا ناسياً؛ لأنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فعليه أن

يتدبّر ويفهّم ما يتكلّم به من قراءةٍ وتسبيحٍ وتكبيرٍ وتهليلٍ، والمقصود من الركوع والسجود، ويستحضر القيام بين يدي الله ﷻ، وأنه إن لم يكن يرى الله فإن الله يراه.

وكان بعض التابعين إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، ف قيل له: مال لك؟، فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي! (١).

من منّا في قلبه مثل هذا الإجلال والهيبة والتعظيم لبديع السموات والأرض، ولقد بلغنا أن من تعظيمهم الله ولأمره أن أحدهم كان إذا فاتته تكبيرة الإحرام عزّوه بمصيبته، رحمة الله عليهم.

اللهم ثبتّ محبتك في قلوبنا وقوّها، ووفّقنا لشكرك وذكرك، وارزقنا التأهّب والاستعداد للقائك، واجعل ختام صحائفنا كلمة التوحيد، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢١٦ / ٥) بإسناده عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه.

الفصل الأول

في التوبة من المعاصي

اعلم - وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين - أنَّ الذنوبَ حجابٌ عن الله، والانصرافُ عن كل ما يُبعد عن الله واجبٌ، وإنما يتمُّ ذلك بالعلمِ والندمِ والعزمِ، فإنه متى لم يعلم أنَّ الذنوبَ من أسباب البُعدِ عن الله لم يندمَ على الذنوبِ، ولم يتوجع بسبب سلوكه طريقَ البُعدِ، وإذا لم يتوجع لم يرجع، والتوبة: الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، وهي واجبةٌ من كلِّ ذنبٍ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين ربِّه تعالى لا تتعلَّق بحقِّ آدميٍّ، فلها ثلاثة شروط:

❶ الأول: الإقلاعُ عن المعصية التي هو متلبِّسٌ بها، وعلامته مفارقةُ الذنبِ فورًا.

❷ الثاني: الندمُ على فعلها، وعلامته طولُ الحزنِ على ما فات، وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الندمُ توبةٌ»^(١).

❸ الثالث: العزمُ أن لا يعودَ إلى معصيةٍ أبدًا، وعلامته: التداركُ لما فات، وإصلاحُ ما يأتي، فإن كان الماضي تفریطًا في عبادة قضاها، أو مظلمةً أداها، أو خطيئةً لا تُوجب غرامةً حَزَنَ إذ تَعَاطَاها.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٥٢).

فإن فقدَ أحدَ الشرُوطِ الثلاثةِ لم تصحَّ توبتهُ. وإن كانت المعصيةُ تتعلق بأدَمي، فشرُوطُها أربعةٌ، الثلاثةُ الشرُوطُ المذكورةُ.

الرابع: أن يبرأ من حقِّ صاحبِها، فإن كانت مالاً أو نحوَه ردهَ إليه، إن كان موجوداً، أو ردَّ بدله عند تلفه من قيمةٍ أو مثل، وإن كانت حدَّ قذفٍ ونحوَه مكَّنه منه أو طلبَ عفوَه، وإن كانت غيبةً استحلَّه منها، إن كان عاقلاً حليماً، يغلب على الظنُّ أنه إذا جاءه أخوه المسلمُ نادماً تائباً عفا عنه وسامحه، وإلا فليستغفرَ له؛ لما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ كَفَّارَةِ الْغَيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَبَتَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَه»^(١).

وروى البخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبَهُ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٢).

وقد أمر الله تعالى بالتوبة، وبيَّن ما للتائبين من الكرامةِ والأجرِ، فقال: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨].

قال ابنُ القيم رحمته الله: النصُّحُ في التوبة يتضمَّن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميمُ جميعِ الذنوبِ واستغراقُها بها، بحيث لا تدعُ ذنباً إلا تناولته.

(١) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢١٤)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

للَّهِ والثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده ترددٌ، ولا تلومٌ ولا انتظارٌ، بل يجمع عليها كلَّ إرادته وعزيمته مبادراً بها.

للَّهِ الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها؛ لمحض الخوف من خشية الله، والرغبة فيما لديه، والرغبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمة ومنصبه ورياسته، ولحفظ حاله، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس، أو الهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله ﷻ أ.هـ^(١).

وأخبر أنه غفارٌ لذنوب التائبين، فقال عز شأنه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَنْصُرُوا مِنْ خَلْفِهِمْ أَمْعُنْ أَمْعُنْ وَمَنْ يَنْصُرْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ حَافٍ أُولَئِكَ جِزَاءُ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَرُونَ فِيهَا الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وأخبر ﷺ أنه يحبُّ التوابين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» رواه مسلم^(٢).

وقال ﷺ: «والله، إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرة» رواه البخاري^(٣).

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٢/ ٢٧٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

وقال ﷺ: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوبُ إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ، فانفلتت منه وعليها طعامُهُ وشرابُهُ، فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلِّها، قد أيس من راحلته، فيبنا هو كذلك، إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك. أخطأ من شدة الفرح» الحديث رواه مسلم (١).

وقال ﷺ: «إنَّ الله ﷻ يبسط يده بالليلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رواه مسلم (٢).

والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، والإجماعُ مُنْعَقِدٌ على وجوبِ التوبةِ لأمرِ الله ورسوله بها؛ ولأنَّ الذنوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعَدَاتٌ عن الله؛ فيجب الهربُ منها على الفورِ، وليَحْذِرِ الإنسانُ كُلَّ الحذرِ من الذنوبِ الكبائرِ والصغائرِ، ووجوبُ التوبةِ من الكبائرِ أهمُّ وأكْدُ، والإصرارُ على الصغيرةِ أيضًا كبيرةٌ، فلا صغيرةٌ مع الإصرارِ، ولا كبيرةٌ مع التوبةِ والاستغفارِ.

وتَوَاتَرُ الصغائرِ عَظِيمُ التأثيرِ في تسويدِ القلبِ، وهو كتواترِ قطراتِ الماءِ على الحَجَرِ، فإنه يُحْدِثُ فيه حفرةً لا محالةً، مع لينِ الماءِ وصلابةِ الحَجَرِ. فعلى العاقلِ أن يسترصدَ قلبه باستمرارٍ، ويُراقِبَ حركاته، ويُسجَلِ تصرفاته، ولا يتساهلَ ولا يقولُ: إنها من التَّوَاتُرِ الصَّغَارِ، وصدق رسولُ الله ﷺ حيث يقولُ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذنوبِ؛ فإنهن يجتمعنَ على الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ» (٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨١٨).

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر:

وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرُبَّمَا تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُدُودًا وَخَرَّبَ فَأَرْ قَبْلَ ذَا سَدِّ مَأْرِبِ

وقال الآخر:

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصِمَةٍ إِنَّ الْبُعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الْأَسَدِ
آخر:

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الدُّنُوبِ صِغَارَهَا فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَتَدَفَّقُ الْخِلْجَانِ
آخر:

خَلَّ الدُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقْصِي
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْ ضِ الشُّوْكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وكما أن خير الأعمال الصالحة أدومها وإن قل، وأيضا الكبائر قلما تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر، فمثلا الزنا - والعياذ بالله - قلما يقع فجأة، بل تتقدم عليه مرادة أو قبلة أو لمس.

اللهم ارزقنا العافية في أبداننا، والعصمة في ديننا، وأحسن منقلبنا، ووفقنا للعمل بطاعتك أبدا ما أبقيتنا، واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين؛ الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

- ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمُضرة بالقلب والبدن، والدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.
- ♦ فمنها أنها مددٌ من الإنسان يمدُّ به عدوّه عليه، وجيشٌ يقوِّيه به على حربته.
- ♦ ومنها أنها تخونُ العبدَ أحوَجَ ما يكون إلى نفسه.
- ♦ ومنها أنها تُجرِّيء العبدَ على ما لم يكن يجترئ عليه.
- ♦ ومنها الطبعُ على القلبِ إذا تكاثرت الذنوب، حتى يصيرَ صاحبُ الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]: هو الذنب بعد الذنب، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلبُ. وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدا حتى يصيرَ رانًا، ثم يغلب حتى يصير طبعًا وقفلًا وختمًا، فيصير القلبُ في غشاوة وغلّاف.
- ♦ ومنها إفساد العقل؛ فإنَّ للعقلِ نورًا، والمعصية تُطفئ نورَ العقلِ.
- ♦ ومنها أن العبدَ لا يزال يرتكب الذنوبَ، حتى تهونَ عليه وتصغرَ في قلبه.
- ♦ ومنها أن ينسلخ من القلب استقباحُها فتصير له عادةً.
- ♦ ومنها أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضًا.
- ♦ ومنها ظلمة يجدها في قلبه، يحس بها كما يحس بظلمة الليل.
- ♦ ومنها أن المعاصي توهن القلبَ والبدنَ، أما وهنها للقلب: فأمر ظاهر، بل لا تزال توهنه حتى تزيلَ حياته بالكلية، وأما وهنها للبدن: فإن المؤمنَ قوته في قلبه، وكلما قويَ قلبُه قويَ بدنه.

- ◊ ومنها أن المعاصي تمحق العمر؛ إذ إن المعاصي كلها شرور.
- ◊ ومنها شماتة الأعداء؛ فإن المعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا وهذا ما يُفْرِحُ العدوَّ ويُسِيءُ الصديقَ.
- ◊ ومنها تعسير أمورهِ، فلا يتوجه لأمرٍ إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.
- ◊ ومنها الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير.
- ◊ ومنها حرمان دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة للذين تابوا.
- ◊ ومنها أن الذنوب تُدْخِلُ العبدَ تحت لعنة رسول الله ﷺ.
- ◊ ومنها أنها تُحْدِثُ في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن.
- ◊ ومنها أنها تُطْفِئُ من القلب نارَ الغَيْرَةِ.
- ◊ ومنها ذهاب الحياء، الذي هو مادة حياة القلب.
- ◊ ومنها أنها تُضْعِفُ في القلب تعظيمَ الرَّبِّ، وتُضْعِفُ وقارَهُ في قلبِ العبدِ.
- ◊ ومنها أنها تستدعي نسيانَ الله لعبده وتركه.
- ◊ ومنها أنها تُخْرِجُ العبدَ من دائرة الإحسان، وتَمْنَعُهُ ثوابَ المحسنين.
- ◊ ومنها أنها تُضْعِفُ سيرَ القلبِ إلى الله والدارِ الآخرة.
- ◊ ومنها أنها تُضْرِفُ القلبَ عن صحته واستقامته.
- ◊ ومنها أنها تُعْمِي بصيرةَ القلبِ، وتطمس نورَهُ، وتسُدُّ طرقَ العلمِ.
- ◊ ومنها أنها تُصَغِّرُ النفسَ وتحقِّرها وتقمِّعُها.
- ◊ ومنها أن العاصي في أسْرِ شيطانه وسجنِ شهواته.

- ◇ ومنها سقوطُ الجاهِ والمنزلةِ والكرامةِ عند الله وعند خلقه.
- ◇ ومنها أنها تُوجِبُ القطيعةَ بين العبد وبين ربّه.
- ◇ ومنها أنها تَسْلُبُ صاحبها أسماءَ المدحِ والشرفِ.
- ◇ ومنها أنها تجعل صاحبها من السّفلةِ^(١).

شعر:

ألا أيّها المُستطرفُ الذنبَ جاهداً هو الله لا تخفى عليه السّرائرُ
 فإن كُنْتَ لم تعرفه حين عصيتهُ فإنّ الذي لا يعرف الله كافرُ
 وإن كُنْتَ عن علمٍ ومعرفةٍ به عصيتَ فأنت المُستهينُ المُجاهرُ
 فأيةَ حالٍ لك اعتقدتَ فإنّه عليمٌ بما تُطوى عليه الضّمائرُ

وأخر:

تُغازِلني المنيّةُ من قريبٍ وتلحظني مُلاحظّة الرّقيبِ
 وتُنشُر لي كتاباً فيه طيّبي بَحَط الدّهر أسطره مشيبي
 كتابٌ في معانيه غموضٌ يُلوحُ لكلّ أوابٍ مُنيبِ
 أرى الأعصارَ تُعصر ماءً عودي وقدّما كُنْتَ رَيّانَ القضيبي
 أدال الشّيبَ يا صاحِ شبايبي فعوّضتَ البغيضَ من الحبيبِ
 وبُدلتَ التّثاقلَ من نشاطي ومن حُسنِ النّصارَةِ بالشّحوبِ
 كذاكَ الشّمسُ يعلوها اصفرارُ إذا جَنَحَتْ ومالت للغروبِ

(١) مستفاد من كتاب الداء والدواء لابن القيم رحمه الله (من ص ١٣٢ فما بعدها) بتصرف.

تُحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارِي
هِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَجَالُ تَأْتِي
تُفَوِّقُ أَسْهُمًا عَنِ قَوْسِ غَيْبٍ
فَأَنْتَى بِاحْتِرَاسٍ مِنْ جِنُودٍ
وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ
فِيَا لَهْفِي عَلَى طَوْلِ اغْتِرَارِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَنْحِ نَفْسِي وَأَبْكِي
فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيِّبِي
وَاللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَنَاهَجَ السَّلَامَةِ، وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ،
وَوَفِّقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا، وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلَطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا، وَأَتِمِّمْ
عَلَيْنَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: مما ينبغي أن يُعَلَّمَ أن الذنوب والمعاصي تضر ولا بُدَّ، وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء؛ إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟!!

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب!

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع! وبُدِّلَ بالقرب بُعدًا، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قُبْحًا، وبالجنة نارًا تلظى، وبالإيمان كُفْرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظمَ عداوةٍ ومشاقَّةٍ، وبزَجَلِ التسييح والتقديس والتهلِيلِ زَجَلِ الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، ولبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله تعالى غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحلَّ عليه غضبُ الرَّبِّ تعالى فأهواه، ومَقَّتَهُ أكبرَ المقت فأرداه، فصار قَوَادًا لكل فاسق ومجرم رَضِيَ لنفسه بالقيادة، بعد تلك العبادة والسيادة. فعيادًا بك اللهم مِن مخالفة أمرك وارتكاب نهيك!

وما الذي غَرَّقَ أهلَ الأرض كُلَّهم حتى علا الماءُ فوق رؤوس الجبال!

وما الذي سلَّطَ الرِّيحَ العقيمَ على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، ودمرت ما مرَّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عِبْرَةً للأمم إلى يوم القيامة!

وما الذي أرسل على قومِ ثمودَ الصيحةَ حتى قَطَّعت قلوبهم في أجوافهم

وماتوا عن آخرهم!

وما الذي رفع قُرَى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، وإخوانهم أمثالها، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]!

وما الذي أرسل على قوم شعيبٍ سحبَ العذابِ كالظُّلِّ، فلما صار فوق رؤوسهم أمطرَ عليهم نارًا تَلْظِي!

وما الذي أغرق فرعونَ وقومَه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجسادُ للغرق والأرواحُ للحرق!

وما الذي خَسَفَ بقارونَ وداره وماله وأهله!

وما الذي أهلك القرونَ من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميرًا!

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم!

وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأسٍ شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجالَ وسبوا الذريةَ والنساء، وأحرقوا الديارَ ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرةً ثانيةً فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبرَّوا ما علَّوا تَبِيرًا!

وما الذي سلَّط عليهم أنواعَ العقوبات، مرةً بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرةً بجورِ الملوك، ومرةً بمسخهم قردهً وخنازير، وآخر ذلك أقسم الربُّ ﷻ ليعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوءَ العذابِ! ^(١)

(١) الداء والدواء لابن القيم رحمه الله (من ص ١٣٢ فما بعدها).

شعر:

دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحَ وَأَنْدُبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنُوحَ فَإِنِّي
وَإِنِّي حَقِيقٌ بِالتَّضَرُّعِ وَالبُّكَاءِ
وَجالَتْ دواعي الحُزْنِ مِنْ كُلِّ جانِبِ
كَفَى أَنْ عَيْني بِالدَّموعِ بِخَيْلةُ
فَمَنْ لي إِذا نادى المِنادي بِمَنْ عَصَى
وَقد ظَهَرَتْ تِلْكَ الفِضائِحُ كُلُّها
فِيا طُوالَ حُزْني ثُمَّ يا طُوالَ حَسْرَتي
فَقَدَ فَازَ بِالمُلْكِ العَظِيمِ عِصابَةُ
إِذا أَشْرَفَ الجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ
فَإِذا هُمُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْجَباً

قال العلماء: وتعظم الصغيرة بأسباب

لله منها: أن يستصغرها الإنسان ويستهيئ بها، فلا يغتم بسببها ولا يُبالي، ولكن المؤمن المُجَلَّ اللهُ المُعْظَمَ له هو المستعظم لذنبه وإن صَغُرَ، فإنَّ الذنْبَ كلما استعظمه العبدُ صَغُرَ عند الله تعالى، وكلما استصغره كَبُرَ عند الله تعالى، فإنَّ استعظامه يكون عن نُفُورِ القلبِ منه وكرهيته له.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ المؤمنَ يَرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبل، يخافُ أن يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يَرى ذنوبَه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا.

أخرجاه في الصحيحين^(١)، وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعير، إن كنا لنعدُّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات»^(٢).

وقال بلال بن سعد رضي الله عنه: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت^(٣).

❦ ومنها: السرورُ بها، والتبجُّحُ بسببها، واعتقادُ التمكنِ منها نعمة، حتى إن المذنب المجاهر بالمعاصي ليفتخر بها فيقول: ما رأيتني كيف شتمته، وكيف مزَّقتُ عرضه، وكيف خدعته في المعاملة.

❦ ومنها: أن يتهاونَ بستر الله عليه.

❦ ومنها: أن يُجاهرَ بالذنبِ ويُظهره ويذكره بعد فعله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «كلُّ أمتي مُعافى إلا المجاهرين»^(٤).

❦ ومنها: أن تصدرَ الصغيرةُ عن عالمٍ يُقتدى به فذلك عظيمٌ؛ لأنه يتبعه عليها خلقٌ كثيرٌ، ويبقى أثرها بعده.

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً
تَزِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً
تَطَّلَعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
لَهُ عَن طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ
وَلَمْ يَنْتَهَ قَلْبٌ مِّنَ اللَّهِ خَائِفٌ
فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
فَمَا طَافَ فِيهِ مِّنَ سَنَا الْحَقِّ طَائِفٌ

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانَتْهَا
 وَجَاءَ الْمُشَيْبُ الْمُنْذِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ
 فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا
 فَهَلْ أَرَقَّ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
 فَجُدْ بِالذَّمُوعِ الْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً
 حُلُومٌ مَنَامٍ أَوْ بُرُوقٌ حَوَاطِفُ
 إِذَا ارْتَحَلْتَ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفُ
 وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
 وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
 فَدَمَعُكَ يُنبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

اللهم كما صُنْتَ وجوهنا عن السجود لغيرك فَصُنْ وجوهنا عن المسألة لغيرك. اللهم مَنْ كَانَ عَلَى هَوَىٰ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَضِلَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ. اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ، وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ حَوَالًا لغيرك، وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(فصل)

واعلم أنَّ التوبةَ إذا صحَّت بأن اجتمعت شروطُها وانتفت موانعُها قُبِلَتْ بلا شك إذا وقعت قبل نزولِ الموتِ، لو كانت عن أيِّ ذنبٍ كان، وقبل طلوع الشمسِ من مغربها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَو تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله تعالى يقبلُ توبةَ العبيد ما لم يُعْرَغْ»^(١)، أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض، والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويُردِّدُ إلى أصل الحلق ولا يُبلع، فهذه الحالةُ حالةُ حضورِ الموتِ، وبعد حضورِ الموتِ لا يُقبلُ من العاصين توبةً، ولا من الكافرين رجوعٌ، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠].

ومن المعوقاتِ الضارةِ التسويةُ بالتوبةِ، فمن أين يعلم الإنسانُ أنه يبقى إلى أن يتوبَ، فتاركُ المبادرةِ بالتوبةِ بين خطرين عظيمين، أحدهما أن تتراكمِ الظُّلْمَةَ على قلبه من المعاصي، حتى تصيرَ رَيْنًا وطبعًا. وثانيهما أن يُعاجله المرضُ، فلا يجد مهلةً للاشتغال بمحوِ ما وقع من الظُّلْمَةِ في القلب، فيأتي ربَّه بقلبٍ غيرِ سليمٍ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

ويجب على الإنسان أن لا يمتنع من التوبة خشية الوقوع في ذنبٍ مرةً أخرى، فإنَّ هذا ظنٌ يُدخله الشيطانُ في قلبه ليؤخرَ التوبةَ، ولربما يقول في نفسه: سأستمر في المعاصي أيامَ شبابي وصحَّتي ثم أتوب بعد ذلك، وهذا

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي في سننه (٣٥٣٧)، وابن ماجه في سننه (٤٢٥٣).

يُسَوِّفُ وَيؤَخِّرُ، وإذا بالموتِ أو المرضِ يُفاجئُه فلا يجدُ مُتَسَعًا للتوبةِ والرجوعِ إلى الله - نعوذ بالله من سوءِ الخاتمةِ -، ولذلك كان السلفُ الصالحُ تكاد تنخلعُ قلوبُهم في كل مرضةٍ يمرضونها؛ لاحتمال أن تكونَ تلكَ المرضةُ إخراجًا لهم من الدنيا قبل أن يتمكنوا من تدارك ما فات من الهفواتِ بالتوبةِ النصوحِ وللاستكثارِ من الباقياتِ الصالحاتِ. ومَرَضَ مرةً أحدُ الصالحين، فدخل عليه أصحابُه يعودونه فقالوا له: كيف نجدك؟ قال: موقراً بالذنوب، فقالوا: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم! أن يَمُنَّ عليَّ ربي بالتوبةِ عن كلِّ ما يُكره قبل موتي.

وقد قال العلماء: ما مثألُ المُسَوِّفِ بالتوبةِ إلا مثألُ مَنْ احتاج إلى قلعِ شجرةٍ فرأها قويةً لا تنقلعُ إلا بمشقةٍ شديدةٍ، فقال: أواخرها سنةٌ ثم أعود إليها، وهو يعلم أن الشجرةَ كلما بقيت ازدادت قوةً لرسوخها، وكلما طال عمرُه ازداد ضعفُه، فلا حماقةً في الدنيا أعظمَ من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومةٍ ضعيفٍ، فأخذ ينتظر الغلبةَ عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيفُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إذا أراد الله بعبده خيراً فَتَحَ له أبوابَ التوبةِ والندمِ والانكسارِ والذللِّ والافتقارِ والاستعانةِ به وصدق اللُّجأِ إليه ودوامِ التضرعِ والدعاءِ والتقربِ إليه بما أمكن من الحسناتِ ما تكون تلكَ السيئةُ به سببَ رحمته، حتى يقولَ عدوُّ الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه، وهذا معنى قول بعض السلف: إنَّ العبدَ ليعملُ الذنبَ يدخلُ به الجنةَ، ويعملُ الحسنةَ يدخلُ بها النَّارَ، قالوا: كيف؟ قال: يعملُ الذنبَ فلا يزال نُصَبَ عينيه خائفًا منه مُشفقًا وجلًا باكيًا نادمًا مُستحيًا من ربِّه تعالى، ناكسَ الرأسِ بين يديه، مُنكسرَ القلبِ له، فيكون ذلك الذنبُ أنفعَ له من طاعاتٍ كثيرةٍ، بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادةُ العبدِ وفلاحُه، حتى يكون ذلك الذنبُ سببَ دخولِ الجنةِ.

ويفعلُ الحسنةَ فلا يزالُ يَمُنُّ بها على ربِّه ويتكَبَّرُ بها ويرى نفسه شيئاً
ويُعجِبُ بها ويستطيلُ بها، ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه من العُجبِ والكِبْرِ
والفخرِ والاستطالةِ ما يكون سببَ هلاكه.

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكينِ خيراً ابتلاه بأمرٍ يكسره به ويذُلُّ به عنقه
ويصغُرُ به نفسه عنده، وإذا أراد به غيرَ ذلك خلَّاه وعُجِبَه وكَبَّرَه، وهذا هو
الخدلانُ الموجبُ لهلاكه، فإن العارفين كلَّهم مُجمعون على أن التوفيقَ هو
أن لا يكلِّك الله تعالى إلى نفسك، والذُّلُّ أن يكلِّك الله إلى نفسك. (١) انتهى.

يَا مَنْ يُعِيْثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا اِرْحَمْ عِبَادًا اَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتُهُمْ بَسَطَ اَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيْلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ اَنْبَسَطُوا
وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ بِالْجُودِ اِنْ اَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ اِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفٍ اَزْتَبَطَتْ شُمَّ الْاَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبُطُ
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ بِجَمِّ اِنْعَامِهِ الْاَطْرَافُ وَالْوَسَطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْاُمُورِ فَلَا وَهَمٌّ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيْرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا مِنْ شَأْنِهِ اَنْ يُوَافِيَ حِيْنَ يَنْضَغُطُ
مَهْمَا اَتَى لِيَمَدَّ الْكَفَّ اُخْجَلَه قَبَائِحُ وَخَطَايَا اَمْرُهَا فَرَطُ
يَا وَاسِعًا صَاقَ خَطُو الْخَلْقِ عَنِ نِعَمٍ مِنْهُ اِذَا خَطَبُوا فِي سُكْرِهَا خَبَطُوا
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْاِجْمَالِ رَحْمَتَه فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنَطُ
اِرْحَمْ عِبَادًا بَضْنِكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفٌ وَالثَّرَى بُسَطُ

(١) الواجب الصيب من الكلم الطيب (ص ٦).

لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيِّ عَلِيَاكَ فِي نَمَطٍ سَامٍ رَفِيْعِ الذُّرِّيِّ مَا فَوْقَهُ نَمَطٌ
 وَمَنْ يَكُنْ بِالذِّي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى وَكُلُّ شَيْءٍ يُرَجَّى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

موعظة

فيا أيها المهملون الغافلون تيقظوا، فإليكم يوجّه الخطاب. ويا أيها
 النائمون انتبهوا قبل أن تنأخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هادم اللذات ومفرق
 الجماعات ومذل الرقاب ومشتت الأحباب، فيا له من زائر لا يعوقه عائق،
 ولا يضرب دونه حجاب، ويا له من نازل لا يستأذن على الملوك، ولا يلج من
 الأبواب، ولا يرحم صغيراً، ولا يوقر كبيراً، ولا يخاف عظيمًا ولا يهاب،
 ألا وإن بعده ما هو أعظم منه من السؤال والجواب، ووراءه هول البعث
 والحشر وأحواله الصعب من طول المقام والازدحام في الأجسام والميزان
 والصراط والحساب، اللهم أيقظنا من نوم الغفلة، ونبهنا لاغتنام أوقات
 المهلة، ووفّقنا لمصالحنا، واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا، ولا تؤاخذنا بما
 انطوت عليه ضمائرنا وأكثته سرائرنا، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين،
 برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
 أجمعين.

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم أن صاحبَ البصيرة إذا صدرت منه الخطيئةُ فله نظر إلى خمسة أمور: أحدها: أن ينظرَ إلى أمرِ الله ونهيه، فيُحدِّثُ له ذلك الاعترافَ بكونها خطيئةً، والإقرارَ على نفسه بالذنبِ. الثاني: أن ينظرَ إلى الوعدِ والوعيدِ، فيُحدِّثُ له ذلك خوفاً وخشيةً تحمله على التوبة. الثالث: أن ينظرَ إلى تمكينِ الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه، وأنه لو شاء لعصمه منها، فيُحدِّثُ له ذلك أنواعاً من المعرفةِ بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته وعفوه وحلمه وكرمه، وتوجبُ له هذه المعرفةُ عبوديةً بهذه الأسماءِ لا تحصلُ بدونِ لوازمها البتَّة، ويعلمُ ارتباطَ الخلقِ والأمرِ والجزاءِ والوعيدِ والوعيدِ بأسمائه وصفاته، وأن ذلك بموجبِ الأسماءِ والصفاتِ وأثرها في الوجودِ، وأنَّ كلَّ اسمٍ وصفةٍ مُقتضى لأثره وموجبُهُ مُتعلِّقٌ به لا بد منه.

وهذا المشهدُ يُطلعه على رياضٍ مؤنَّقةٍ من المعارفِ والإيمانِ وأسرارِ القدرِ والحكمةِ يضيئُ عن التَّعبيرِ عنها نطاقُ الكَلِمِ، فمن بعضها ما ذكره الشيخُ [يُريد صاحبَ المنازل]: أن يعرفَ العبدُ عزَّته في قضائه، وهو أنه سبحانه العزيزُ الذي يقضي بما يشاء، وأنه لكَمالِ عزَّته حَكَمَ على العبدِ وقضى عليه، بأنَّ قَلْبَ قلبه وصَرَفَ إرادته على ما يشاء، وحال بين العبدِ وقلبه وجعله مُريداً شائئياً لما شاء منه العزيزُ الحكيمُ، وهذا من كَمالِ العزَّةِ؛ إذ لا يقدر على ذلك إلا اللهُ، وغايةُ المخلوقِ أن يتصرفَ في بدنك وظاهرِك، وأما جعلك مُريداً شائئياً لما يشاؤه منك ويُريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزَّةِ الباهرة ...

فإذا عَرَفَ العبدُ عزَّ سيده ولاحظَ بقلبه وتمكَّنَ شهوده منه كان الاشتغالُ به عن ذلِّ المعصيةِ أولى به وأنفعُ له؛ لأنه يصير مع الله لا مع نفسه، ومن معرفة

عزّته في قضائه أن يعرف أنه مدبّرٌ مقهورٌ ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليلٌ حقيرٌ في قبضة عزيزٍ حميدٍ.

ومن شهود عزّته في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلّها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذلك ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه، وكذلك بالعكس فنقص الذنب وذلّه يُطلعه على مشهد العزة.

ومنها أن العبد لا يريدُ معصية مولاة من حيث هي معصية، فإذا شهد جريان الحكم وجعله فاعلاً لما هو مختار له مريداً بإرادته ومشيته واختياره، فكانه مختارٌ غيرٌ مختارٍ، مُريدٌ شاء غيرُ شاء، فهذا يشهدُ عزة الله وعظّمته وكمال قدرته.

ومن ذلك أن يعرف برّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال برّه، ومن أسمائه البرّ، وهذا البرّ من سيده به مع كمال غناه وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنّة ومشاهدة هذا البرّ والإحسان والكرم فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنائته وشهود ذلّ المعصية؛ فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

ومنها: شهود حلم الله ﷻ في إمهال ركب الخطيئة مُطلقاً، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل فيحدث له ذلك معرفة ربّه سبحانه باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم، والتعبّد بهذا الاسم، والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحبّ إلى الله وأصلح للعبد

وأَنْفَعُ مِنْ فَوْتِهَا، ووجودُ الملزومِ بدونِ لازِمِهِ مُمتنعٌ. ومنها: معرفةُ العبدِ كَرَمَ رَبِّهِ فِي قَبُولِ الْعَذْرِ مِنْهُ إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْاعْتِذَارِ لَا بِالْقَدَرِ؛ فَإِنَّهُ مَخَاصِمَةٌ وَمَحَاجَةٌ...

ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته؛ فإن المغفرة فضلٌ من الله تعالى، وإلّا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلاً محموداً، وإنما عفوهُ بفضله لا باستحقاقك، فيوجب ذلك شكراً له ومحبةً وإنابةً إليه وفرحاً وابتهاجاً به، ومعرفةً له باسمه الغفار، ومشاهدةً لهذه الصفة، وتعبداً بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية والمحبة والمعرفة.

ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الدّل والخضوع والانكسار بين يديه والافتقار إليه...

ومنها: أن أسماء الحسنى تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها، فاسم "السميع البصير" يقتضي مسموعاً ومُبصراً، واسم "الرزاق" يقتضي مرزوقاً، واسم "الرحيم" يقتضي مرحوماً، وكذلك أسماء "الغفور والعفو والتواب والحليم" يقتضي مَنْ يَغْفِرُ لَهُ، ويتوبُ عليه، ويعفو ويحلم، ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات؛ إذ هي أسماءٌ حُسنِيَّةٌ وصفاتٌ كمالٍ ونعوتٌ جلالٍ وأفعالٌ حكمةٍ وإحسانٍ وجُودٍ، فلا بد من ظهور آثارها في العالم.

وإلى هذا أشار أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه، حيث يقول: «لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، ثم يستغفرون فيغفر لهم»^(١)، وأنت إذا فرضت الحيوانَ بجملته معدوماً، فمن يرزق الرزاق سبحانه؟!!

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية عن العالم فلمن يغفر؟! وعمن يعفو؟! وعلى من يتوب ويحلم؟! وإذا فرضت الفاقات كلها قد سُدت، والعييد أغنياء مُعافين، فأين السؤال والتضرع والابتهال والإجابة وشهود المنة والتخصيص بالإنعام والإكرام، فسبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعرّفات، ودلّهم عليه بأنواع الدلالات. (١) انتهى.

شعراً:

حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَأْسِهَا	رَيْبَ الْمُنُونِ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
عَجَبًا لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً	وَبَقْدِ الْإِلْفِ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ
أَفَقَدْ رَضِيتَ بِأَنْ تُعَلَّلَ بِالْمُنَى	وَالِئِى الْمَنِيَّةِ كُلَّ يَوْمٍ تُدْفَعُ
لَا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبِ	ذُنُوبًا تَغْرُبُ بِوَضْلِهَا وَسَتُقْطَعُ
أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظْلِ زَائِلِ	إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
وَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمٍ فَقْرِكَ دَائِمًا	الْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ تَجْمَعُ

اللهم أحينا في الدنيا مؤمنين طائعين، وتوفنا مسلمين تائبين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/ ١٥١ : ١٥٤) بتصرف يسير.

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ للتوبة المقبولة الصحيحة علامات:

لله منها أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها.

لله ومنها أنه لا يزال الخوف مُصاحباً له، لا يأمنُ مكرَ الله طرفةَ عينٍ، فخوفُه مستمرٌ إلى أن يسمعَ قولَ الرسلِ لقبضِ روحِه: ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، فهنا يزولُ الخوفُ.

لله ومنها انخلاعُ قلبِه وتقطعُه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر عظيمِ الجنايةِ وصغرِها، وهذا تأويلُ ابنِ عُيينةَ لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنِنُهَا الَّذِي بَنَى رَبَّهٖ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠]. قال: تقطُّعُها بالتوبة. ولا ريب أن الخوفَ الشديدَ من العقوبةِ العظيمةِ يُوجبُ انصداعَ القلبِ وانخلاعه، وهذا هو تقطُّعُه، وهذا حقيقةُ التوبة؛ لأنه ينقطع قلبُه حسرةً على ما فرط منه، وخوفاً من سوء عاقبتِه، فمن لم يتقطع قلبُه في الدنيا على ما فرط حسرةً وخوفاً، تقطَّعَ في الآخرة إذا حَقَّتِ الحقائقُ، وعاینَ ثوابَ المطيعين وعقابَ العاصين، فلا بد من تقطُّعِ القلبِ، إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضاً: كسرةٌ خاصةٌ تحصلُ للقلب لا يشبهُها شيءٌ، ولا تكونُ لغيرِ المذنبِ، لا تحصلُ بجوعٍ ولا رياضةٍ ولا حبٍّ مجردٍ، وإنما هي أمرٌ وراءَ هذا كلِّه، تكسرُ القلبَ بين يدي الربِّ كسرةً تامةً، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقتَه بين يدي ربِّه طريقاً ذليلاً خاشعاً، كحالِ عبدِ جانٍ أبقِ من سيِّده، فأخذَ فأخضَرَ بين يديه، ولم يجدَ مَنْ يُنجِيهِ مِنْ سطوتِه، ولم يجدَ منه بُدّاً ولا عنه غِنًى، ولا منه مهرباً، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد علم إحاطة سيِّده بتفاصيل جنائياته، هذا مع حبه لسيِّده، وشدة حاجته إليه، وعلمه بضغفه وعجزه وذله وقوة سيِّده وعزته.

فيجتمعُ في هذه الأحوالِ كسرةٌ وذلةٌ وخضوعٌ ما أنفعها للعبدِ! وما أجدي عائدتها عليه! وما أعظم جبره بها! وما أقربه بها من سيده! فليس شيءٌ أحبَّ إلى سيده من هذه الكسرةِ والخضوعِ والتذللِ والإخباتِ والانطراحِ بين يديه والاستسلام له.

فله ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتي، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبةُ الخاطئةُ بين يديك، عبيدك سواي كثيرٌ، وليس لي سيّد سواك، لا ملجأً ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهلُ إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دُعاء الخائفِ الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلل لك قلبه...

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى، وما عالج الصادق بشيء أشقَّ عليه من التوبة الخالصة الصادقة، فلا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

ثم ذكر رحمه الله حقائق التوبة، وأنها ثلاثة، وعد منها: اتهام التوبة، قال: لأنها حقُّ عليه، لا يتيقن أنه أدّى هذا الحقَّ على الوجه المطلوب منه الذي ينبغي له أن يؤديه عليه، فيخاف أنه ما وفّاها حقّها، وأنها لم تُقبل منه، وأنه لم يبذل جهده في صحتها، وأنها توبةٌ علّية، وهو لا يشعر بها، كتوبة أرباب الحوائج والإفلاس، والمحافظين على حاجاتهم ومنازلهم بين الناس، أو أنه تاب محافظةً على حاله فتاب للحال لا خوفاً من ذي الجلال، أو أنه تاب طلباً للراحة من الكدِّ في تحصيل الذنب، أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله

(١) مدارج السالكين (١/ ١٣٨).

ومنصبه، أو لضعف داعي المعصية في قلبه وخبود نار شهوته، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في كون التوبة خوفاً من الله وتعظيمًا له ولحرماته وإجلالاً له، وخشية من سقوط المنزلة عنده، وعن البعد والطرده عنه، والحجاب عن رؤية وجهه في الدار الآخرة، فهذه التوبة لونٌ، وتوبة أصحاب العلل لونٌ.

ومن اتهامه التوبة أيضًا: ضعف العزيمة، والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعه...، ومن اتهام التوبة طمأننته ومعرفته من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أُعطي منشورًا بالأمان، فهذه من علامات التهمة.

ومن علاماتها: جمود العين، واستمرار الغفلة، وأن لا يتحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة^(١).



(١) مدارج السالكين (١/ ١٣٧).

موعظة

كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى ولده الحسن رضي الله عنه: من عبد الله علي أمير المؤمنين، الوالد الفاني، الذام للدينا، الساكن مساكن الموتى، إلى الولد المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، عرضة الأسقام، ورهينة الأيام، وأسير المنايا، وقرين الرزايا، وصرع الشهوات، ونصب الآفات، وخليفة الأموات.

يا بُني، إن بقيت أو فنت فإني أوصيك بتقوى الله صلى الله عليه وسلم وعمارَةَ قلبك بذكره والاعتصام بحبله؛ فإن الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية، وأي سبب يا بُني أوثق من سبب بينك وبين الله صلى الله عليه وسلم.

أحي قلبك بالموعظة، ونورَه بالحكمة، وقوه بالزهد، وذللّه بالموت، وقرّزه بالفناء، وحذّره صولة الدهر وتقلّب الليالي، واعرض عليه أخبار الماضين، وسرّ في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا، وأين حلّوا؛ فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور، ونزلوا دارَ الغربة، وكأنك عن قليل -يا بُني- قد صرت كأحدهم، فبع دنياك بأخرتك، ولا تبع أخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والأمر فيما لا تكلف، ومُر بالمعروف بيدك ولسانك، وكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله، وخض الغمرات إلى الحق، ولا تأخذك في الله صلى الله عليه وسلم لومة لائم، واحفظ وصيتي؛ فلا خير في علم لا ينفع.

واعلم أنه لا غنى بك عن حُسن الارتياح مع بلاغك من الزاد، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحتمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه؛ فإن أمامك عقبة كئوداً، لا يجاوزها إلا أخف الناس حملاً.

وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ، وَأَحْسِنْ فِي الْمَكْسَبِ؛ فَرُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ،
وَأِنَّمَا الْمَحْرُوبُ مَن حُرِبَ دِينُهُ، وَالْمَسْلُوبُ مَن سُلِبَ يَقِينُهُ.

واعلم أنه لا غنى يعدل الجنة، ولا فقر يعدل النار، والسلام عليك ورحمة
الله (١).

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُنْ بَيْنَ خَوْفِ الرَّجَا عَامِلًا لِمَا تَخَافُ وَلَا تَقْنَطُ وَتُوقَا بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَتُبْ لَهَا وَتُبْ مُطْلَقًا مَعَ فَقْدِ عِلْمِ التَّعْمُدِ
وَبَادِرْ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ وَتَطْوِي عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفَ التَّزْوُدِ
فَحِينِيذٍ لَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ تَوْبَةٌ إِذَا عَايَنَ الْأَمْلاكَ أَوْ غَرَّغَرَ الصِّدِي
وَلَا تَجْعَلِ الْأَمَالَ حِصْنًا فَإِنَّهَا سَرَابٌ يَغْرُ الْغَافِلَ الْجَاهِلَ الصِّدِي
فَبَيْنَا هُوَ مُغْتَرًّا يُفَاجِئُهُ الرَّدَى فَيُصْبِحُ نَدْمَانًا يَعْضُ عَلَى الْيَدِ
وَتَوْبَةٌ حَقَّ اللهُ يَسْتَغْفِرُ الْفَتَى وَيَنْدُمُ يَنْوِي لَا يَعُودُ إِلَى الرَّدِي
وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُوجِبُ الْحَدَّ ظَاهِرًا فَسَتْرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقَرِّ لِئُحَدِّدِ
وَإِنْ تَابَ مِنْ غَضَبٍ فَيُشْرَطُ رَدُّهُ وَمَعَ عَجْزِهِ يَنْوِي مَتَى وَاتَ يَرُدُّ
وَمَنْ حَدَّ قَذْفٍ أَوْ قَصَاصٍ مَتَابُهُ بِتَمَكِينِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا ابْتَشَدِي
وَتَحْلِيلِ مَظْلُومٍ مَتَابٌ لِنَادِمٍ تَدَارِكُ عُدْوَانَ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ

(١) ذكره مطولا المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٦١٥)، وعزاه لوكيع، والعسكري في المواعظ.

اللهم يا مَنْ لا تضرُّه المعصيةُ، ولا تنفعُه الطاعةُ، أيقظنا مِنْ نَوْمِ الغفلةِ،
 ونبِّهنا لاغتنامِ أوقاتِ المهلةِ، ووقَّنا لمصالحنا، واعصمنا مِنْ قبائِحنا، ولا
 تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا، وأكنته سرائرنا مِنْ أنواعِ القبائحِ والمعائبِ
 التي تعلمها منّا، وامننْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عنّا كلَّ ذنبٍ، واغفرْ لنا
 ولو الدينا ولجميعِ المسلمين، الأحياءِ منهم والميتين، برحمتك يا أرحمَ
 الراحمين، وصلى اللهُ على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.



موعظة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: الحذر الحذر من المعاصي؛ فإن عواقبها سيئة...، والحذر الحذر من الذنوب، خصوصاً ذنوب الخلوات؛ فإن المبارزة لله تعالى تُسقط العبد من عينه سبحانه^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: ولا ينال لذة المعاصي إلا سكران الغفلة، فأما المؤمن فإنه لا يلتذُّ بها؛ لأنه عند التذاذبه يقف بإزاره علم التحريم وحذر العقوبة، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي [وهو الله]، فيتغنص عيشه في حال التذاذبه، فإن غلبه سُكر الهوى، كان القلب مُتغنصاً بهذه المراقبات، وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة، ثم خزي دائم، وندم ملازم، وبكاء متواصل، وأسف على ما كان مع طول الزمان، حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزاره؛ حذر العتاب. فأف للذنوب، ما أقبح آثارها وما أسوأ أخبارها^(٢). انتهى.

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واجعلنا هداة مهتدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين، يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صيد الخاطر (ص ٢٠٧).

(٢) صيد الخاطر (ص ١٤٤).

(فصل)

فيما ينبغي التنبيه عليه والتحذير من ارتكابه.

قال ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المسلمون الْمُغْتَرُونَ طبقات:

الطبقة الأولى (طبقة العلماء): وهم قومٌ أحكموا العلمَ وتركوا العملَ به، ظناً منهم أنهم قد حفظوا الشريعةَ، فلهم عند الله قدرٌ، ولو حققوا النظرَ، لعلموا أنَّ العلمَ لا يُرادُ إلا للعملِ، وكأنهم يزيدون مِنَ الحُجَّةِ عليهم، ومنهم قومٌ أحكموا العلمَ والعملَ، إلا أنهم لم يُصلحوا الصفاتِ الباطنةَ المذمومةَ من الكبرِ والحسدِ والرياءِ، ولم يدروا أنَّ هذه شُعَلٌ تعملُ في بيتِ القلبِ، فتحرق بواطنَ المعرفةِ.

قلت: وهؤلاء كمرِضٍ ظهر به جروح أصلها في الباطن، فأمر الطبيبُ مَنْ به ذلك أن يغسلَ الظاهرَ بدواءٍ، وأمره بشرب دواءٍ آخرٍ لِمَا نشأ عنه الظاهرُ، فاستعمل ما للظاهرِ، وترك ما للباطنِ، فأزال مؤقتاً ما بظاهره، وأما ما في باطنه فعلى حاله، فلو شرب ما للباطنِ مِنَ الدواءِ بريء الظاهرُ إذا أراد الله، واستراح ظاهرُه وباطنُه، فكذلك الذنوبُ والمعاصي إذا اختفت في القلبِ ظهر أثرها على جوارح الإنسان.

ومن العلماءِ قومٌ سلموا من هذه الآفاتِ، لكنهم في خدمة الهوى من حيث لا يعلمون فهم يُصنِّفون ويتكلمون، ومرادهم ذكرهم بذلك ومدحهم، وكثرة أتباعهم، وهذه الآفة من خبايا النفوس، لا يفطن لها إلا الأكياس من الناس.

الطبقة الثانية (طبقة العباد): فمنهم من حققوا التبعَدَ إلا أنه يرى نفسه، فهو مغرورٌ بذلك، ومنهم من ترك كثيراً من الفرائض شغلاً بالنوافل فمنهم من

يُدرّكه الوسواسُ في نيّة الصلاة، ثم يترك قلبه في باقيها يسرّحُ في الغفلات، ومنهم من يُكثر التلاوة ولا يعمل بما يتلو، ومنهم من يصوم ولا يتحفّظ من غيبته، ومنهم من يخرج إلى الحجّ ولا يخرج من المظالم، ولا ينظر في نفقته، ومنهم من يجاور بمكّة وينسى الحرمة، ومنهم من يأمر بالمعروف وينسى نفسه.

ومنهم من يزهّد في المال وهو راغب في الرياسة بالزهد، ومنهم من يتخلّق بأخلاق الفقراء في صور ثيابهم ومرقعاتهم ويترك أخلاقهم الباطنة، فيشبع من الشهوات، وينام الليل ولا يعرف واجبات الشرع. قلت: وهؤلاء غرورهم عظيم كما قال بعض العلماء؛ لأنهم يظنون أنهم يُحبّون في الله ورسوله، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلّا وهم مخلصون، ولا وقفوا على خبايا النفس إلّا وهم مُنزهون، وهم أحبُّ في الدنيا من كلّ أحد، ويُظهرون الزهد في الدنيا لشدة حرصهم عليها وقوة رغبتهم فيها، يحثّون على الإخلاص وهم غير مخلصين، ويُظهرون الدعاء إلى الله وهم منه فأرون، ويخوّفون بالله وهم منه آمنون. ويذكّرون بالله وهم له ناسون، ويحثّون على التمسك بالسنة بالديق والجليل وهم لها نابذون، ويذمّون الصفات المذمومة وهم بها مُتّصفون، وكأنه لم يطرق أسماعهم قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقوله تعالى حكاية عما قال شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وردد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فقال: إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تُفْتَضَحْ بثلاث آياتٍ من كتاب الله فافعل، يشير ابنُ عباس رضي الله عنهما إلى الآياتِ المتقدمة.

الطبقة الثالثة: (أرباب الأموال): فمنهم قومٌ يحرصون على بناء المساجد والمدارس ويكتبون أسماءهم عليها لتخليد ذكْرهم، ومن أراد وجهَ الله لم يُبالِ بذكر الخلق، وهؤلاء قال بعض العلماء عنهم: إنهم اغتروا من وجهين، أحدهما: أنهم اكتسبوا من الظلم والشبهات والرِّشَاءِ والجهات المحظورة، فهؤلاء تعرَّضوا لسخطِ الله في كسبها، فإذا عصوا الله في كسبها، فالواجب عليهم التوبة ورددُ الأموالِ إلى أربابها إن كانوا أحياء، وإلى ورثتهم إن كانوا أمواتاً، وإن لم يبقَ لهم ورثة فالواجب عليهم أن يصرفوها في أهمِّ المصالح، وربما يكون الأهمُّ تفرقتها على المساكين.

والوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق وعلو الأبنية، ولو كُلفَ واحدٌ منهم أن يُنفقَ ديناراً على مسكين لم تسمع نفسه بذلك؛ لأنَّ حُبَّ المدح والثناء مُستكنٌّ في باطنه.

لله ومنهم قوم يتصدَّقون، ولكن في المحافل، ويعطون من عادته الشكر وإفشاء المعروف.

لله ومنهم من يُكثر الحجَّ، وربما ترك جيرانه جياعاً.

لله ومنهم قومٌ يجمعون المالَ ويبخلون بإخراجه، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا تحتاج إلى نفقة كالصيام والصلاة، ولا يدرون أن جهاد النفس في البخل المُهلك أولى.

الطبقة الرابعة: (طبقة العوام): وغرورهم من وجوه: فمنهم من يصلي كيفما اتفق، ولا يسأل عما يصلح الصلاة وما يفسدُها، ومنهم من يواظب على النوافل كالترابيح، ولا تكاد تجده في صلاة الجماعة، ومنهم من يُلازم مجالس الوعظ ولا يعمل بما يسمع ولا ينتهي عن قبيح ما يأتي، كأن المقصود الحضور فقط. قلت: لأن مجالس الذكر والإرشاد إنما تُفيد لكونها مُرغبة في الخير، وباعثة في الغالب عليه، فإن لم ينشأ عنها ذلك فلا خير فيها، وصفة هؤلاء كما قال بعض العلماء: كمثّل مريضٍ يحضر مجالس الأطباء ويسمع منهم ما يصفونه من الأدوية ولا يفعلها، ولا يشتغل بها، فأَي فائدة يحصل عليها؟!!

فكلّ وعظٍ لا يُغيّرُ منك صفةً تتغيّر بها أفعالك حتى تُقبل على الله ﷻ، وتعرض عن الدنيا، وتقبل إقبالاً قوياً، فإن لم تفعل فذلك كان زيادة حجة عليك، وهذا غرورٌ عظيمٌ.

لهم ومنهم من يتنفل بالعبادات ويُهمل الفرائض.

لهم ومنهم من يتطوع بالخير ويكثر التسبيح مع معاملته بالربا واستعمال الغش، وربما صاح على والديه وأخذ أعراض الناس، وجمهور الناس قد اتكّلوا على العفو والحلم، فهم مُصرّون على ذنوب وخطايا، فإذا ذكرت لهم العقوبة، قالوا: هو كريمٌ، وينسون أنه شديد العقاب.

لهم ومنهم أقوام يستعجلون المعصية موافقةً للهوى، ويضمرون أننا سنتوب ويسوّفون بالتوبة.

ومن العصاة من يغرثُ بفعل خير، فربما تصدّق أو سبح، وظن أن هذا يُقاوم ذنوبه، وينسى ما حصل منه من الغيبة والكذب والرياء وغير ذلك من المعاصي التي تقضي على الحسنات التي هي أمثال الجبال.

وَمِنَ الْمُغْتَرِّينَ مَنْ يَغْتَرُّهُ صَلاَحُ آبَائِهِ، وَرَبْمَا قَال: أَبِي يَشْفَعُ لِي، وَلَا يَدْرِي
أَنْ أَبَاهُ فَضَّلَ بِالتَّقْوَى، وَكَانَ مَعَ التَّقْوَى خَائِفًا؟ وَمَنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ؟! أَوْ مَا
سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ نَوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَحْمَلَ ابْنَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ،
وَأَغْرَقَ اللَّهُ ابْنَهُ مَعَ الْمُغْرَقِينَ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ
اللَّهِ شَيْئًا»^(١)، فَالْعَاقِلُ مَنْ عَمَلَ عَلَى الْحِرْصِ، وَأَخَذَ بِالْأَحْوِطِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ الْعِلْمَ
وَتَصَفَّحَهُ وَشَاوَرَ الْعَقْلَ: دَلَّهُ عَلَى الْحَزْمِ فَسَلِمَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْبُوا عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرَكُوا تَدْبِيرَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَرَبْمَا
خْتَمُوهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالسُّتْهِمْ، أَمَا قُلُوبُهُمْ فَهِيَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا تُرَدِّدُ، وَلَا تَتَفَكَّرُ
فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِتَنْزَجِرَ بَزْوَا جِرِهِ، وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِهِ، وَتَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ،
وَتَعْتَبِرَ بِمَوَاضِعِ الْإِعْتِبَارِ، فَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا عِدَّةً مَرَاتٍ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ يُخْشَى
عَلَيْهِ مِنَ الْعَقُوبَةِ.

وَطَبَقَةُ أُغْتَرُّوا وَأَكْثَرُوا الصِّيَامَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ
الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذْبِ وَالتَّمَلُّقِ عِنْدَ الْفُسَّاقِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ، وَلَا يَعْرِفُونَ
الْوَلَاءَ وَالْبِرَاءَ، وَلَا يَحْفَظُونَ بَطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ، وَلَا أَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظْرِ
الْمَحْرَمِ، وَلَا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَلَا يَقُومُونَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ
وَيَأْمُرُونَ نَهْمًا.

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْثَرَتْ مِنْ نَوَافِلِ الْحَجِّ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ مِنَ الْمِظَالِمِ، وَقَضَاءِ
الدِّيُونِ وَاسْتِرْضَاءِ الْوَالِدِينَ، وَلَا طَلَبُوا لِذَلِكَ الزَّادَ الْحَلَالَ، وَرَبْمَا ضَيَعُوا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٥٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٤).

صلاة الجماعة أو الصلاة المكتوبة، وربما كانوا لا يُبالون بالنجاسات، وربما كان نفقة أحدهم حراماً كله هو ورفقاؤه، وربما كان مُراثياً في إنفاقه فيعصي الله في كسب الحرام أولاً، وفي إنفاقه للرياء ثانياً، نعوذ بالله من الغرور.

وفرقه أخذت في طريق الأمر بالمعروف وإرشاد الخلق، وأنكروا على الناس وتركوا أنفسهم وأولادهم ومن يخشونهم أو يرجونهم.

وفرقه أخرى غلب عليها البخل فلا تسمح نفوسهم بأداء الزكاة كاملة مُكَمَّلة يُخْرِج مقدار رُبْعِهَا فقط، ويتأول الباقي، ويعدُّ أنه إذا وجد فقيراً أعطاه، ويرى أن ما يدفعه إذا تقدم فقيراً في بعض الأيام وأعطاه كافياً، وربما كانت زكاته عدد أيام السنة مئاة من الريالات، نعوذ بالله من الغرور^(١).

شعراً:

وَمَا هِيَ أَنْ غَرَّتْ قُرُونًا بِطَائِلِ	لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرَّتَهُ دُنْيَا دَنِيَّةٌ
وَزَيْتُهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ	أَتَنَّا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بُيْنَةً
عَرُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ	فَقُلْتُ لَهَا غُرِّي سِوَايَ فَإِنِّي
وَأَمْوَالِ قَارُونٍ وَمُلْكِ القَبَائِلِ	وَهَبَهَا أَتَنَّا بِالْكَنُوزِ وَدُرِّهَا
وَيُطْلَبُ مِنْ خَزَائِنِهَا بِالطَّوَائِلِ	أَلَيْسَ جَمِيعًا لِلْفَنَاءِ مَصِيرُهَا
لِمَا فِيكَ مِنْ عِزٍّ وَمُلْكٍ وَنَائِلِ	فَغُرِّي سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبِ
فَشَأْنُكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ الغَوَائِلِ	وَقَدْ قَبِعْتَ نَفْسِي بِمَا قَدْ رَزَقْتُهُ
وَأَخْشَى عِقَابًا دَائِمًا غَيْرَ رَائِلِ	فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ يَوْمَ لِقَائِهِ

(١) منهاج القاصدين (٢/ ٩٤٩: ٩٧٣) بتصرف كثير وإضافة.

شعراً:

المَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الكَفْنََا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
 لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبِهَجَّتْهَا وَإِنْ تَوَشَّحَتْ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا
 أَيَّنَ الأَحِبَّةُ وَالجِرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الذِّينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
 سَقَاهُمُ المَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
 تَبْكِي المَنَازِلَ مِنْهُمُ كُلُّ مُنْسَجِمٍ بِالمَكْرَمَاتِ وَتَرِثِي البِرَّ وَالمِنْنَا
 حَسْبُ الحِمَامِ لَوِ ابْقَاهُمْ وَأَمَهَلُهُم أَلَا يَظُنُّ عَلَيَّ مَعْلُومِهِ حَسَنَا
 اللهم نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ، وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الخِزْيِ وَالبَوَارِ، وَأَدْخِلْنَا
 بِفَضْلِكَ الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ، وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ، وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمُ وَالمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



موعظة

خطب عمرُ بنُ عبد العزيز آخرَ خطبةٍ خطبها، فقال فيها: أما بعدُ، إنكم لم تُخلقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدىً، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خابَ وخسرَ من خرج من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنةٌ عرضها السمواتُ والأرضُ، ألا ترون أنكم في أسلابِ الهالكين، وسيرُثها بعدكم الباقون كذلك، حتى تُردَّ إلى خير الوارثين، وفي كلِّ يومٍ تشيِّعون غاديًا ورائحًا إلى الله قضى نحبَه وانقضى أجلُه، فتدعون في صدعٍ من الأرض غيرِ موسدٍ ولا ممهَّدٍ، قد خلج الأسبابَ، وفارقَ الأحبابَ، وسكنَ الترابَ، وواجه الحسابَ، غنيًا عما خلفَ، فقيرًا إلى ما أسلفَ، فاتقوا الله قبل نزولِ الموتِ وانقضاءِ مواعيتِه، وإني لأقولُ لكم هذه المقالةُ وما أعلمُ عند أحدٍ من الذنوبِ أكثرَ ممَّا أعلمُ عندي، ولكن أستغفرُ الله وأتوبُ إليه، ثم رفع طرفَ رداثه وبكى حتى شهق ثم نزل، فما عاد إلى المنبرِ بعدها حتى مات، رحمة الله عليه.

أَتَبَكِّي لِهَذَا الْمَوْتِ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ بِمَنْزِلَةِ تَبَقَّى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ فِي اللَّحْدِ وَالشَّرَى فَتَلَقَى كَمَا لَأَقَى الْقُرُونُ السَّوَالِفُ
أَرَى الْمَوْتَ قَدْ أَفْنَى الْقُرُونَ الَّتِي مَضَتْ فَلَمْ يَبْقَ دُونَ الْإِفِّ وَلَمْ يَبْقَ الْإِفُّ
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْنِ فِي النَّاسِ سَاعَةً إِذَا عُصِّبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُصْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَآخِرُ هَاتِفُ
وَعُودِرَ فِي لَحْدِ كَرِيهِ حُلُولُهُ وَتُعْقَدُ مِنْ لَبَنِ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
يَقِلُّ الْغِنَى عَنِ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالشَّرَى بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الدَّوَارِفُ

وَمَا مِنْ يَخَافُ الْبُعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزِينٌ مَوْجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ وَهَيِّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفٌ

اللهم أنظمننا في سلك حزبك المفلحين، واجعلنا من عبادك المخلصين
وآمننا يوم الفزع الأكبر يوم الدين، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

ويبحث في:

- (١) حكمُ صومِ رمضانَ.
- (٢) بيانُ مَنْ يجبُ عليه الصومُ.
- (٣) ما يثبتُ به الشهرُ.
- (٤) فيما يترتبُ على ثبوتِ رؤيةِ الهلالِ.
- (٥) لا يصحُّ صيامُ رمضانَ إلا بنيةً من الليلِ.

١- حكم صوم رمضان:

صوم رمضان فريضةٌ: والأصل في فريضته: الكتابُ والسنةُ والإجماعُ.

لله أما الدليل من الكتاب فقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

لله وأما السنة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

لله وأما الإجماع، فأجمع المسلمون على فرضية صوم شهر رمضان.

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (٢١/١٦).

٢- بيان من يجب عليه الصوم:

﴿ وَيُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ بَالِغٍ قَادِرٍ أَدَاءَ وَقِضَاءَ، وَلَا يَجِبُ عَلَى كَافِرٍ - سِوَا مَا كَانَ أَصْلِيًّا أَوْ مُرْتَدًّا -؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ لَا تَصَحُّ مِنْهُ فِي حَالِ كُفْرِهِ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قِضَاؤُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿ وَلِأَنَّ فِي إِجْبَابِ قِضَاءِ مَا فَاتَ فِي حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيرًا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَوْ أَسْلَمَ فِي أَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمْهُ مَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ، وَيَصُومُ مَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ. وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ^(١)؛ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةَ بِالْمَسْجِدِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّهْرِ، إِذْ إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ.

﴿ وَلَا يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى مُجَنُونٍ وَلَا صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»^(٢).

﴿ وَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْقُدْرَةِ عَلَى الصَّوْمِ؛ فَلِأَنَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ، وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ - إِذَا كَانَ الصَّوْمُ يُجَاهِدُهُمَا وَيَشْقُقُهُمَا شِدْقَةً شَدِيدَةً -، فَلَهُمَا أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعَمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ [البقرة: ١٨٤]: لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ اللَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ فَيُطْعَمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٠٢)، والترمذي في سننه (١٤٢٣)، والنسائي في الكبرى (٧٣٠٣)، وابن ماجه في سننه (٢٠٤٢).

ﷺ ورُوي أن أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه ضَعَفَ عن الصوم فصنع جفنةً من ثريدٍ، فدعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم^(١).

ﷺ والمريض الذي لا يُرجى بُرؤه، حُكِمه حُكْمُ الشَّيخِ الكَبِيرِ، يُطعم لكلِّ يومٍ مسكيناً.

٣- ما يثبت به الشهر:

ﷺ ويجب صومُ رمضان برؤية هلاله، أو إكمالِ شعبانِ ثلاثين يوماً، وتثبت رؤيةُ هلالِ رمضان بخبرِ مُسلمٍ مُكَلِّفٍ عدلٍ، ولو عبداً أو أنثى.

ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ﷺ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له»^(٢).

ﷺ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ترأى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه»^(٣).

ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنني رأيتُ الهلالَ، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: نعم، قال: «أتشهد أن محمداً رسول الله؟» قال: نعم، قال: «يا بلالُ، أذن في الناس فليصوموا غداً»^(٤).

ﷺ ويُستحبُّ إذا رأى الهلالَ أن يقولَ ما ورد، ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلالَ قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٥٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٢١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤١٩٤)، والدارقطني في سننه (٢٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٤٠)، والترمذي في سننه (٦٩١)، والنسائي في سننه (٢١١٢)، وابن ماجه في سننه (١٦٥٢).

- والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحِبُّ وترضى، ربُّنا وربُّكَ اللهُ»^(١).
- للهُ ومنه حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك اللهُ»^(٢).
- للهُ وإن حال دون مطلع الهلال ليلة الثلاثين من شعبان غيم أو قتر أو غيرهما، فإنه لا يجب صومه ولا يُستحب، بل المشروع فطره لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»^(٣).
- للهُ وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: من صام اليوم الذي يُشكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم رضي الله عنه^(٤).
- للهُ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحابٌ، فأكملوا العدة، ولا تستقبلوا الشهر استقبالا»^(٥).
- للهُ ويُسْتثنى القضاء والنذر والعادة، فيجوز صومها فيه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقدِّموا رمضان بصومٍ يومٍ ولا يومين، إلا رجلٌ كان يصوم صومًا فليصمه»^(٦).



- (١) أخرجه الدارمي في مسنده (١٧٢٩)، وابن حبان في صحيحه (٨٨٨).
- (٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٩٧)، والترمذي في سننه (٣٤٥١).
- (٣) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).
- (٤) أخرجه البخاري قبل حديث (١٩٠٦) تعليقا.
- (٥) أخرجه النسائي في سننه (٢١٢٩)، وأصله عند مسلم (١٠٨٧، ١٠٨٨).
- (٦) أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢).

٤- فيما يترتب على ثبوت رؤية الهلال:

ﷺ وإذا ثبت رؤية هلال رمضان ببلد لزم الناس كلهم الصوم إذا اتفقت المطالع لما روى "كُريب" قال: قدمت الشام، واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنه ثم ذكر الهلال، فقال: متى رأيتم الهلال؟ قلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم، وراه الناس وصاموا، وصام معاوية، فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: أفلا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ (١).

ﷺ ومن رأى وحده هلال رمضان ورد قوله لزمه الصوم وجميع أحكام الشهر من طلاقٍ وعتقٍ وغيرهما مُعلقين به، لعموم قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» (٢)، ولأنه تيقن أنه من رمضان فلزمه صومه، وأحكامه بخلاف غيره من الناس، ومن رأى وحده هلال شوال لم يفطر، لحديث «الفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحى الناس» (٣).

ﷺ وروى أبو قلابة، أن رجلين رأيا الهلال وهما في سفر، فتعجلا حتى قدما المدينة ضحى، فأخبرا عمر بن الخطاب بذلك، فقال عمر لأحدهما: أصائم أنت؟ قال: نعم، قال: لم؟ قال: لأنني كرهت أن يكون الناس صيامًا، وأنا مفطرٌ، فكرهت الخلافَ عليهم، فقال للآخر: «فأنت؟»

(١) أخرجه مسلم (١٠٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٨٠٢).

قال: أصبحت مفطرًا، قال: «لم؟» قال: لأني رأيت الهلال، فكرهت أن أصوم، فقال للذي أفطر: لولا هذا -يعني الذي صام- لرددنا شهادتك، ولأوجعنا رأسك، ثم أمر الناس فأفطروا، وخرج^(١).

وإنما أراد ضربه لإفطاره برؤيته وحده، ودفع عنه الضرب لكمال الشهادة به، ولو جاز له الفطر لما أنكر عليه ولا توعده، وإن صام الناس بشهادة اثنين: ثلاثين يومًا فلم يروا الهلال أفطروا لقول النبي ﷺ: «فإن غمَّ عليكم فصوموا ثلاثين ثم أفطروا»^(٢).

لله وإذا قامت البينة أثناء النهار لزم أهل وجوب الصوم الإمساك، ولو بعد أكلهم؛ لتعذر إمساك الجميع، فوجب أن يأتوا بما يقدرون عليه، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وحديث: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(٣).



(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٣٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (٥/١٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

٥- لا يصح صيام رمضان إلا بنية من الليل:

﴿ولا يصح صوم رمضان ولا غيره من الصيام الواجب إلا بنية من الليل لكل يوم.﴾

روت حفصة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من لم يُبَيِّت الصيام قبل الفجر فلا صيام له»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من لم يُبَيِّت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»^(٢).

﴿ومن نوى الصوم من الليل، ثم أتى بعد النية في الليل بما يُبطل الصيام كالأكل، لم تبطل النية لظاهر الخبر، ولأن الله أباح الأكل إلى آخر الليل، فلو بطلت به فات محلها، ومن خطر بباله أنه صائم غداً فقد نوى؛ لأن النية محلها القلب، والأكل والشرب بنية الصوم نية.﴾

قال الشيخ تقي الدين: هو حين يتعشى عشاءً من يريد الصوم، ولو نوت حائضاً أو نفساء صوم غد، وقد عرفت أنها تطهر ليلاً صحح لمشقة المقارنة، والله أعلم.

اللهم انظمننا في سلك الفائزين برضوانك، واجعلنا من المتقين الذين أعددت لهم فسيح جناتك، وأدخلنا برحمتك في دار أمانك، وعافنا يا مولانا في الدنيا والآخرة من جميع البلايا، وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك،

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٥٤)، والترمذي في سننه (٧٣٠)، والنسائي في سننه (٢٣٣٢)، وابن ماجه في سننه (١٧٠٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٢٣٤١)، والدارقطني في سننه (٢٢١٣) وهذا لفظه.

ومتّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين؛
الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

ويبحث في:

- (١) حكم صوم التطوع بنية من النهار.
- (٢) فيمن يُباح له الفطر، ومن يجب عليه.
- (٣) من عَرَضَ له جنونٌ أو إغماءٌ.

١- حكم صوم التطوع بنية من النهار:

◆ ويصح صومُ التطوع بنية من النهار قبل الزوال وبعده، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «هل عندكم شيء، فقلنا: لا، فقال: فإني إذن صائم»، ثم أتانا يوماً آخر، فقلنا: يا رسول الله أهدي لنا حيسٌ، فقال: «أرنيه، فلقد أصبحت صائماً»، فأكل^(١).

❦ وزاد النسائي: ثم قال: «إنما مثْلُ صوم التطوع، مثل الرجل يُخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها»^(٢).

❦ ومن لفظ له أيضاً قال: «يا عائشة، إنما منزلة من صام في غير رمضان أو في التطوع بمنزلة رجلٍ أخرج صدقة ماله فجاد منها بما شاء فأمضاه، وبخل منها بما شاء فأمسكه»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤/١٧٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٢٣٢٢)، وهي عند مسلم (١١٥٤) من قول مجاهد.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٢٣٢٣).

قال البخاري: وقالت أمُ الدرداء: كان أبو الدرداء يقول: عندكم طعام؟ فإن قلنا: لا، قال: فإني صائم يومي هذا. قال: وفعله أبو طلحة وأبو هريرة وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم (١).

❖ ويحكم بالصوم المُنابِ عليه من وقت النية، لحديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢)، وما قبله لم يوجد فيه قصد القربة، لكن يُشترط أن لا يوجد مُنافٍ غير نية الإفطار، اقتصاراً على مُقتضى الدليل، ونظراً إلى أن الإمساك هو المقصودُ الأعظم، فلا يُعفى عنه أصلاً، فإن فعل قبل النية ما يُفطره لم يَجْزُ الصيام، فلا يصحُّ صومٌ من أكل ثم نوى بقية يومه؛ لعدم حصول حكمة الصوم، ويصحُّ تطوعٌ حائضٍ ونفساءٍ طُهِّرت في يومٍ بصومٍ بقيته، وتطوعٌ كافرٍ أسلم في يومٍ لما يأتيا فيه بمفسدٍ من أكلٍ أو شربٍ ونحوهما وإن بلغ صبي، أو أسلم كافر، أو أفاق مجنون في أثناء النهار، وهم مفطرون، لزمهم الإمساك عن مفسدات الصوم، لحرمة الوقت ولزوال المبيح، وإن طهرت حائضٌ أو نفساءٌ، أو قدم مسافرٌ مفطراً؛ فعليهم الإمساك والقضاء ولا خلاف في وجوب القضاء عليهم لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❖ ولقول عائشة رضي الله عنها: كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم (٣)، وكذا الحكم في المريض إذا صحَّ في أثناء النهار، وكان مفطراً.

❖ وَيُسْنُ الْفِطْرُ لِمَسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ الْقَصْرُ، وَلِمَرِيضٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ولحديث: «ليس من

(١) أخرجه البخاري معلقاً قبل حديث (١٩٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).

البر الصيام في السفر»^(١).

وفي رواية أخرى، قال رسول الله ﷺ: «... عليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها»^(٢). وإن صام أجزاءه.

وعن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ: أصوم في السفر؟ قال: «إن شئت فصم، وإن شئت فافطر»^(٣).

وفي رواية: «هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه»^(٤).

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



٢- فيمن يُباح له الفطر ومن يجب عليه:

◇ ويُباح الفطر لحاضرٍ سافرٍ في أثناء النهار، لحديث أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه، أنه ركب في سفينة من الفسطاط في شهر رمضان، فدفع، ثم قرب غداءه، فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة، ثم قال: اقترب! قيل: ألسنت ترى البيوت؟ قال: أترغب عن سنة محمد ﷺ؟ فأكل^(٥).

◇ وإن صام أجزاءه، لحديث: «هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٢٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧/١١٢١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤١٢).

(٦) أخرجه مسلم (١٠٧/١١٢١).

﴿ وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِحَامِلٍ وَمُرْضِعٍ، إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا، فَيُفْطِرَانِ وَيُقْضِيَانِ كَالْمَرِيضِ الْخَائِفِ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرْتَا وَقُضِيَ، وَلِزِمَ وَلِيُّ الْوَالِدِ إِطْعَامَ مَسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة وهما يُطيقان الصيام أن يُفطرا ويُطعما مكان كل يوم مسكيناً والحُبلى والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا"^(١). رواه أبو داود.

وروي ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٢)، ولا يخالف لهم من الصحابة رضي الله عنهم، وليس لمن جاز له الفطرُ برَمضان أن يصوم غيره فيه؛ لأنه لا يسع غير ما فُرِضَ فيه، ولا يصلح لسواه، ويجب الفطرُ على مَنْ احتاجه لإنقاذ معصومٍ من مهلكة، كغرقٍ؛ لأنه يمكنه تداركُ الصوم بالقضاء، بخلاف الغريق ونحوه، ويجب الفطرُ على الحائض والنفساء، لما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تصم»^(٣) متفق عليه.



(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣١٨)، وأصله عند البخاري (٤٥٥٥).

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٢٣٨٥، ٢٣٨٨، ٢٣٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

٣- من عرض له جنونٌ أو إغماءٌ:

◊ ومن نوى الصومَ ثم جُنَّ أو أُغمي عليه جميع النهار، ولم يُفق جزءًا منه لم يصحَّ صومه؛ لأن الصومَ: الإمساكُ مع النية، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﻋﻠﻴﻪ: الصومُ لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي...»^(١)، فأضاف التركَ إليه، وهو لا يُضاف إلى المجنونِ والمُغمى عليه، فلم يُجز، والنية وحدها لا تُجزي، ويصح الصومُ ممن أفاق جزءًا منه حيث نوى ليلاً لصحةِ إضافةِ التركِ إليه إذا، ويُفارق الجنونُ الحيضَ بأنه لا يمنع الوجوبَ، بل يمنع الصحةَ ويحرم فعله، ويصحُّ صومُ مَنْ نام جميعَ النهارِ؛ لأن النومَ -عادةً- لا يزول الإحساسُ به بالكلية؛ لأنه متى نُبِّه انتبه، ويقضي مُغمى عليه زمنَ إغمائه؛ لأنه مُكَلَّفٌ، ولأن مدةَ الإغماء لا تطول غالبًا، ولا تثبت الولايةُ عليه، ولا يقضي مجنونٌ زمنَ جنونه لعدم تكليفه.



(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١).

(موعظة)

إخواني؛ إن الغفلة عن الله مصيبةٌ عظيمةٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]. فَمَنْ غفل عن ذكر الله، وألَهتُهُ الدنيا عن العمل للدار الآخرة، أنساه العمل لمصالح نفسه، فلا يسعى لها بما فيه نفعها ولا يأخذ في أسباب سعادتها وإصلاحها وما يكملها، ويُنسى كذلك أمراض نفسه وقلبه وآلامه فلا يخطر بباله معالجتها، ولا السعي في إزالة عليلها وأمراضها التي تؤول إلى الهلاك والدمار، وهذا من أعظم العقوبات، فأَي عقوبةٍ أعظم من عقوبة مَنْ أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وفلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم، ومَنْ تأمل هذا الموضعَ تبين له أن كثيراً من الخلق قد نسوا أنفسهم وضيعوها، وأضاعوا حظَّها وباعوها بثمنٍ بخسٍ بيع المغبون، ويظهر ذلك عند الموت، ويتجلَّى ذلك كلُّه يوم التغابن: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، يوم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

إنها لحسرةٌ على كلِّ ذي غفلةٍ دونها كلُّ حسرةٍ، هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالةَ بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، نسأل الله العفوَّ والعافيةَ في الدنيا والآخرة.

اللهم اعطنا من الخير فوق ما نرجو، واصرف عنا من السوء فوق ما نحذر. اللهم علِّقْ قلوبنا برجائك، واقطع رجاءنا عن سواك. اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حاجتنا فاقضها، كفى بك ولياً، وكفى بك نصيراً، يا رب العالمين. اللهم وفقنا لسلوك سبيل عبادك الأخيار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

ويبحث في:

(١) ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها.

(٢) حكم ما إذا أكل أو شرب ناسياً.

(٣) بعض فوائد الصوم.



١- ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها:

◆ يحرم على كل مسلم عاقلٍ تناول مفطراً من غير عذر، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقض عنه صوم الدهر كله وإن صامه»^(١).

❦ وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا اصعد فقلت: إني لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سراة الجبل، إذا بأصواتٍ شديدة قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار،

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٩٦)، والترمذي في سننه (٧٢٣)، والنسائي في الكبرى (٣٢٦٥)، وابن ماجه في سننه (١٦٧٢).

ثم انطلق بي فإذا أنا بقومٍ مُعلقين بعراقيهم مُشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا قال قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يُفطرون قبل تحلة صومهم»^(١)
الحديث رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

◊ ومما يحرم على الصائم: الأكلُ والشربُ بعد تبينِ الفجرِ الثاني، لقوله تعالى: ﴿... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

◊ فمن أكل أو شرب مختارًا ذاكرًا الصومه أبطله؛ لأنه فعل ما يُنافي الصومَ لغير عذر.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٢٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٨٦) [وعنه ابن حبان في صحيحه (٧٤٩١)] وهذا لفظه.

٢- حكم ما إذا أكل أو شرب ناسيتاً:

❖ ولا يُفطر مَنْ أكل أو شرب ناسيتاً، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»^(١).

وفي رواية: «من أفطر في رمضان ناسيتاً فلا قضاء عليه ولا كفارة»^(٢).

❖ ومن ذرعه القيء فلا شيء عليه، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذرعه القيء فلا قضاء عليه، ومن استقاء فعليه القضاء»^(٣).

❖ ومما يُفطر: الحجامة، لما ورد عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى على رجل بالقيح وهو يحتجم في رمضان، فقال: «أفطر الحاجم والمحجوم»^(٤).

❖ وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»^(٥).

❖ ومما يحرم على الصائم ويُبطل صيامه: الجماع في نهار رمضان، وعليه القضاء والكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٩٩٠)، وعنه ابن حبان في صحيحه (٣٥٢١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٨٠)، والترمذي في سننه (٧٢٠)، والنسائي في الكبرى (٣١١٧)، وابن ماجه في سننه (١٦٧٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٦٩)، والنسائي في الكبرى (٣١٢٦)، وابن ماجه في سننه (١٦٨١)، وأخرجه البخاري تعليقا قبل حديث (١٩٣٨) عن الحسن البصري عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٨٢٨)، والنسائي في الكبرى (٣١٢٦)، وانظر التعليق السابق.

قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل فقال: هلكت يا رسول الله، قال ﷺ: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد ما تُعتق رقبة؟» قال: لا، قال: «اجلس». ومكث النبي ﷺ فيبيننا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر - والعرق المكتل الضخم -، قال: «أين السائل؟» قال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به»، فقال الرجل: أعلّني أفقر مني يا رسول الله؟، فوالله ما بين لابتها - يريد الحرّتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذُه، ثم قال: «أطعمه أهلك»^(١). متفق عليه.

♦ وتحرم المباشرة فيما دون الفرج إن ظنّ إنزالاً، فإن باشر فيما دون الفرج، فأنزل منياً فسد صومُه؛ لأنه إنزالٌ عن مباشرة، فأشبهه الجماع.

♦ ومما يفطر: الردة عن الإسلام - أعادنا الله منها -، قال الله تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

♦ ومما يفطر: إيصال الأغذية بالإبرة إلى الجوف من طعام أو شراب؛ لأنه في معنى الأكل والشرب من غير فرق، وأما الحبوب الغذائية والدوائية والمشاركة فيفطر من أكلها.

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(موعظة)

عبادَ الله؛ إن قوارعَ الأيامِ خاطبةٌ، فهل أذنُّ لعظاتها واعيةٌ، وإنَّ فجاجِعَ الموتِ صائبةٌ، فهل نفسٌ لأمر الآخرةِ مراعيةٌ، إن مطالعَ الآمالِ إلى المسارعةِ إلى الخيراتِ ساعيةٌ، ألا فانظروا بثواقبِ الأبصارِ والبصائرِ في نواحي الجهاتِ والأقطارِ، فما ترون في حشودكم وجموعكم إلا الشتاتِ، ولا تسمعوا في ربوعكم إلا فلان مريض، وفلان مات، أين الآباءُ الأكابرُ! أين العلماءُ العاملون بعلمهم الذين لا تأخذهم في الله لومةٌ لائمٍ، المناصحون لولاتهم وأمتهم، الزاهدون في حطام الدنيا الفانية! أين الكرماءُ الأفاضل الذين يغارون إذا انتهكت المحارمُ! أين الهاجرون المصارمون للفاسق والفاجر! أين المناصرون للقائم على أهل المعاصي والكبائر! أين أهل الولاء والبراء، المحبون في الله، المُبغضون لأعدائه!

أين المنقون لِمآكلهم وملابسهم ومساكنهم عن الحرام والمشتبه، وهو ما كان القلبُ في الإقدام عليه والكف عنه حائرًا!

أين الذين لا يسكنون إلا برضا صاحب المُلْك خوفًا من المخاطرة في صلاتهم وصيامهم ونكاحهم ومكثهم في الأملاك المسكونة قهراً وغصبًا.

أين المُتفقِّدون للفقراء والمساكين الذين ليس لهم موارد!

عشرت والله بهم العوائزُ، وأبادتهم السنينُ الغوابرُ وبترت أعمارهم الحادثاتُ البواترُ، واختطفهم عقباتُ كواسرُ، وخلت منهم المشاهدُ والمحاضرُ، وعدمت من أجسادهم تلك الجواهرُ، وطفئت من وجوههم الأنوارُ الزواهرُ، وابتلعتهم الحفرُ والمقابرُ إلى يوم تبلى السرائرُ، فلو كُشفت عنهم أغطيةُ القبورِ بعد ليلتين أو ثلاث ليالٍ لرأيت الأحداقَ على الخدودِ سائلةً، والأوصالَ بعضُها عن بعضٍ مائلةً، وديدانَ الأرضِ في نواغم تلك

الأبدانِ جائلةً، والرؤوسَ الموسدة على الإيمان زائلةً، ينكرها من كان عارفاً بها، وينفر عنها من لم يزل ألفاً بها.

فلا يُعرف السيدُ من المسود، ولا الملكُ من المملوك، ولا الذكيُّ من البليد، ولا الغنيُّ من الفقير، فرحم الله عبداً بادر بالإقلاع عن السيئات، وواصل الإسراعَ والمبادرةَ في الأعمالِ الصالحاتِ قبل انقطاعِ مُدد الأوقات، وطبّي صحائف المستودعات، ونشرِ فضائح الاقترافات والجنيات، فلا تغتروا بحياةٍ تقودُ إلى الممات، فورب السماء والأرض إنما توعدون لآتٍ، فالبدارَ البدارَ قبل أن تتمنوا المهلة، وهيئات.

شعراً:

أَسْلَفْنَا وَهُمْ لِلدِّينِ قَدْ شَادُوا
وَنَحْنُ لِلْقَوْمِ أَبْنَاءُ وَأَحْفَادُ
عَوَاقِبُ كُلُّهَا نُجْحٌ وَإِمْدَادُ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلْنَ أَمَادُ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
لَوْلَا النَّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تَحْفَرْنَ أَلْحَادُ
تَبْقَى دَوَامًا بِهَا حَشْرٌ وَمِينَعَادُ
لِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالُ وَأَوْتَادُ
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَهَّادُ
فَبَادِرِ الْفَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ نُصْطَادُ

نَمْضِي عَلَى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
لَنَا بِهِمْ أَسْوَةٌ إِذْ هُمْ أَيْمَّتْنَا
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
فَاصْبِرِ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكُ
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَن مَّصَارِعِهِمْ
دُنْيَا تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدْرُ
كُنَّا عَدَدْنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُدَّتَهُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
وَجَنَّةٌ أُرْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ

وَالْمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَّابِ تُحْفَتُهُ
 لِقَا الْكَرِيمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
 فَضْلُ مِنَ اللَّهِ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
 فَالظَّنُّ بِاللَّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا
 نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَسْتُرُنَا
 نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً
 وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ اللَّهِ كَيْفَ قَضَا

اللهم وفقنا لسلوك مناهج المتقين، وخصنا بالتوفيق المبين، واجعلنا
 بفضلك من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا
 ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم
 الراحمين، وصل على الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



٣- بعض فوائد الصيام:

عباد الله؛ إن لشهر رمضان - شرفه الله - فوائد عظيمةً ومنافعَ جمّةً وآثارًا حسنةً؛ فهو يضبط النفس، ويُطفيء شهواتها، فإنها إذا شبت تمرّدت في الغالب، وسعت في شهواتها، وإذا جاعت سكنت وخضعت وامتنعت عمّا تهوى، ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذلك أنه يكسر من شهوة الشباب، حتى لا تطغى عليه الشهوة، فكان الصوم وسيلةً إلى كَفِّ النفس عن المعاصي، فسبحانه من إله حكيمٍ عليمٍ، فالصيام يُربّي في الإنسان الفضائل والإخلاص والأمانة والصبر عند الشدائد؛ لأنها إذا انقادت للامتناع عن الحلال من الغذاء الذي لا غنى لها عنه طلبًا لمرضاة الله تعالى وخوفًا من أليم عقابه.

فالأحرى بها أن تتمرن على الامتناع عن الحرام، الذي هي غنية عنه، وتبعد عنه كلّ البعد، فلا يغدر ولا يخون ولا يخلف وعدًا ولا يكذب ولا يُرائي.

فإذا وفقه الله صلى الله عليه وآله لصون صيامه عن المفسدات والمنقصات، فالصوم لمن وفقه الله صلى الله عليه وآله سببٌ في اتقاء المحارم وقوة العزيمة والتحلّي بالفضائل والتخلّي عن الرذائل، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فالصوم يدعو إلى شكر نعمة الله؛ إذ هو كَفُّ النفس عن الطعام والشراب ومباشرة النساء، وكلُّ هذا من جلائل نعم الله على خلقه.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (١٤٠٠).

والامتناع عن هذه النعم من أول يوم من شهر رمضان إلى آخره يُعرّف الإنسان قدرها؛ إذ لا يُعرف فضل النعمة إلا بعد فقدها، فبيعه ذلك على القيام بشكرها، وشكر النعمة واجب على العباد، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأيضاً فالصيام يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء، والعطف على البائسين؛ فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات تذكّر الفقير الجائع في جميع الأوقات، فيسارع إلى رحمته والإحسان إليه، قيل ليوסף عليه السلام - وكان كثير الجوع-: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال: إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع^(١).

ومن فوائد الصيام ما ذكر من أنه ينقي الجسم من الفضلات الرديئة ورطوبات الأمعاء، ويشفي كثيراً من الأمراض بإذن الله تعالى، وفيه من المزايا الصحية ما شهد به العدو قبل الصديق، فسبحانه من إله عليم حكيم.

ومن فوائد الصيام أنه يقوّي النفس على البرّ والحلم، وهما تجنّب كلّ ما من شأنه إثارة الغضب؛ لأن الصوم نصف الصبر^(٢)، والصبر نصف الإيمان^(٣) كما قال صلى الله عليه وآله، ولما روى النسائي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديثه الطويل، أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصوم جنة^(٤)»، فالصوم جنة من العذاب ومن الأخلاق السيئة.

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥١٩) من حديث صحابي من بني سليم رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤ / ٥) وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٦٦٦) وغيره موقوفاً.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦١٦)، والنسائي في سننه (٢٢٢٤)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣).

وَمَنْ يُلَاحِظْ حَالَ الصَّائِمِينَ الْمُؤَقِّقِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحَرِّيِ الطَّاعَةِ وَتَحَرِّيِ سَبِيلِ الْخَيْرَاتِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِحْسَانِ، يُدْرِكُ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ الْهَدَايَةَ، وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ» وَيُدْرِكُ مَا فِيهِ مِنْ تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَوْبُوءَةِ، وَتَرْوِيضِهَا عَلَى الطَّاعَاتِ، وَإِعْدَادِهَا لِلْسَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، وَحَسْبُكَ فِي فَضْلِ الصِّيَامِ قَوْلُهُ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»^(١).

وفي رواية: يقول الله ﷻ: «يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي، فالصوم لي وأنا أجزي به»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم، هل هي في الدنيا أو في الآخرة؟ على قولين...، وفصل النزاع في المسألة أن يقال حيث أخبر ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر في السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يُمسون؛ فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد.

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٩٩٩٩).

فَرُبَّ مَكْرُوهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْعَكْسِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْرَهُونَهُ لِمَنَافَرَتِهِ لَطِبَاعِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتِطِيعُ وَيُحِبُّهُ لِمُوَافَقَتِهِ لِأَمْرِهِ وَرِضَاهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ أَطِيبَ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ عِنْدَنَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهَرَ هَذَا الطَّيِّبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عِلَانِيَةً.

وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة^(١).

اللهم يا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٢٧، ٣٠).

(فصل)

ويبحث في :

- (١) ذكر أشياء تخفى على بعض الناس.
- (٢) ذكر أشياء تحرم، ويتأكد تحريمها في حق الصائم.
- (٣) الحث على صيانة الوقت، وصرفه فيما فيه النفع في الدنيا والآخرة.
- (٤) فيما يُستحب للصائم أن يقوله أو يفعله.
- (٥) أحكام القضاء.



١- ذكر أشياء تخفى على بعض الناس:

◆ يجوز لمن جامع بالليل أن لا يغتسل حتى يطلع الفجر، وصومه صحيح، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: يا رسول الله، تُدركني الصلاة وأنا جُنُبٌ أفأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأنا تُدركني الصلاة وأنا جُنُبٌ أفأصوم» فقال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي»^(١).

للهم وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُصبح جنباً من جماعٍ غير احتلام، ثم يصوم في رمضان^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣١، ١٩٣٢)، ومسلم (٧٨/١١٠٩).

- ♦ لكن يُستحب لمن لزمه الغسلُ ليلاً من جنبٍ وحائضٍ ونفساءٍ انقطع دُمها، وكافرٍ أسلم، أن يغتسل قبل طلوع الفجر الثاني.
- ♦ ولو أراد أن يأكل أو يشرب من وجب عليه الصومُ في نهار رمضان ناسياً أو جاهلاً وجب على من رآه إعلامه؛ لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب النصيحة للمسلم.
- ♦ ومن أكل شاكاً في طلوع الفجر، ودام شكُّه، فلا قضاء عليه لظاهر الآية، وإن أفطر يظن أن الشمس قد غابت، ولم تغب فعليه القضاء، لما روى هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: "أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ في يوم غيم، ثم طلعت الشمس" قيل لهشام بن عروة -وهو راوي الحديث-: أمروا بالقضاء؟ قال: لا بد من قضاء^(١).
- ♦ ولا يفسد صوم من طار إلى حلقة ذباب، أو غبار من طريق، أو دقيق أو دخان، لعدم إمكان التحرز منه، وأما الدخان الذي بُلي به كثير من الناس فمُحرّم، ويُفطر من شربه.
- ♦ ولا يُفطر إن فكّر فأنزل، لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمّتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم»^(٢).
- ♦ ولا يُفطر إن احتلم؛ لأن ذلك ليس بسببٍ من جهته.
- ♦ ومن اغتسل أو تمضمض أو استنشق فدخل الماء إلى حلقة بلا قصد، لم يفسد صومه، لما ورد من أن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: "نشهد على

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

رسول الله ﷺ إن كان ليُصبح جُنُبًا من غير احتلام، ثم يغتسل^(١).

♦ وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق للصائم، لما ورد عن لقيط بن صبرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا»^(٢).

♦ ويجوز للصائم أن يفعل ما يُخفف عنه شدة الحر والعطش، وذلك كالتبريد بالماء، لما ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ صبَّ على رأسه الماء وهو صائم من العطش ومن الحر^(٣)، وورد أن ابن عمر رضي الله عنهما بلَّ ثوبًا فألقاه على نفسه وهو صائم، وكان لأنس بن مالك رضي الله عنه حجرٌ منقورٌ يُشبه الحوض، إذا أصابه الحرُّ وهو صائم نزل فيه، وقال الحسن رضي الله عنه: لا بأس بالمضمضة والتبرُّد للصائم^(٤)، ذكر هذه الآثار البخاري تعليقا، والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (١٩٣١، ١٩٣٢)، ومسلم (٧٨/١١٠٩) بنحوه، وقد تقدم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٢)، والترمذي في سننه (٣٨)، والنسائي في سننه (٨٧)، وابن ماجه في سننه (٤٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٦٥).

(٤) أثر ابن عمر وأنس رضي الله عنهما والحسن البصري رضي الله عنه، أخرجه البخاري قبل حديث (١٩٣٠) تعليقا.

٢ - ذكر أشياء تحرم ويتأكد تحريمها في حق الصائم:

◆ يجب اجتناب كل كذبٍ محرم، أما الكذبُ لتخليص معصومٍ من قتلٍ فواجبٌ، قلت: ويترجح عندي مثله أيضًا: تخليصُ ماله من ظالمٍ أو قاطعِ طريقٍ أو غاصبٍ أو نحو ذلك، والمال مُثمن والأحسن يتأول، ولإصلاح بين الزوجين فمباح، لما ورد عن أم كلثوم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس ويقول خيرًا أو ينمي خيرًا»^(١) متفق عليه.

◆ ثم اعلم أن الداعي إلى الكذبِ محبةُ النفعِ الدنيوي وحبُّ التراث، وذلك أن المخبرَ يرى أن له فضلًا على المخبرِ بما علمه، فهو يتشبهه بالعالم الفاضل فيظن أنه يجلب بما يقوله فضلًا ومسرة، وهو يجلب به نقصًا وفضيحة، فالكذبُ رذيلةٌ محضةٌ من أرذل الرذائل يُنبئُ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك يُنشيءُ الشرَّ إنشَاءً، فالكذبُ يتصدّع به بنيانُ المجتمع، وبه يختلُّ سيرُ الأمور، ويُسقطُ صاحبَه من العيون، ولا يُوثق في قوله، ولا يُوثق به في عمل، ولا يُرغب له مجلسٌ، وأحاديثه عند الناس متروكةٌ، وشهادته مردودةٌ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»^(٢) رواه أحمد.

ﷺ وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه مرفوعًا: «ويل للذي يُحدث ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٩٠)، والترمذي في سننه (٢٣١٥)، والنسائي في الكبرى (١١٠٦١).

ﷺ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان خُلُق أبغض إلى أصحاب رسول الله من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله ﷺ الكذبة، فما يزال في نفسه عليه حتى يعلم أنه أحدث منها توبة^(١). رواه أحمد.

ﷺ وفي الحديث الآخر أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن كذابًا، قال: «لا»... الحديث^(٢). رواه مالك والبيهقي في شعب الإيمان.

ﷺ وقال ابن القيم رحمته الله: إياك والكذب؛ فإنه يُفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس؛ فإن الكاذب يصور المعدوم موجودًا، والموجود معدومًا، والحق باطلاً والباطل حقًا، والخير شرًا، فيفسد عليه تصوُّره وعلمه عقوبةً له، ثم يصور ذلك في نفس المخاطب المغترِّب به الراكن إليه، فيفسد عليه تصوُّره وعلمه، ونفس الكاذب مُعرضةٌ عن الحقيقة الموجودة، نزاعةٌ إلى العدم، مؤثرةٌ للباطل، ولهذا كان الكذب أساس الفجور، كما قال النبي ﷺ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار»^(٣)، وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، كما أفسد على اللسان أقواله، فيعمُّ الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد، ويطرامى داؤه إلى الهلكة، إن لم يتداركه الله بدواء الصدق، بقلع تلك المادة من أصلها. ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥١٨٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠) (١٩)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

أصلها الكذب، فكلُّ عملٍ صالحٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمَنْشؤه الصدقُ، وكلُّ عملٍ فاسدٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمَنْشؤه الكذبُ، والله تعالى يُعاقب الكذَّابَ بأن يُقعدَه ويثبِّطَه عن مصالِحِه ومنافعِه، ويثيبُ الصادقَ بأن يوقِّعَه للقيام بمصالحِ دُنياهِ وآخرته. فما استُجلبتِ مصالِحُ الدنيا والآخرةِ بمثلِ الصدقِ، ولا مفاسدُهما ومضارُهما بمثلِ الكذبِ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ نَبْعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]. وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]^(١).

شعراً:

عَوْدٌ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَبُ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ يَعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ فَاَنْظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ
اللهم نورِ قلوبنا بنور الإيمان، وثبِّتها على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واجعلنا هُداةً مُهتدين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين، يا أكرمَ الأكرمين، ويا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على مُحمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



٣- الحث على صيانة الوقت و صرفه فيما فيه النفع في الدنيا والآخرة:

◊ ومما يتأكد اجتنابه والتحذير منه في رمضان وغيره: الجلوس في المجالس التي هي كفيلة بالخسران والندامة، كمجالس آلات اللهو من الأسطوانات والمذياع (الراديو)، وأعظم من ذلك السينما والتلفزيون والفيديو، ومجالس شرب الدخان ونحوه، والغيبة والبهت والسخرية والاستهزاء وملاعب الكرة والورق والكيرم والنرد، ونحو هذه المجالس الدنيئة التي كم قتلت من أوقات، وكم ضاع فيها من أموال، وكم جنت على أصحابها وغيرهم من آثام وأوزار وشرور وأضرار.

نسأل الله العصمة لنا ولإخواننا المسلمين من تعاطيها بيعاً وشراءً واستعمالاً واقتناءً وحضوراً وإعانةً وتشجيعاً.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله؛ فإنهن من الحق»^(١).

لله في هذا الحديث دليل على أن كل ما يلهو به الإنسان فهو باطل، أي محرم ممنوع، ما عدا هذه الثلاث التي استثناها رسول الله ﷺ، فإنهن من الحق أو وسيلة إلى الحق.

لله وقال شيخ الإسلام رحمته الله في الكلام على حديث عقبة: كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل... الحديث، ما معناه: الباطل ضد الحق فكل ما لم يكن حقاً ووسيلة إليه ولم يكن نافعا فإنه باطل، مشغل للوقت، مفوت على الإنسان ما ينفعه في دينه ودنياه، فيستحيل على الشرع إباحة مثل هذا^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥١٣)، والترمذي في سننه (١٦٣٧)، والنسائي في سننه (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢٣ / ٣٢) بمعناه.

ﷺ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إذا أشكل حكمُ شيءٍ؛ هل هو الإباحة أو التحريم؟ فليُنظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة، فإنه يستحيل على الشارع الأمرُ به أو إباحته، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعيٌّ، ولا سيما إذا كان مفضياً إلى ما يُغضب الله ورسوله، موصلاً إليه عن قرب^(١). وقال شيخ الإسلام: لا يجوز اللعب بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمةٍ وإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به فهو منهيٌّ عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يُستعان به على حق شرعي فكل حرام^(٢).

◆ وكذا ينبغي أن يحذَرَ مما يعوق سيرَه إلى الله والدارِ الآخرة، كالمطالعة في المجلات والصحف والكتب، التي لا يعود على صاحبها منها إلا الضررُ، وضياعُ عمره الذي هو رأسُ ماله فيها، وسوف يُسأل الإنسانُ عما أفناه فيه، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يزول قدمُ ابنِ آدمٍ يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس؛ عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين كسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»^(٣).

ﷺ قال شيخ الإسلام: "بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا، وهذا أصل متفق عليه بين العلماء، ومن خرج عن هذا كان سفيهاً... مُبذراً لماله^(٤). فالحي ينفق ماله في منافع دينه أو مباحات دنياه، وأما الميتُ ففي أوقافه ووصاياها، فتتعيَّن منافع الدين في حقه، ولهذا اشترط في الوقف القرابة،

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٣).

(٢) انظر الاختيارات الفقهية للبعلي (٤٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٨) (٩٧٧٢) وهذا لفظه.

(٤) مجموع الفتاوى (٣١/ ٣٢) بتصرف.

فلا يصير إلى جهةٍ مُحَرَّمَةٍ أو مكروهةٍ أو مباحةٍ، بل إما إلى واجبٍ أو مستحبٍ، وعلى هذا فالشروط المتضمنة للأمر بما نهى الله عنه ورسوله أو النهي عما أمر الله به ورسوله مخالفةٌ للنص والإجماع.

للإمام قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره، والأيام والليالي مراحل فلا يزال يطويها حتى ينتهي السفر، فالكيِّس لا يزال مهتماً بقطع المراحل فيما يقربه على الله ليجد ما قدم محضراً ثم الناس منقسمون إلى أقسام، منهم من قطعها متزوداً بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصي، ومنهم من قطعها سائراً فيها إلى الله وإلى دار السلام، وهم ثلاثة أقسام: سابقون أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها، وتركوا المحارم، والمكروهات وفضول المباحات، ومقتصدون أدوا الفرائض وتركوا المحارم، ومنهم الظالم لنفسه الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم في ذلك درجات متفاوتون تفاوتاً عظيماً^(١).

◆ والموفق من يغتنم الزمانَ فيصرفه في طاعة الله ﷻ، من دراسة كتابه وسنة رسول الله ﷺ وتدبرهما وتفهمهما، والنظر في كتب التفسير، كتفسير ابن جرير وابن كثير ونحوهما من المحققين، والمطالعة في شرح البخاري ومسلم وسائر السنن، ومُصنفات العلماء المُحَقِّقِينَ، كالموفق والمجد وشيخ الإسلام وابن القيم ونحوهم من الأئمة، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

(١) طريق الهجرتين (ص ٢٨٨) بتصرف.

وقال بعضهم يُوبِّخُ نَفْسَهُ، ويحثُّهَا عَلَى حِفْظِ الْوَقْتِ:

مَا بِأَلِّ قَلْبِكَ قَدْ أَلْهَاهُ عَاجِلُهُ
يَا غَافِلًا وَالْمَنِيَا غَيْرُ غَافِلَةٍ
دُنْيَاكَ وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ قَدْ نَصَبُوا
يَا عَالِمًا حُبُّهُ دُنْيَاهُ يُذْهِلُهُ
أَعْطَيْتَ مُلْكًا فَسُسْ مَا أَنْتَ مَالِكُهُ
وَبَادِرِ الْعُمَرَ فَالسَّاعَاتُ تَنْهَبُهُ
وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْمَوْتِ عَضُّ يَدٍ
يَا مُسْمِنَ الْجِسْمِ مُخْتَارًا مَا كَلَهُ
وَحَاسِبِ النَّفْسِ فِيمَا أَنْتَ آخِذُهُ
يَا طَالِبَ الْجَاهِ كَيْ يَسْمُو بِدَوْلَتِهِ
هَلْ نَالَ قَطُّ امْرُؤٌ عَزًّا عَلَى نَفْرٍ
اعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَامِلٍ بِالتَّقَى مَلِكًا
إِنْ تُبِتَ جَادًا وَإِنْ أَحْسَنْتَ زَادَ وَإِنْ
يَا عَبْدُ جَوَّدَتَ فِيمَا أَنْتَ قَائِلُهُ
فَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ مَعْرُوضَانِ مِنْكَ عَلَى
لَا تَرْضَ بِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ مَنْقَبَةً
فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ عَمَّا فَاتَ مِنْ زَلِيلٍ
وَارْبِخْ أَوْاخِرَ عُمُرٍ لَا بَقَاءَ لَهُ

مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ حَتَّى فَاتَ آجِلُهُ
هَلْ رَدَّ حَتْفَ امْرِيٍّ عَنْهُ تَعَافُلُهُ
لَكَ الْحَبَائِلُ فَاَنْظُرْ مَنْ تَقَاتِلُهُ
عَنْ رُشْدِهِ فَهُوَ بِالتَّحْقِيقِ جَاهِلُهُ
مَنْ لَمْ يَسُسْ مُلْكَهُ فَالْمُلْكُ قَاتِلُهُ
وَمَا انْقَضَى بَعْضُهُ لَمْ يَبْقَ كَامِلُهُ
مِنْ نَادِمٍ وَلَوْ انْتَبَتَ أَنَامِلُهُ
هُوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّ الدُّودَ آكِلُهُ
قَبْلَ الْحِسَابِ الَّذِي تُعِينِي مَسَائِلُهُ
عَلَى جَهُولٍ بِدُنْيَاهُ يُطَاوِلُهُ
إِلَّا بِذُلِّ لِمَنْ مِنْهُ يُحَاوِلُهُ
يَفُوزُ بِالتَّعَمِّ الْعُظْمَى مُعَامِلُهُ
أَعْرَضْتَ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا يُوَاصِلُهُ
فَهَلْ تُجَوِّدُ فِيمَا أَنْتَ عَامِلُهُ
مَنْ يَنْفِصِلُ الْجَدَّ مِمَّا أَنْتَ هَازِلُهُ
فَإِنَّ ذَاكَ خَسِيسُ الْحَظِّ نَازِلُهُ
وَأَنْهَضْ لِتُصْلِحَ مِنْهُ مَا يُقَابِلُهُ
فَقَدْ تَقَضَّصَتْ بِخُسْرَانٍ أَوَائِلُهُ

اللهم إنك تعلم سرّنا وعلانيتنا، وتسمع كلامنا، وترى مكاننا، لا يخفى عليك شيءٌ من أمرنا، نحن البؤساء الفقراء إليك، المستغيثون المستجيرون بك، نسألك أن تُقيِّضَ لدينك مَنْ ينصره ويزيل ما حدث من البدع والمنكرات، ويقىمَ علمَ الجهاد ويقمعَ أهلَ الزيغ والكفرِ والعنادِ، ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، واصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



٤- فيما يُستحب أن يقوله أو يفعله

◆ يُستحب أن يتسحر للصوم، لما ورد عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تسحروا؛ فإن في السحور بركة»^(١).

ﷺ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٢).

ﷺ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»^(٣).

ﷺ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم على السحور في رمضان فقال: «هلم إلى الغداء المبارك»^(٤).

ﷺ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم سحور المؤمن التمر»^(٥).

◆ وينبغي أن يُخففَ عشاءه في ليالي رمضان؛ ليهضم طعامه قبل السحور، ولأن الامتلاء من الطعام ربما يكون سبباً للتخمة.

ﷺ وعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٤٦٧)، وأخرجه أحمد في مسنده (١١٠٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٤٤)، والنسائي في سننه (٢١٦٣).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٤٥).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٨٦)، والترمذي في سننه (٢٣٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦٧٣٧)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

♦ والشبع مذموم؛ لأنه يوجب تكاسل البدن وكثرة النوم وبلادة الدهن، وذلك يُكثر البخارَ في الرأس، حتى يُغطي موضعَ الذكر والفكر، والبطنَةُ تذهب الفطنة، وتجلب أمراضاً عسرةً، ومقام العدل أن لا يأكل حتى تصدقَ شهوته، وأن يرفعَ يده وهو يشتهي، ونهاية مقام الحُسن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وقوله ﷺ: «ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس».

♦ والأكل على مقام العدل يُصح البدن ويبعد المرضَ بإذن الله، ويقلل النوم ويُخفف المؤنة ويرقق القلب ويصفيه فتحسن فكرته وتسهل الحركات والتعبيرات، والشبع يُميت القلب ومنه يكون الفرح والمرح والضحك.

♦ ويُستحب تأخير السحور لما ورد عن أنس بن مالك ﷺ عن زيد بن ثابت ﷺ قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قام إلى الصلاة قال أنس: قلت لزيد: كما كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية^(١). متفق عليه. ولما ورد في البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: كنت أتسحر في أهلي، ثم تكون سرعتي أن أدرك السجود مع رسول الله ﷺ^(٢).

❦ وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»^(٣).

❦ وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة ﷺ، فقلنا: يا أم المؤمنين، رجلان من أصحاب محمد أحدهما يُعجلُ الإفطارَ ويُعجلُ الصلاةَ، والآخر يؤخرُ الإفطارَ ويؤخرُ الصلاةَ، قالت: أيهما يُعجلُ الإفطارَ ويُعجلُ

(١) أخرجه البخاري (١٩٢١)، ومسلم (١٠٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨) دون قوله: وأخروا السحور، وأخرجه أحمد في مسنده (٢١٣١٢) من حديث أبي ذر ﷺ بهذه الزيادة.

الصلاة؟ قلنا: عبد الله بن مسعود، قالت هكذا صنع رسول الله ﷺ، والأخر أبو موسى^(١).

♦ ولأن السحور يُراد به التقوي على الصوم، فكان التأخير أبلغ في ذلك وأولى، ويُسنُّ تعجيلُ فطر إذا تحقق الغروب، لما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: إن أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا»^(٢).

لله وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين ظاهرًا ما عَجَّلَ الناسُ الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون»^(٣). ولحديث سهل وحديث أبي عطية وقد تقدما قريبًا.

♦ ويُسنُّ أن يكون فطره على رطب، فإن عِدَمَ فتمر، فإن عدم فماء، لما ورد عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يُفطر على رطبات قبل أن يُصلي، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء^(٤). وعن سلمان بن عامر الضبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فالماء، فإنه طهور»^(٥).

♦ والفطر قبل صلاة المغرب أفضل، لحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما رأيت رسول الله ﷺ قطُّ صلَّى صلاة المغرب حتى يُفطر، ولو كان على شربة من ماء^(٦). والله أعلم، وصلَّى اللهُ على محمد وآله وسلم.

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٧٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٣)، والنسائي في الكبرى (٣٢٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٦)، وأصله عند البخاري (٩٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٥)، والترمذي في سننه (٦٥٨)، والنسائي في الكبرى (٣٣٠١)، وابن ماجه (١٦٩٩).

(٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٩٧٨٩)، [وعنه ابن حبان في صحيحه (٣٥٠٤)] وغيره.

وَيُسْتَحَبُّ قَوْلُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ: اللَّهُمَّ لَكَ صَمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، سُبْحَانَكَ وَيُحْمَدُكَ اللَّهُمَّ تَقْبَلْ مِنِّي، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. لما ورد عن مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ صَمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ»^(١)، وَثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»^(٢)، وَلِحَدِيثِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ صَمْنَا، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، اللَّهُ تَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(٤).

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ، وَأَنْ يَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَرَامٍ، فَإِنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مِنْ جُمْلَةِ مَوَاقِعِ قَبُولِ الدَّعَاءِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يَطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ! وَمَطْعَمِهِ حَرَامٌ، وَمَشْرَبِهِ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَهُ»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٥٣).

(٣) حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أخرجه الدارقطني في سننه (٢٢٨٠)، وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٥٤٩) والصغير (٩١٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٠١٥).

وفي الحديث: ألا إن أول ما يُتَن من الإنسان بطنه، فمن استطاع ألا يأكل إلا طيباً فليفعل ... الحديث^(١).

ومن آداب الدعاء أن يكون من صميم القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنه لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ^(٢).

وأن يكون دعاؤه في السراء والضراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ سرَّه أن يستجيبَ الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء^(٣).

وأن يكون بالتضرع بالرغبة والرغبة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال في حق يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤، ١٤٣].

وأن يفتح الدعاء بالثناء على الله والصلاة على نبيه رسول الله ﷺ، روى الترمذي وغيره عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ: «عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علي ثم ادعه» قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٨٢).

فقال له النبي ﷺ: «أيها المُصلي، ادعُ تُجَبْ»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تُصلي على نبيك ﷺ^(٢).

وأن يُخْفَى الدعاء، قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، وإن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار ما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانيةً أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا رضي فعله، فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾^(٣).

قال ابن الجوزي رحمته الله:

رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يُجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة فلا يرى أثرًا للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر، وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرضٌ يحتاج إلى طب، ولقد عرض لي شيء من هذا الجنس، فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت وبالغت، فلم أزل للإجابة، فأخذ إبليسُ يجول في حلبات كيده، فتارة يقول: الكرم واسع والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟! فقلت له: اخسأ يا لعين، فما أحتاج إلى تقاضٍ، ولا أرضاك وكيلاً.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٨١)، والترمذي في سننه (٣٤٧٦)، والنسائي في سننه (١٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤٨٦).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٤٠/٤)، والبغوي في تفسيره (٣/٣٢٧).

ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك ومساكنة وسوسته؛ فإن لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر في مُحاربة العدو لكفى في الحكمة.

قالت: فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة.

فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله ﷻ مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحةً، والحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يُقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذلك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحةً، والاستعجال مضرّةً، وقد قال النبي ﷺ: «لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي»^(١).

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهةً، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزداد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه، فابحثي عن بعض هذه الأسباب لعلك تقعين بالمقصود.

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادةٌ إثمٍ، أو تأخيرٌ عن مرتبةٍ خيرٍ، فكان المنع أصلح^(٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٠٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) صيد الخاطر (ص ٨٣).

شعراً:

إِلَى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرَّقَادُ أَمَا أَنْ أَنْ تَكْتَحِلِي بِالسُّهَادِ
 تَنْبَهِي مِنْ رَقْدَةٍ وَأَنْظُرِي مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَيَّ ذِي الرَّقَادِ
 يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ فِي نَوْمِهِ قُمْ لِتَرَى لُطْفَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 مَوْلَاكَ يَدْعُوكَ إِلَى بَابِهِ وَأَنْتَ فِي النَّوْمِ شَبِيهُ الْجَمَادِ
 وَيَبْسُطُ الْكَفَّيْنِ هَلْ تَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادِ
 وَأَنْتَ مِنْ جَنْبِ إِلَى جَانِبِ تَدُورُ فِي الْقُرْشِ وَلَيْنِ الْمِهَادِ
 يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ إِلَى قُرْبِهِ وَأَنْتَ تَخْتَارُ الْجَفَا وَالْبِعَادِ
 كَمْ هَكَذَا التَّسْوِيفُ فِي غَفْلَةٍ لَيْسَ عَلَيَّ الْعُمُرِ الْعَزِيزِ اعْتِمَادِ
 لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصَّبَا مُسْرِعًا وَتَبَرُّ صُبْحِ الشَّيْبِ فَوْقَ الْفُؤَادِ
 أَفْقُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا
 ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين،
 وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



٥- في أحكام القضاء

♦ ويستحب قضاء رمضان فوراً مع سعة وقت مسارعة لبراءة الذمة، ويُسنُّ التتابع في قضاائه؛ لأنه أشبه بالأداء، وأبعد عن الخلاف. ويجوز تفريقه لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قضاء رمضان إن شاء فرَّق، وإن شاء تابع»^(١).

❦ وروى الأثرم بإسناده عن محمد بن المنكدر أنه قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن تقطيع قضاء رمضان، فقال: «لو كان عليّ أحدكم دينٌ فقضاه من الدرهم والدرهمين حتى يقضي ما عليه من الدين، هل كان قاضياً دينه؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فالله أحق بالعفو والتجاوز منكم»^(٢).

❦ قال البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا بأس أن يُفرَّق لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخْرٍ﴾^(٣) نزلت متتابعات، فسقطت متتابعات^(٤).

♦ ولا يجوز تأخير قضاء رمضان إلى رمضان آخر من غير عذر، لما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان^(٥).

❦ وفي رواية لمسلم: إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تقدر أن تقضيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في شعبان^(٦).

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٢٣٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩١١٣)، والدارقطني في سننه (٢٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً قبل حديث (١٩٥٠).

(٤) هذا من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن الآية المذكورة؛ أخرجه الدارقطني في سننه (٢٣١٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٥٠)، ومسلم (١١٤٦).

(٦) أخرجه مسلم (١١٤٦/١٥٢).

لله وفي رواية للترمذي: قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كنت أقضي ما يكون عليّ من قضاء رمضان إلا في شعبان حتى توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١).

◆ وإذا لم يبقَ من شعبانَ إلا قدرُ ما عليه، وجب القضاء فوراً مُتَابِعاً لضيق الوقت، كأداء رمضانَ في حقِّ مَنْ لا عذر له.

◆ ولا يُكره القضاءُ في عشر ذي الحجة، فإن أُخِّرَ القضاءُ لغير عذر حتى أدركه رمضانُ آخرُ، فعليه مع القضاءِ إطعامُ مسكينٍ لكلِّ يومٍ، ويُروى ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يُرو عن غيرهم خلافه. قاله في الشرح ^(٢).

◆ ومن فاته رمضانُ قضى عددَ أيامه تامّاً كان أو ناقصاً؛ لأن القضاءَ يجب أن يكون بعدد ما فاته كالمريض والمسافر لما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، ويجوز أن يقضي يومَ صيفٍ عن يومٍ شتاءٍ، وأن يقضي يومَ شتاءٍ عن يومٍ صيفٍ.



(١) أخرجه الترمذي (٧٨٣).

(٢) الشرح الكبير (٧ / ٤٩٩).

فائدة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويُقدّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور...، وقد كان جماعة من السلف يُبادرون اللحظات، فنُقل عن عامر بن عبد قيس، أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: امسك الشمس. ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يُصلي، ف قيل له، فقال: الآن تُطوى صحيفتي. فإذا علم الإنسان أنه وإن بالغ في الجِدْ بأن الموتَ يَقطَعُه عن العمل، عَمِلَ في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء في الدنيا وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهراً، ويسعى في تحصيل ذرية تذكّر الله بعده، فيكون الأجر له، أو أن يُصنّف كتاباً في العلم، فإن تصنيف العالم ولدّه المخلّد، وأن يكون عاملاً بالخير، عالمًا فيه فينقل من فعله ما يقتدي به الغير، فذلك الذي لم يمت^(١). والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



(فصل)

اعلم - وفقنا وإياك الله لطاعته - أن للصيام محاسنَ كثيرةً، وهي قليل من كثير من محاسن الدين الإسلامي - ثبتنا الله وإياك وجميع المسلمين عليه -، فمنها أن الإنسان إذا جاع بطنه اندفع جوعٌ كثيرٌ من حواسه، فإذا شبع بطنه جاع عينه ولسانه ويده وفرجه، فكان تشبيهُ النفسِ تجويعاً لهذه المذكورات، وفي تجويع النفسِ تشبيهُها، فكان هذا التجويعُ أولى، ومن ذلك أنه إذا جاع علم

(١) صيد الخاطر (ص ٣٣، ٣٤).

حَالُ الْفُقَرَاءِ فِي جُوعِهِمْ فَيُرْحَمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُمْ؛ إِذْ لَيْسَ الْخَيْرُ كَالْمَعَايِنَةِ، لَا يَعْلَمُ الرَّاكِبُ مَشَقَّةَ الرَّاجِلِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّلَ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصِّيَامِ فِي فَرِيضِهِ وَشَرَعِهِ أَنَّهُ لَمْ يَفْرُضْ فِي كُلِّ الْعَمْرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ، بَلْ فُرِضَ شَهْرًا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ؛ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَرُخِصَ فِي الْإِفْطَارِ عِنْدَمَا يَحْصُلُ لِمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ عَذْرٌ، وَأَيْضًا أُمِرَ بِالصُّومِ فِي النَّهَارِ وَأُبِيحَ فِي اللَّيْلِ الْإِفْطَارُ، وَهَذَا مِنْ لَطْفِ اللَّهِ أَنْ أَمَرَ عِبَادَهُ عَلَى وَجْهِ يُمْكِنُ لَهُمْ فِيهِ إِحْرَازُ الْفَضِيلَةِ وَاِكْتِسَابُ الْوَسِيلَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَصَّ الصِّيَامَ بِالنَّهَارِ؛ لِأَنَّ الْأَكْلَ فِيهِ مُعْتَادٌ، وَالنُّومُ فِي اللَّيْلِ مُعْتَادٌ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الصُّومِ اِكْتِسَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ.

وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْمَدَ أَحَدٌ بِكثْرَةِ الْأَكْلِ، وَيُحْمَدُ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ، يَحْمَدُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَمْ يُرَوْعَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةَ الْأَكْلِ، وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصِّيَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ لَطْفِهِ بَعْبَادَهُ لَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ مَا فِي الْأَدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ طَوْلَ الْيَوْمِ بِالْيَوْمِ، وَلَا حَرَارَتَهُ وَلَا بَرُودَتَهُ، فَإِذَا أَفْطَرَ فِي أَطْوَلِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجْزَاهُ وَكَفَاهُ.

وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصُّومِ أَنَّهُ لَمْ يَشْتَرِطْ فِيهِ قِرَانَ النِّيَّةِ عِنْدَ الشَّرْعِ، كَمَا فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتُ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ، قَلِمَا يَقِفُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَلَوْ شَرِطَ لَضَاقَ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الْأَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ حَتَّى أَجَازَ الصُّومَ بِنِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَقَعُ بِجِزَاءِ مِنَ اللَّيْلِ، وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالرَّفَثُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَاحَ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ، فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتٌ مَحَلُّهَا.



(موعظة)

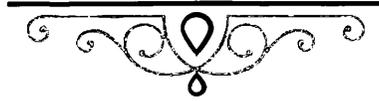
كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى القرظي: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجرًا وأبقى نفعًا وأحسن ذخراً، وأوجب على المؤمن حقاً، لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها في هدى رغبة خير من مال يتصدق به عليه، وإن كان به إليه حاجة، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر.

فِعِظْ من تعظه لقضاء حق عليك، واستعمل كذلك نفسك حين تعظ، وكن كالطبيب المُجربِ العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي أعنته وأعنت نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم، وإذا أراد أن يداوي مجنوناً لم يداوه وهو مُرسل حتى يستوثق منه ويوثق له؛ خشية أن لا يبلغ منه من الخير ما يتقي منه من الشر، وكان طبه وتجربته مفتاح عمله، واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يُغلق فلا يُفتح، أو يُفتح فلا يُغلق، ولكن ليغلق في حينه ويفتح في حينه^(١).

وَكَانَ نَاصِحاً لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ بِإِزْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ عَنِ السُّوءِ وَأَزْجُرْ ذَا الْحَنَا عَنِ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ بِحِكْمَةٍ لَعَلَّكَ تُبْرِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص ١١٧، ١١٨).

فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بَوَعْظِكَ وَاحِدًا تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحُشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَأَلَّا فَقَدْ أَدَّيْتِ مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ وَمَا مُلِّكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ
اللهم يا مَنْ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وبقدرته التي لا يعجزها شيء
يُحيي العظامَ وهي رميم، نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم، صراطِ
الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأن تغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم
الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

في بيان أنواع الكذب

ويتنوع الكذب إلى أنواع، فما كان متعلقًا بأموال الناس وأعراضهم وأنفسهم هو من أشد الكبائر وأقبح الجرائم التي تُضربُ بالمجتمع الإنساني، وتقضي على العدل، فإن الذي يقول الزور ليقطع حقوق عبادة الله أو يثلمهم في أعراضهم من كل ما يضر الإنسانية ويؤلمها.

وقد عرض نفسه لغضب الله، وكان سببًا في بث الفوضى وإغراء المجرمين على اقتراف الجرائم، فينالون من أعراض الناس وأموالهم ما يشتهون، وهم آمنون من العقوبة؛ لأنهم يجدون شاهد الزور يساعدهم على الإفلات منها، وقد أكبر ﷺ خطر قول الزور، وأعظم جرمه، كما في الحديث قال ﷺ: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان مُتَكَنًّا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكت»^(١)، فجلوسه ﷺ بعد اتكائه اهتمامًا بشأنه، وصدّر قوله بأداة التنبيه، وكرّر كلمته حتى شقَّ على نفسه، وبدا الغضب في وجهه، وتمنى أصحابه لو سكت.

وقول الزور يشمل الشهادة بالباطل والحكم الجائر ورمي الأبرياء والقول على الله بلا علم.

وعن خريم بن فاتك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائمًا، فقال: «عِدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ» ثلاث مرات، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۗ حُنَفَاءَ لِلَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. ﴿[الحج: ٣٠-٣١]﴾^(١). رواه أبو داود وابن ماجه.

وشاهد الزور يُسيء إلى نفسه؛ إذ يبيع آخرته بدنياه غيره، ويُسيء إلى مَنْ شهد له بإعانتِهِ على ظلمه، ويُسيء إلى مَنْ يشهد عليه في إضاعة حَقِّه، ويُسيء إلى القاضي الذي جلس يتحرى العدل ليحكمَ به ويُنصف الضعفاء من الأقوياء، ويتنزَع حَقَّ المظلوم من الظالم بأنه بشهادته بالزور يُضللُّ ويسدُّ أمامه طريقَ الحق ويفتحُ بابَ الباطل. وهذا يشلُّ يدَ العدالة أن تقتصِّرَ للمظلوم من الظالم، ويُسيء شاهدُ الزور إلى أولاده وأسرته؛ لأنه يلوِّثها بهذه السمعة السيئة والفائئة القبيحة، ويحمل الناسَ على أن يقولوا لهم: عائلة المزور، وأعظمُ بها من أذية للمستقيمين.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»^(٢) متفق عليه. وفي الحديث أن الكذب من صفات النفاق^(٣).

اللهم أتمِّمْ علينا نعمتك الوافية، وارزقنا الإخلاصَ في أعمالنا، والصدقَ في أقوالنا، وعد علينا بإصلاح قلوبنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥٩٩)، وابن ماجه في سننه (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر من علامة المنافق أنه إذا حَدَّثَ كَذَبَ؛ أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، وبنحوه في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(فصل)

في التحذير من الغيبة

◆ ويجب اجتنابُ الغيبةِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. أي: لا يتناول بعضكم بعضًا بظهر الغيب بما يسوؤه، ثم ضرب تعالى للغيبةِ مثلاً، فقال: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وعن البراء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أرأيتُ الربا استطالةَ الرجلِ في عرض أخيه»^(١)، وفي الحديث الآخر: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»^(٢).

ﷺ وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، أن من الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق^(٣).

ﷺ وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»^(٤) رواه أحمد وأبو داود.

◆ فإن قيل ما الغيبة؟ قيل قد حدّها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قال (أحداهم): «أفأريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته»^(٥) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١/٤٨٧٨)، وهذا الحديث من رواية ابن العبد وابن داسة للسنن، وقد ذكره محققو طبعة الرسالة في طبعتهم!

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥١)، وأبو داود في سننه (٤٨٧٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

◊ ومن الغيبة التمثيليات للأشخاص والهيئات ومحاكاتهم في اللباس على وجه التنقُّص والاستهتار، كما يفعله المنهمكون في أكل لحوم الغوافل، فتكون الغيبة بالتعريض وبالكتابة وبالحركة وبالرمز والإشارة باليد، وكل ما يفهم منه المقصودُ فهو داخلٌ في الغيبة، وهو حرام.

لله فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علينا امرأة فلما ولت أو مات بيدي أي قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم: «اغبتها»^(١)، وفي رواية لأبي داود والترمذي وصححه قول عائشة عن صفية رضي الله عنها أنها قصيرة وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»^(٢).

لله وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليلة أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم قال: «ونظر في الباب فإذا قوم يأكلون الجيف»، قال: «من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟» قال: «الذين يأكلون لحوم الناس»^(٣).

لله وقال صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يُطعمه مثلها في جهنم، ومن كُسي ثوباً برجل مسلم فإنه يكسوه مثله في جهنم ومن قام برجل مقام سُمعةٍ ورياءٍ فإن الله يقوم به مقام سُمعةٍ ورياءٍ يوم القيامة»^(٤). رواه أبو داود.

◊ فالغيبة عادةٌ مردولةٌ، كثيراً ما تقطع الصلة بين الناس، وتثير الأحقاد، وتشتت الشمل، ثم هي مع ذلك مضیعةٌ للوقت بالاشتغال، بما يضرُّ الإنسان، ولا ينفعه. ومما تقدم يتبين تحريمُ الغيبة وخطرها وشرها، فإذا يجب الإنكارُ على المُغتَابِ وردعه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٧٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٧٥)، والترمذي في سننه (٢٥٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٨١).

لله وقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من امريء يخذل امرءًا مسلمًا في موطنٍ تُنتهك فيه حُرْمَتُهُ، إلا خذله الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته، وما من امريء مسلمٍ ينصر امرءًا مسلمًا في موضعٍ يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرْمَتِهِ، إلا نصره الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نصرته»^(١).

لله وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أذَلَّ عنده مؤمنٌ وهو يقدر على نصره، فلم ينصره، أذَلَّه الله على رؤوس الخلائق»^(٢).

لله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته: لا يُعجبكم من الرجل طنطنته، ولكنه من أَدَى الأمانة وكفَّ عن أعراض الناس فهو الرجل^(٣). وقال أيضًا: كفى بالمرء عيبًا أن يستبين له من الناس ما يخفى عليه من نفسه، ويمقتُ الناس فيما يأتي^(٤).

لله وقال الحسن: يا ابن آدم، لن تنال حقيقة الإيمان حتى لا تعيبَ الناسَ بعبٍ هو فيك، وتبدأ بذلك العيبِ من نفسك فتصلحه، فما تُصلح عيبًا إلا ترى عيبًا آخر، فيكون شغلُك في خاصة نفسك^(٥).

لله وقيل لربيع بن خيثم: ما نراك تعيب أحدًا ولا تذمُّه، فقال: ما أنا عن نفسي براضي، فأتفرغ من عيبها إلى غيرها^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩٨٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٩٥)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٦٩٥).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٦٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٩٧) وذم الغيبة (٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣٣٨) ومناقب الشافعي (١/ ٦٩).

(٦) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١١٠) بنحوه.

ولقد أحسن القائل:

شَرُّ الْوَرَى مَنْ بَعِبَ النَّاسِ مُشْتَغَلًا مِثْلُ الذُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعَلَلِ

آخر:

إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
فَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ فَكَيْفَ يَعْيبُ الْعُورَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ
وَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي هُوَ فِيهِمْ فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ

◇ وبالتالي فخطر اللسان عظيم، ليس كغيره من الأعضاء؛ فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل على غير الأجسام، واللسان يجول في كل شيء، وبه يبين الإيمان من الكفر.

لم وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»^(١).

لم وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٢) وأخرج الترمذي ولفظه: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»^(٣) رواه مالك والترمذي وابن ماجه نحوه.

◇ فالغيبية من آفات اللسان، ومن الذنوب التي قلَّ مَنْ يسلم منها، كالكذب والرياء والربا والمداهنة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٠٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٥٠/٢٩٨٨).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٨٥)، والترمذي في سننه (٢٣١٩)، وابن ماجه في سننه (٣٩٦٩).

◊ وإذا فهمت ما سبق، فاعلم أن الذنوب المتعلقة بحقوق العباد لا تُمحى إلا أن عفوا عنها، أو رُدَّتْ لهم مظالمهم، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأما الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة، فإنه يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»^(١). رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه.

◊ فظلم العبد نفسه بينه وبين ربه هو أخف الدواوين وأسرعها محواً؛ فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك.

◊ ولا ريب أن الغيبة جنائية على أعراض الناس وهم غافلون، فكفارتها أن يتحلل ممن اغتابه، ويطلب منه العفو إن كان لم يعلم بذلك، ويتوب ويتندم ويستغفر لمن اغتابه، ويذكره بما فيه من الخصال الحسنة عند من اغتابه عندهم؛ لعل الله أن يرحمه ويغفر له، إنه غفور رحيم.

للهم وتقدم حديث أنس رضي الله عنه، وقوله ﷺ: «إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتة تقول: اللهم اغفر لنا وله»^(٢).

◊ واعلم أنه إذا ترتب على الغيبة مصلحة أو درء مفسدة كانت لازمة، وإذا ترتب عليها أمرٌ جائزٌ فجائزٌ، ويمكن ضبط الأول في خمسة أمور أو ستة أمور.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٠٣١)، والحاكم في مستدركه (٨٧١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩١) وذم الغيبة (١٥٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٥٧٥).

لله الأول: المظلوم الذي يريد أن يشكو لمن يرفع مظلمته، فله أن يذكر عيب ظالمه الذي يحتاج إليه في بيان حقه.

لله الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر لمن يظن أن له قدرة على إزالته، فإن له أن يقول: إن فلاناً ارتكب كذا وفعل كذا.

لله الثالث: الاستفتاء؛ فإنه يجوز للمستفتي أن يقول للمفتي: إن فلاناً ظلمني في كذا وكذا، فهل يجوز له ذلك مثلاً؟

لله الرابع: التحذير؛ فيحذر المسلم من شر من يتصدى للزعامة في أمورهم العامة، أو من يتوقف عليه القضاء في مصالحهم؛ أو يتصدى لإفنائهم وتعليمهم، كالزعماء في الشؤون الدينية والدنيوية والشهود والمدرسين ونحو ذلك ممن يشترط فيهم الأمانة والانصاف بمكارم الأخلاق، فيصح أن يبين ما فيهم من النقائص والعيوب، ويرفع بأمرهم ليبتعدوا.

لله الخامس: أن يتجاهر بفسقه، وقد قال ﷺ: «كل أمتي مُعافى إلا المجاهرون»^(١).

اللهم ثبتّ محبتك في قلوبنا وقوّها، وارزقنا القيامَ بطاعتك، وجنبنا ما يُسخطك، وأصلح نيّاتنا وذرياتنا، وأعدنا من شرّ نفوسنا وسيئات أعمالنا، وأعدنا من عدوك، واجعل هواننا تبعاً لما جاء به رسولك ﷺ، واغفر لنا ولو الدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(فصل)

وأَسباب الغيبة أحد عشر:

- (١) تشفي الغيظ بذكر مساويء الموقوع في عرضه بالغيبة قولاً أو فعلاً.
 - (٢) موافقة الأقران والزملاء ومساعدتهم، ويرى ذلك في حسن المعاشرة.
 - (٣) أن يستشعر من إنسان سيقصده، ويُطول لسانه عليه، أو يُقبح حاله عند مُحْتشَم، فيبادره فيطعن فيه لِيُسْقَط شهادته.
 - (٤) أن يُنسب إليه شيءٌ فيذكر أن الذي فعله فلانٌ ويتبرأ منه، مع أن التبرأ يحصل بدون أن يذكر الغيرَ بشخصه.
 - (٥) أن ينطوي على عداوة شخص ويحسده فيرميه بمساويء ومعائب ينسبها إليه؛ ليصرف وجوه الناس عنه ويُسْقَط مهابته ومكانته من النفوس، ويقصد بذلك إثبات فضل نفسه، ولكن العاقل اللبيب يعرف أنه ما أضر على الأعداء، ولا أشد من التمسك بالأخلاق الفاضلة والاعتراف بالفضل لأهله كما قيل:
- وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَن فَضْلِ نَفْسِهِ بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ يَدْفَعَ الْفَتَى يَدَ النَّقْصِ عَنهُ بِإِنْتِقَاصِ الْأَفْضَلِ
- (٦) أن يقدح عند من يحب ذلك الشخص؛ حسداً لإكرامهم ومحبتهم له.
 - (٧) أن يقصد اللعب والهزل والمزاح والمطالبة ويضحك الناس.
 - (٨) السخرية والاستهزاء بالشخص استحقاقاً له، وهو يجري في الحضور والغيبة، ومنشؤه التكبر واستصغار المُستهزأ به، وتنقصه ازدراءه.
 - (٩) أن يتعجب من فعل الغائب للمنكر وهذا من الدين لكن أدى إلى الغيبة بذكر اسمه فصار مُغْتَاباً من حيث لا يدري.

١٠) أن يغتم لسبب ما يُبتلى به، فيقول: مسكين فلان، قد غمّني أمره، وما ابتلي به من المعصية، وغمّه ورحمته خير، لكن ساقه إلى شر، وهو الغيبة من حيث لا يدري أنه صاغها بصيغة الترحّم والتوجّع.

١١) إظهار الغضب لله على منكر قارفه إنسان، فيذكر الإنسان باسمه، وكان الواجب أن يُظهرَ غضبه على فاعله، ولا يُظهر عليه غيره، بل يستر اسمه، وهذه الثلاثة ربما تخفى على العلماء وطلبة العلم فضلاً عن العوام، ولذلك تسمع منهم كثيراً ما يقولون: فلان ونعم، لولا أنه يفعل كذا وكذا، يُعامل بالربا مثلاً، وكان الواجبُ نصحه بدل الغيبة.

ولقد كثرتُ النَميمةُ والغِيبَةُ والبهتُ والكذبُ والوشايةُ والسعايةُ بعد ظهور التليفون والمسجلات، فبعد أن كانت لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان صارت توجد أيضاً مع التفرق وبُعد المسافات وتضاعفت أضعافاً مضاعفة، وصار السالمُ منها أعزَّ من الكبريت الأحمر، نسأل الله الحيَّ القيومَ العليَّ العظيمَ أن يعصمنا وإخواننا المسلمين منها.

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ	وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنًّا بِحَمَلِهِ	عَنْ النَّجْبِ مِنْ أُنْبَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَاذِهِ	بِخَيْرٍ وَكَفَّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ	ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيْتُ عَدُوَّهُ	يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي عَفْلَاتِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ	بِإِمْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطًا	عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ

وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبِ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَمَنْ يَنْتَصِفُ يَنْفَخُ ضَرَامًا قَدْ انْطَفَأَ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزِي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
يَظَلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
وَلَا يَسْتَحِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدْعِي
وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمِ مَيْتٍ كِلَاهُمَا
تَسَاوَيْتُمَا أَكْلًا فَأَشْقَاكُمَا بِهِ
وَمَا لِكَلَامِ مَرِّ كَالرَّيْحِ مَوْجِعٌ

اللهم ارزقنا حفظَ جوارحنا عن المعاصي، ما ظهر منها وما بطن، ونقِّ
قلوبنا من الحقدِ والحسدِ والإحْنِ، اللهم إِنَّا نعوذ بك من شماتة الأعداء
وعُضالِ الداءِ وخيبة الرجاءِ وزوالِ النعمة، اللهم توفِّنا مسلمين، وألحقنا
بالصالحين، غيرَ خزايا ولا مفتونين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين،
الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

ومما يتأكد اجتنابُه، ولا يتمُّ الصيامُ لمن لم يجتنبه: النظرُ إلى المرأةِ الأجنبية والرجلِ الأُمردِ لغير ضرورةٍ أو حاجةٍ شرعيةٍ؛ لأن المرأةَ كُلَّها عورةٌ، لا يصحُّ أن يرى مَنْ ليس من محارمها شيئاً من جسدها ولا شعرها المتصلِ بها، وما تفعله بعضُ نساء هذا الزمان من التبرج والتجمل في الأسواق، ما هو إلا مجاهرةٌ بالمعاصي، وتشبهٌ بنساء الإفرنج.

فمن أعظم المنكرات وأفظعها خروجُ المرأةِ كاشفةً رأسها أو عنقها أو نحرها أو ذراعها أو ساقها أو وجهها أو الجميع، أو الثياب المظهرة للمفاتن، أو اللباس الشفاف الذي وجوده كعدمه لا يستر ما تحته، فهذا داخل في التبرج، فيجب على المسلم أن يمنع نساءه ومن له عليهن ولاية ويقبلن منه، جميع ما تقدم، ويلزمهن السترَ والتحفظَ، وينصح إخوانه المهملين للمتصفات بذلك.

ومن الآداب التي أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، مع أنهن القدوة الحسنة في العفاف والتقى والستر والحياء والإيمان، ومع حياء الناس منهن واحترامهم لهن: ما ذكره تعالى في سورة الأحزاب بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال مقاتل بن حيان: التبرج أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمّت نساء المؤمنين في التبرج^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٦٠٢)، وانظر تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٠).

وقال تعالى أمرًا لعباده المؤمنين أن يَغُضُّوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا لما أباح لهم النظر إليه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

قال أبو حيان في تفسيره: قدّم غَضَّ البصر على حفظِ الفرج؛ لأن النظرَ بريدُ الزنا ورائدُ الفجور، والبلوى فيه أشدُّ وأكثرُ، لا يكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو البابُ الأكبر إلى القلب، وأعمُر طرق الحواس إليه، ويكثر السقوط من جهته^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]. قال البغوي: أي خيانتها، وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلُّ. قال مجاهد: هو نظرُ الأعين إلى ما نهى الله عنه^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زَانَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَانَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَانَاهُ الْكَلَامُ»^(٣) متفق عليه.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلتها إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»^(٤).

(١) البحر المحيط (٨ / ٣٣).

(٢) تفسير البغوي (٧ / ١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٧٣) (١٠٣٦٢).

وروى الأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عين باكية يوم القيامة، إلا عينًا غضت عن محارم الله، وعينًا سهرت في سبيل الله، وعينًا خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله»^(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(٢). أخرجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه، واعترضه المنذري.

وقال ابن القيم رحمته الله: والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان؛ فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: الصبر على غض النظر أيسر من الصبر على ألم ما بعده. قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتْرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسْرُ مُقَلَّتُهُ مَا ضَرَّ مُهَجَّتَهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادًا بِالضَّرَرِ^(٣)

(١) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١٦٥٩)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧٥٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٧١)، وكلام المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤).

(٣) الداء والدواء (ص ١٥٣).

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»^(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والدارمي.

وفي حديث جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري^(٢).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يُعجبه فليأت أهله؛ فإن ذلك يرد ما في نفسه»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»^(٤) رواه الترمذي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل في النساء»^(٥) رواه مسلم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة، ثم يغضُّ بصره، إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها»^(٦) رواه أحمد.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٧٤)، والدارمي في مسنده (٢٧٥١)، وأبو داود في سننه (٢١٤٩)، والترمذي في سننه (٢٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١١٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٧٨).

شعراً:

لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ لَوْ كُنْتَ فِي النَّسَاكِ مِثْلَ بَنَانٍ
وَأَغْضُضْ جُفُونَكَ عَنِ مُلَاحَظَةِ وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ
إِنَّ الرَّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النَّسَا مِثْلَ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللَّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ نِلْكَ اللَّحُومَ أُسُودُهَا أَكَلْتَ بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَمَّانِ

اللهم إن نواصينا بيديك، وأمورنا ترجع إليك، وأحوالنا لا تخفى عليك،
وأنت ملجؤنا وملاذنا، وإليك نرفع بثنا وحزننا وشكايتنا، يا من يعلم سرنا
وعلايتنا، نسألك أن تجعلنا ممن توكل عليك فكفيت، واستهداك فهديته،
وهب لنا من فضلك العظيم، وجد علينا بإحسانك العميم، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين،
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: يُقال إن غَضَّ البصر عن الصورة التي يُنهى عن النظر إليها كالمرأة والأمردِ الحسن: يُورث ثلاثَ فوائد:

لله إحداهما: حلاوة الإيمان، ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله، فإن مَنْ ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه.

لله الفائدة الثانية: أن غض البصر يورث نورَ القلبِ والفراسة.

لله الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، فإن في الأثر "الذي يُخالف هواه يفرِّق الشيطانُ من ظله" (١).

وإذا كان النظرُ إلى مَنْ لا يحل النظرُ إليه مُحرماً، فالخلوة بمن لا تحل مُحرمةٌ من باب أولى وأحرى؛ لأن الوسواسَ الشيطانيةَ تجد لها مجالاً في هذه الحالة، وثوران الشهوة يجد له مبرراً فيضعف العقلُ عند هذا، ولا يكون له تأثير على زجر الشهوة فتسوقه نفسه الأمارةُ بالسوءِ إلى الفاحشة، لهذا نهى المصطفى ﷺ عن الخلوة، فقد روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم» (٢). متفق عليه.

وعن عقبه بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخولَ على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمؤ؟ قال: «الحمو الموت» (٣). متفق عليه.

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٠ : ٤٢٦) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

والحمو: قريب الزوج، كأخيه وابن أخيه وابن عمه.

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا يخلو رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان»^(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأةٍ ليس بينه وبينها محرم»^(٢). رواه الطبراني في الكبير.

وروى الطبراني أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياك والخلوّة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجلٌ وامرأةً، إلا دخل الشيطان بينهما، ولئزحمَ رجلٌ خنزيراً مُتلطخاً بطينٍ أو حمأةٍ خيراً له من أن يزحمَ منكبه منكبَ امرأةٍ لا تحلُّ له»^(٣).

ومن أخطر ما يكون على النساءِ خدمةُ الرجالِ في البيوتِ، إذا كان هناك اختلاطٌ بينهم وبينهن، خصوصاً إذا كان الرجلُ المستخدمُ من الشبان، وإن كان له وسمَةٌ جمالٍ فأقرب إلى الخطر، وقد يكون أشبَّ من صاحب البيت وأجمل، وهو ملازمٌ للبيت ليلته ونهاره، وهو تحت أمر الزوجة أو نحوها، وفي إمكانها إبقاؤه أو طرده فالخطر عظيم، وإن كانت المرأة ذات شرفٍ ومكانةٍ، وتأمل قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام حين راودته عن نفسه، فاستعاذ بالله من شرهن وكيدهن، فعصمه الله عِصمةً عظيمةً، وحماه فامتنع أشدَّ الامتناع عنها، واختار السجنَ على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١١٤)، والترمذي في سننه (٢١٦٥)، والنسائي في الكبرى (٩١٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١ / ١٩١) (١١٤٦٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٤٣) (٧٨٣٠).

وجماله وكماله تدعوه سيده، وهي امرأةٌ عزيزِ مصرَ، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك، ويختار السجنَ على ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه، ولهذا ثبت في الصحيحين أن من السبعة الذين يُظلمهم الله في ظلّه: رجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله^(١).



(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

موعظة

عبادَ الله، نحن في زمن كله عجائب، يعجب العاقل اللبيب، ومن أعجب ما فيه أن الرجال أصبحوا لا سلطانَ لهم على النساء إلا النادر القليل، نعم أصبحنا في زمن للنساء فيه جبروت، أمامه الرجال في حال ضئيل، انعكس الأمر فصار القويُّ ضعيفاً والضعيفُ قويّاً، فإن كنت في شك من ذلك فاخرج وانظر في الشوارع ترى النساءَ تجول في الشوارع ذاهباتِ آياتٍ، ويتثنين في تبخرهن عليهن من الزينة ما يُرغم على النظر إليهن كلٌّ من له عينان.

ولا تسأل عما يحدثُه ذلك النظرُ في نفوس الشبان وأشباه الشبان، تراه إذا لمحها أتبعها نظره ثم جرى وراءها؛ لأنه يفهم من هيئتها وتثنيها وتلفتها فهما لا يُقال له: إنه فيه غلطان، إنه يفهم أنها إذا لم تكن تريد منه ما تريد ما عرضت نفسها في الشارع بذلك التهتك وذلك الازديان، وهي في بيتها أمام زوجها الذي ينبغي أن تتجملَ له تكون بحالة تسمتُّ من رؤيتها نفسُ الإنسان، تلبس له أردى الملابس ولا تمس طيباً ولا تعتني له، فإذا أرادت الخروجَ بذلت من العناية في تجميلِ نفسها ما يلهب نارَ الشوق إليها في نفوس الناظرين.

وهذه حالةٌ تجعل العيونَ وقفاً على النظر إلى تلك الأجسام، وتشغل القلوبَ شغلاً به تنسى كلَّ شيء حتى نفسها وربها وما له عليها من واجبات، وتوجه الأفكارَ إلى أمورٍ دنيئةٍ، يقصدها من أولئك النساءِ أربابُ النفوس الدنيئات، بل وتدفع النفوسَ دفعاً تستغيث منه الفضيلةُ، ويغضب له الواحدُ القهارُ.

إن أولئك النساءَ زوجاتٌ وبناتٌ وأخواتٌ رجالٍ يرونهن بأعينهم في الشوارع بتلك الحال، يرونهن وليس لهم من الغيرة ما يفهم أنهم من صنف الرجال، وأمامهم يُجرين الزينة التي يخرجن بها إلى تلك الميادين الملائئ بالأنذال، وبعضهم يستصحب زوجته معه سافرةً في الشوارع، وربما فهم بعضُ

الفساق أنه يتصيد لها، وذلك يجري على السنة كثير منهم.

أيها الأخ - عصمنا الله وإياك وجميع المسلمين - أنت أقوى عقلاً وأقوى ديناً من المرأة لا خلاف في ذلك، وإن لم يعصمك الله تتمنى أن يكون منك مع المرأة ما يكون إذا وقع نظرك على ما لها من بهاء وجمال، فتأكد كلاً التأكيد أن تمنى المرأة أقوى من تمنى الرجل، إذا وقع نظرها على جميل من الرجال ولا تشك أنها بعد رؤيتها الجميل، تتمنى فراقك إليه، وربما دعت عليك، نحن في جو موبوء بفساد الأخلاق، من تعرض له أصابه من ذلك الوباء ما يضيّعه في دنياه وفي الدين.

فصن نساءك عن الخروج إليه إن أردت العافية، وإلا فلا تلم إلا نفسك إذا أصبحت في عداد الضائعين والضائعات، أنت ترى كل يوم ما يكون في الطرق لنساء غيرك، فلا تشك أن نساءك يلاقين مثله وأشد منه، وأي رجل يرضى أن تخرج نساؤه ليلعب بعفافهن وشرفهن من لا دين له ولا شرف ولا أخلاق، إن البهيم يغار، ومعارك ذكور البهائم على إناثها معروفة، فلا تكن أقل غيراً من البهيم، ولولا أننا نرى بأعيننا مبلغ ضعف رجالنا أمام النساء ما صدقنا أن يستصحب الرجل زوجته سافرة راكبة أو غير راكبة تقدمه.

أيها الأخ، أنت الذي تلقى المشاق من حرّ وبرد، وأنت مشغول بالكد لأجل جلب الرزق، يكون منك ذلك لتطعم المرأة وتكسوها وتنعم عليها، ففضلك عليها كبير، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. وأنت أرجح منها عقلاً وأكمل ديناً، فمن الغلط أن تكون معها كالعبد المملوك يُصرّفه مولاه كيف شاء. وإذا كنت كما ذكر الله قواماً عليها فأنت مسؤول عنها؛ لأنك راعيها، والراعي مسؤول عن رعيته، فأنت مثاب إن وجهتها إلى عمل الخير،

وَأَنْتُمْ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً، فَانظُرْ مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرِيئَةٍ وَغَيْرِ مَرِيئَةٍ، فَحُلِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرًا عَلَيْهَا، وَكُلَّ عَمَلٍ يُغْضِبُ رَبَّكَ، وَإِلَّا فَانْتِ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارِ. أ.هـ.

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مَخَالَطَةُ رَبَائِبِ الْإِسْتِعْمَارِ، الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلَّدُوهُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَقَلَّدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى ﷺ حَيْثُ يَقُولُ: لَتَرَكِبَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حَجْرًا ضَبًّا لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ^(١). فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. هـ.

اللهم احفظنا من المخالفة والعصيان، ولا تؤاخذنا بجرائمنا وما وقع منا من الخطأ والنسيان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٨٤٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ببعضه.

(فصل)

في صلاة التراويح

ويبحث في:

- ١) مشروعية صلاة التراويح.
- ٢) صفة أو كيفية التراويح.
- ٣) مذاهب العلماء رحمهم الله في عدد ركعاتها.
- ٤) ما يُستحب فيها.



١- مشروعية صلاة التراويح:

التراويح سنة مؤكدة، سنّها رسولُ الله ﷺ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى الثَّانِيَةَ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «رَأَيْتَ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ»^(١) متفق عليه.

وفي رواية قالت: كان الناس يصلون في المسجد في رمضان بالليل أوزاعاً مع الرجل الشيء من القرآن، فيكون معه نفرُ الخمسة أو السبعة أو أقل من ذلك أو أكثر، يصلون بصلاته، فأمرني رسولُ الله ﷺ أن أنصبَ له حصيراً على باب حجرتي ففعلت، فخرج إليه بعد أن صلّى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من

(١) أخرجه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١).

في المسجد فصلى بهم^(١). وذكرت القصة بمعنى ما تقدم، غير أن فيها أنه لم يخرج إليهم في الليلة الثانية.

وعن جبير بن نفير، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يصل بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلنا: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه، فقال: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة»، ثم لم يبق بنا حتى بقي ثلاث من الشهر فصلى بنا في الثالثة، ودعا أهله ونساءه حتى تخوفنا الفلاح، قلت له: وما الفلاح؟ قال: السحور^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله صلى الله عليه وسلم فرض صيام رمضان، وسنت قيامه فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٤).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في حصير، فصلى فيها ليال اجتمع عليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة فظنوا أنه نام، فجعل بعضهم يتنحج ليخرج إليهم، فقال: «ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم، حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٣٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٧٥)، والترمذي في سننه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٦٤)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩/١٧٤) واللفظ له.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٦٠)، والنسائي في سننه (٢٢١٠)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٨).

بيوتكم؛ فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»^(١).

إِلَى اللَّهِ نَشْكُو قَسْوَةَ وَتَوَحُّدًا وَنَرْجُوهُ غُفْرَانًا قَرُبُكَ أَوْحَادُ
وَدُونِكَ مِنِّي النَّصْحَ يَا ذَا الْمُوَحِّدُ قُمْ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرَشُدُ
إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ

تَيَقُّظُ وَتُبُّ فَاللَّهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ وَإِنِّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ وَمُلازِمٌ
فَقُمْ لَا تَنَمْ فَالشَّهْمُ بِاللَّيْلِ قَائِمٌ أَرَاكَ بِطُولِ اللَّيْلِ وَيَحْكُ نَائِمٌ
وَعَيْرُكَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ أَمَا تَسْتَحِي أَوْ تَرَعَوِي أَوْ تُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سِوَاءَ قَائِمٍ ذَا وَرَاقِدُ وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَّالُ مَا نَالَ زَاهِدُ
مِنَ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرَقُدُ

فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا وَالتَّقِيُونَ صُومٌ وَنَمْنَا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ قُومٌ
وَلَوْ مُفْلَسٌ يَدْرِي وَهَلْ أَيْنَ خِيَمُوا لَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
إِذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَفَرِّدُ

وَأَسْبَلُ فِي الدُّجَى دُمُوعًا بَعْبُرَةً وَتَابَ وَأَبْدَى الْخَوْفَ مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ
وَقَامَ وَصَلَّى خَائِفًا فِي مَحَبَّةٍ بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ يُعْبَدُ

فَحَازِرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَدَغِ صَلَّهَا فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِي لَوْ لَخِلَّهَا
فَسَافِرٍ وَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَخَلَّهَا

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلَّدٌ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعَ وَأَيِّنَ التَّهَجُّدُ أَفِي سِنَةِ كُنَّا أَمَ الْقَلْبُ جَلَمَدُ
تَيْقِظُ أَخِي وَاحْذَرُ وَإِيَّاكَ تَرُقُدُ أَتَرُقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ
فَلَا حَرُّهَا يُطْفِئِي وَلَا الْجَمْرُ يَحْمُدُ

أَمَا لَوْ عَلَّمْنَاهَا نَهَضْنَا إِذَا شَظَى نَعُجُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ لِلْبَعْضِ أَيَقْظَا
وَلَمْ نَعْتَمِضْ عَيْنًا بِتَذْكَارِنَا اللَّظَى أَلَا إِنَّهَا نَارٌ يُقَالُ لَهَا لَظَى
فَتَحْمَدُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تُوقَدُ

عَلَى الْحَمْسِ تَوَدِّعًا بِوَقْتِ فَصَلِّهَا وَحَافِظٌ عَلَيَّ تِلْكَ النَّوَافِلِ كُلِّهَا
وَتُبُّ عَنِ ذُنُوبٍ لَا تَذِلُّ بِذُلِّهَا فَيَا رَاكِبَ الْعِصْيَانِ وَيَحْكُ خَلِّهَا
سَتُحْشَرُ عَطَشَانَا وَوَجْهَكَ أَسْوَدُ

أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي عِلْمِ عَيْبِهِ لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِنَ إِلَهِي بِقُرْبِهِ
سَمَوْ بِالْهُدَى وَالنَّاسُ مِنْ فَوْقِ تُرْبِهِ فَكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
وَأَخْرَ بِالذَّنْبِ الثَّقِيلِ مُقَيْدُ

إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ الْعِبَادِ وَأَنْجَمُ وَفُرِّبَتْ النَّارُ الْعَظِيمَةُ تُضْرَمُ
وَكُجِّبَ هَذَا نَمَّ هَذَا مُسَلَّمُ

فَهَذَا سَعِيدٌ فِي الْجَنَانِ مُنَعَّمٌ وَهَذَا شَقِيٌّ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدُ
وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ رَبَّنَا مَضَى وَلَا بُدَّ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْحَشْرِ يُمْتَضَى
إِلَهِي أَنْلِنِي الْعَفْوَ مِنْكَ مَعَ الرَّضَى إِذَا نُصِبَ الْمِيزَانُ لِلْفُضْلِ وَالْقَضَى
وَقَدْ قَامَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ

نَبِيُّ الْهُدَى الْمَعْصُومُ عَنِ كُلِّ زَلَّةٍ شَفِيعُ الْوَرَى أَكْرَمُ بِهَا مِنْ فَضِيلَةٍ
وَمِلَّتُهُ يَا صَاحِبِي خَيْرٌ مَلَّةٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَارَ فَرَقَدُ



٢- صفة أو كيفية صلاة التراويح:

صلاة التراويح بجماعة أفضل؛ قال الإمام أحمد: كان علي وجابر وعبد الله رضي الله عنهما يصلونها جماعة^(١)، وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يجعل للرجال إمامًا وللنساء إمامًا^(٢).

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع أهله وأصحابه وقال: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة»^(٣).

ويجهر الإمام بالقراءة لنقل الخلف عن السلف، ويُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ، ووقتها بعد صلاة العشاء، قبل الوتر إلى طلوع الفجر، وفعلها في المسجد أفضل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلّاها ثلاث ليالٍ متواليّة، كما روت عائشة رضي الله عنها ومرة ثلاث ليالٍ متفرقة، كما روى أبو ذر رضي الله عنه قال: من قام مع الإمام حسب له قيام ليلة^(٤)، وكان أصحابه يفعلونها في المسجد أوزاعًا في جماعات متفرقة في عهده.

وعن عبد الرحمن بن عبد القارئ رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون، يُصَلِّي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر رضي الله عنه: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئٍ واحدٍ لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلةً أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر:

(١) قاله الأثرم، كما في التمهيد لابن عبد البر (٨ / ١١٨)، وانظر المغني لابن قدامة (٢ / ١٢٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥١٢٥، ٧٧٢٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦١٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٤٢٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٧٥)، والترمذي في سننه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٦٤)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٧٥)، والترمذي في سننه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٦٤)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٧).

"نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون" يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله^(١). فدللت هذه الأخبار وغيرها على أن فعل التراويح جماعة أفضل من الانفراد، وكذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم وأهل الأمصار على ذلك.

وهو قول جمهور العلماء، وتجاوز فرادى، واختلف أيتهما أفضل للقارئ، قال البغوي وغيره: الخلاف بمن يحفظ القرآن، ولا يخاف الكسل عنها لو انفرد، ولا تختل الجماعة بتخلفه، فإن فقد أحد هذه الأمور فالجماعة أفضل بلا خلاف^(٢)، وأما عدد صلاة التراويح، فقال القاضي عياض: لا خلاف أنه ليس في ذلك حدٌ لا يزداد عليه ولا ينقص منه^(٣).

فاختار الإمام أحمد وجمهور العلماء عشرين ركعة، لما روى مالك في (الموطأ) عن يزيد بن رومان قال: "كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاثٍ وعشرين ركعة"^(٤).

وقال السائب بن يزيد: لما جمع عمر الناس على أبي بن كعب، وكان يُصلي بهم عشرين ركعة^(٥). وروى أبو بكر بن عبد العزيز في كتابه (الشافعي) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُصلي في شهر رمضان عشرين ركعة^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٠).

(٢) انظر: المجموع للنووي (٤ / ٣١)، وراجع التعليقة للقاضي حسين (٢ / ٩٨٨).

(٣) إكمال المعلم (٣ / ٨١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١ / ١١٥) (٥).

(٥) أخرجه البيهقي في الكبرى (٤٢٨٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٩٦٢)، وعبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (٦٥٣)، والطبراني في الكبير (١١ / ٣٩٣)، (١٢١٠٢)، والأوسط (٧٩٨، ٥٤٤٠).

وقال شيخ الإسلام: له أن يُصليها عشرين، كما هو المشهور في مذهب أحمد والشافعي، وله أن يصليها ستاً وثلاثين، كما هو مذهب مالك، وله أن يُصلي إحدى عشرة وثلاث عشرة، وكلُّه حسنٌ، فيكون تكثيرُ الركعات أو تقليلُها بحسب طول القيام وقصره^(١).

وقال: الأفضل يختلف باختلاف أحوال المُصلِّين، فإن كان فيهم احتمال بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي ﷺ يُصلي لنفسه في رمضان وغيره فهو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه، فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر والأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز، ولا يُكره شيءٌ من ذلك، ومن ظنَّ أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت لا يُزاد فيه ولا يُنقص منه فقد أخطأ، وقد ينشط العبدُ فيكون الأفضل في حقه تخفيفها^(٢).

وقال: قراءة القرآن في التراويح سنة باتفاق المسلمين، بل من أجل مقصود التراويح قراءة القرآن فيها ليسمعوا كلام الله، فإن شهر رمضان فيه نزل القرآن - فيه كان جبريل يُدارس النبي ﷺ^(٣). انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.



(١) مجموع الفتاوى (١١٣ / ٢٣) بتصرف.

(٢) الاختيارات الفقهية للبعلي (٤٢٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢ / ٢٧٢) بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٢ / ٢٣) بتصرف.

فائدة

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملك الشيطان، وقيادة النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمارة: لجأوا إلى حصن التضرع والالتجاء؛ كما يأوي العبد المدعور إلى حريم سيده.

شهوات الدنيا كلعب الخيال، ونظر الجاهل مقصور على الظاهر، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر. لاح لهم حبُّ المشتهى، فلما مدوا أيدي التناول بان لأبصار البصائر خبطُ الفخ، فطاروا بأجنحة الحذر، وصوبوا إلى الرحيل الثاني (يا ليت قومي يعلمون)، تلمح القوم الوجودَ ففهموا المقصودَ، فأجمعوا الرحيلَ قبل الرحيل، وشمروا للسير في سواء السبيل، فالناسُ مشتغلون بالفضلات، وهم في قطع الفلوات، وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح. وقع ثعلبان في شبكة، فقال أحدهما للآخر: أين الملتقى بعد هذا؟ فقال: بعد يومين في الدباغة. تا الله ما كانت الأيام إلا منامًا، فاستيقظوا وقد حصلوا على الظفر. ما مضى من الدنيا أحلامٌ، وما بقي منها أمانيٌّ، والوقت ضائعٌ بينهما.

كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا يئصفه، وعدو لا ينام عن مُعاداته، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى مُردٍ، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر، وشيطان مُزِين، وضعف مستولٍ عليه، فإن تولاه الله وجذبَه إليه، انقهرت له هذه كلها، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه، اجتمعت عليه، فكانت الهلكة^(١).

(١) الفوائد (ص ٤٧، ٤٨).

اللهم قوّي إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر
وبالقدر خيره وشره، اللهم وفقنا لامتحان أوامرك، واجتناب نواهيك، واغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم
الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



٤- ما يُستحب في صلاة التراويح:

وعلى الإمام أن يتقَي الله تعالى، فلا يُسرِع سرعةً تمنع المأمومَ مِنَ الإتيانِ بركنِ كالطَّمَأِينَةِ، أو واجبِ كتسبيحِ ركوعٍ وتسبيحِ سجودٍ، أو قولِ: "ربِّ اغفر لي"، ومن المؤسف أن كثيراً من الناس أثقل الأئمة عنده مَنْ يصلي التراويح بخشوعٍ وخضوعٍ واطمئنانٍ، ولذا يفرون منه ويذهبون إلى مَنْ يُسرِع بها ولا يتمها على الوجه المشروع، ولا يطمئن بها، والطمأينة ركنٌ من أركان الصلاة، وقد قال ﷺ للمسيء في صلاته لما أحلَّ بالطمأينة: «ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ»^(١).

وقال ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»^(٢)، وكان السلفُ يعتمدون على العصي من طول القيام.

وعن الأعرج قال: "ما أدركنا الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان وقال: وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات، وإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف"^(٣).

وعن عبد الله بن بكر قال: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام، فنستعجل الخدم بالطعام؛ مخافة فوت السحور، وفي أخرى: "مخافة الفجر"^(٤).

وعن السائب بن يزيد قال: أمر عمرُ أبي بن كعب وتميمُ الداري ﷺ أن يقوموا للناس في رمضان بإحدى عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٥) (٦).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٦) (٧)، وانظر مشكاة المصابيح (١٣٠٤).

كنا نعتمد على العِصِيِّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر^(١).
ويُستحب أن يقرأ بسورة القلم في عشاء الآخرة من الليلة الأولى من
رمضان بعد الفاتحة؛ لأنها أول ما نزل من القرآن. ويُستحب أن لا ينقص عن
ختمة في التراويح؛ لیسمع الناس جميع القرآن. ويتحرى أن يختم آخر
التراويح قبل ركوعه ويدعو.

ولشيخ الإسلام في ذلك دعاء جامع شامل. وقال: روي أن عند كل ختمة
دعوة مُستجابة^(٢).

وقال العلماء: يستحب لقارئ القرآن إذا ختمه أن يجمع أهله؛ فإنه روي
عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن^(٣). وفي رواية، أنه
كان إذا أشفى على ختم القرآن بالليل، بقى منه شيئاً حتى يصبح، فيجمع أهله
فيختمه معهم^(٤).

ويُستحب لمن علم بالختم أن يحضره؛ روي عن قتادة، أن رجلاً كان يقرأ
القرآن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يجعل عليه رقيباً، فإذا
أراد أن يختم قال لجلسائه: قوموا حتى نحضر الخاتمة^(٥). وعن مجاهد: كانوا
يجتمعون عند ختم القرآن، ويقولون: الرحمة تنزل^(٦).

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٥) (٥).

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية (ص ١٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٣٨).

(٤) أخرجه الدارمي في مسنده (٣٥١٦).

(٥) أخرجه المروزي في قيام الليل، كما في مختصره للمقريزي (ص ٢٦٠)، وانظر المنهاج في شعب

الإيمان للحليمي (٢/ ٢٢١).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٤٢)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٨١).

وعن الحكم بن عيينة قال: كان مجاهد وعنده ابن أبي لبابة وأناس يعرضون القرآن، فإذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلينا، وقالوا: إنا نريد أن نختم، فأحببنا أن تشهدونا؛ فإنه يُقال: إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه، أو حضرت الرحمة عند ختمه^(١).

وقال وهيب بن الورد: قال لي عطاء: بلغني أن حميدًا الأعرج يريد أن يختم القرآن، فانظر إذا أراد أن يختم فأخبرني حتى أحضر الختمة^(٢).

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ	تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
أَتَتْ عَن رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ	وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
بِذَلِكَ دَانَ الْأَثَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا	وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقِ كَلَامِ مَلِكِنَا
كَمَا الْبَدْوُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ	وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحِ	وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
بِمُضَدِّقِ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَحَّحِ	وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجِحُ	رَوَاهُ جَرِيرٌ عَن مَقَالِ مُحَمَّدٍ
وَكَلْنَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تُفْتَحُ	وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينُهُ
بِلا كَيْفِ جَلِّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحِ	وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
تُفْتَرِحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ	إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
وَمُسْتَمْنِحًا خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ	يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفَرًا يَلْقَى غَافِرًا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٤٠)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٨٦).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١٧٤٥).

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
 وَقُلْ إِنْ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ وَاللَّهَّطُ لَا شَكَّ فِيهِمْ
 سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
 وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
 وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيَقْنُ فَإِنَّهُ
 وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًّا بِمَائِهِ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
 وَلَا تُكْفِرْنَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا
 وَلَا تَعْتَقِدِ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
 وَيَنْقُضُ طُورًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
 وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرَّجَالِ وَقَوْلُهُمْ

أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
 وَزِيرَاهُ قَدَمًا ثَمَّ عُثْمَانُ الْارْجَحُ
 عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُمْنَحُ
 عَلِيٌّ نَجَبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْخُلْدِ تَسْرَحُ
 وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
 وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
 وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
 دُعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالذِّينُ أَنْفِخُ
 وَلَا الْحَوْضُ وَالْمِيزَانُ إِنَّكَ تُنصَحُ
 مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
 كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
 وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوَضَّحُ
 فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَضْفَحُ
 مَقَالَ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
 أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرَحُ
 وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ
 بِطَاعَتِهِ يَنْمَى وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
 فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَرْجَحُ

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ نَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَيْبَتْ وَتُصْبِحُ
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ
 وَغَفْرَانِكَ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(فصل)

في صلاة الوتر

ويبحث في:

- ١) مشروعية صلاة الوتر، وحكمها.
- ٢) وقت صلاة الوتر.
- ٣) القراءة المستحبة فيها.
- ٤) عدد ركعاتها.
- ٥) دعاء القنوت في الوتر.



١- مشروعية صلاة الوتر، وحكمها:

◆ الوتر سنة مؤكدة؛ لمدوامته ﷺ عليه في حضره وسفره، ولما ورد عن عليّ رضي الله عنه قال: الوتر ليس بحتم كهيئة الصلاة المكتوبة، ولكن سنة سنّها رسول الله ﷺ^(١). رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه، ورواه ابن ماجه ولفظه: إن الوتر ليس بحتم ولا كصلاتكم المكتوبة، ولكن رسول الله ﷺ أوتر، ثم قال: «يا أهل القرآن أوتروا؛ فإن الله وتر، يحبُّ الوتر».

ﷺ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قام شهر رمضان،

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤٥٤)، والنسائي في سننه (١٦٧٦)، وابن ماجه (١١٦٩)، والحاكم في المستدرک (١١١٨).

ثم انتظروه من القابلة فلم يخرج، وقال: «خشيتُ أن يُكتبَ عليكم الوتر»^(١).
رواه ابن حبان.

👤 وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ أوتر على بعيره^(٢). رواه الجماعة.



٢- وقت صلاة الوتر:

👤 ووقتُ الوترِ بعد صلاةِ العشاءِ وسنَّتها، لما روى خارجةُ بنُ حذافةَ رضي الله عنه قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ، فقال: «لقد أكرمكم اللهُ بصلاةٍ هي خيرٌ لكم من حُمُرِ النَّعمِ» قلنا: وما هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الوترُ فيما بين صلاةِ العشاءِ إلى طلوعِ الفجرِ»^(٣). رواه الخمسة إلا النسائي.

👤 وروى أبو بصرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله زادكم صلاةً، فصلُّوها ما بين صلاةِ العشاءِ إلى صلاةِ الصبحِ؛ الوترَ الوترَ»^(٤). رواه الإمام أحمد.

👤 ولحديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «أوتروا قبل أن تصبحوا»^(٥). رواه مسلم.

👤 وقال ﷺ: «إذا خشيت الصبحَ فأوتر بواحدة»^(٦). متفق عليه.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٠٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١٠٧٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٠٩)، (٢٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٩)، ومسلم (٥٠٤)، وأبو داود في سننه (١٢٢٤)، والترمذي في سننه (٣٥٢)، والنسائي في سننه (١٦٨٧)، وابن ماجه في سننه (١٢٠٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٨/٢٤٠٠٩)، وأبو داود في سننه (١٤١٨)، والترمذي في سننه (٤٥٢)، وابن ماجه في سننه (١٢٠٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٢٢٩).

(٥) أخرجه مسلم (٧٥٤).

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٣)، ومسلم (٧٤٩).

♦ والأفضل فعله سَحَرًا، لقول عائشة رضي الله عنها: من كَلَّ الليلِ قد أوتر رسولُ الله ﷺ فانتَهَى وترُّه إلى السحر^(١). متفق عليه.

♦ ومن كان تهجَّد جعل الوترَ بعده، ومن خَشِيَ أن لا يقومَ، أوترَ قبل أن ينامَ، لما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خاف أن لا يقومَ من آخرِ الليلِ فليوترِ أوَّلَه، ومَنْ طَمِعَ أن يقومَ آخرَه، فليوترِ آخرَه، فإن صلاةَ آخرِ الليلِ مشهودةٌ، وذلك أفضلُ»^(٢). رواه مسلم.

❦ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليلِ وترًا»^(٣). متفق عليه.

♦ وإن أحبَّ مَنْ له تهجَّدُ متابعةَ الإمامِ في وتره، قام إذا سلَّم الإمامُ وأتى برُكعةٍ بعد الوترِ، شفع بها ركعةَ الوترِ، ثم إذا تهجَّد أوترَ، فينال فضيلةَ متابعةِ الإمامِ حتى ينصرفَ، لقوله ﷺ: «من قام مع الإمامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ»^(٤). صححه الترمذي.

♦ وينال فضيلةَ جعلِ وترِه آخرَ صلاته، لحديث: «اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليلِ وترًا»^(٥). متفق عليه، ويقضيه مع شفعه إذا فات وقتُه، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من نام عن الوترِ أو نسيه فليصل إذا أصبح

(١) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (١٥١/٧٥١).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٧٥)، والترمذي في سننه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٦٤)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٧٥)، والترمذي في سننه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٦٤)، وابن ماجه في سننه (١٣٢٧).

أو ذكره»^(١). رواه أبو داود.

❖ ولا يصحُّ الوترُ قبل صلاةِ العشاءِ لعدمِ دخولِ وقتِه، وأقلُّ الوترِ ركعةٌ، ولا يُكره الإتيانُ بها مفردةً، ولو بلا عذرٍ من سفرٍ أو مرضٍ ونحوهما، لما ورد عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الوترُ ركعةٌ من آخرِ الليل»^(٢). رواه أحمد ومسلم.

للهم وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الوتر حق، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل»^(٣). رواه الخمسة إلا الترمذي.

❖ وثبت عن عشرة من الصحابة رضي الله عنهم، أن الوتر ركعة منهم: أبو بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وهو مذهب جمهور أهل العلم مالك والشافعي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

للهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي ما بين صلاة العشاءِ إلى الفجرِ إحدى عشرة ركعة، يُسلم بين كلِّ ركعتين، ويوتر بواحدة"^(٤).

❖ وأدنى الكمال في الوتر ثلاث ركعات بسلامين، لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوتر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افصل بين الواحدة والثنتين بالتسليم»^(٥). رواه الأثرم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٣١)، والترمذي في سننه (٤٦٥)، وابن ماجه في سننه (١١٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٠٨) عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٧٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٥٤٥)، وأبو داود في سننه (١٤٢٢)، والنسائي في سننه (١٧١٠)، وابن ماجه في سننه (١١٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (٧٣٦/١٢٢)، وأصله عند البخاري (٦٣١٠).

(٥) أخرجه الدارقطني في سننه (١٦٧٧).

للَّهِ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يُسَلِّم بين الركعتين والركعة بالتسليم في الوتر، حتى أنه كان يأمر ببعض حاجته^(١). رواه البخاري.

◆ ويجوز سردُ الثلاثِ بسلامٍ واحدٍ، فلا يجلس إلا في آخرهن، وتجاوز كمغربٍ.

◆ ومن أدركَ مع الإمام ركعةً من الثلاث، فإن كان الإمامُ يُسَلِّم من كل اثنتين أجزأ؛ لأنَّ أقلَّ الوترِ ركعةٌ، وإن لم يكن الإمامُ يُسَلِّم من كل اثنتين قضى، لحديث: «ما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فاتموا»^(٢)، ولأنَّ القضاءَ يحكي الأداء، والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وسلَّم.



(١) أخرجه البخاري (٩٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).

٣- القراءة المستحبة فيها:

◆ ويُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، لحديث عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ يوتر بثلاث لا يفصل فيهن" ^(١). رواه أحمد والنسائي.

◆ وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾" ^(٢). رواه أبو داود، والنسائي وزاد: ولا يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِنَّ.

◆ ولأبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها نحوه، وفيه كل سورة في ركعة، وفي الأخيرة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين ^(٣).

◆ والسنة لمن أوتر بما زاد على ركعة، أن يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يفصل بين الشفع والوتر ^(٤).

◆ ويُسَنُّ فِعْلُ الرَّكْعَةِ عَقِبَ الشَّفْعِ بِلَا تَأْخِيرٍ لَهَا عَنْهُ، وَإِنْ صَلَّى الْإِحْدَى عَشْرَةَ كُلِّهَا بِسَلَامٍ وَاحِدٍ، بَأَنْ سَرَدَ عَشْرًا، وَتَشَهَّدَ التَّشْهَدَ الْأَوَّلَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى بِالرَّكْعَةِ جَازًا، أَوْ سَرَدَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ جَازًا، لَكِنَّ الصَّفَةَ الْأُولَى أَوْلَى؛ لِأَنَّهَا فَعَلَهُ ﷺ.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٢٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٢٣)، والنسائي في سننه (١٧٠١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٢٤)، والترمذي في سننه (٤٦٣)، وابن ماجه في سننه (١١٧٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٣٣).

٤- عدد ركعاتها:

♦ يجوز الوترُ بخمسٍ وبسبعٍ وبتسعٍ، فإن أوترَ بتسعٍ سرَدَ تمامًا، وجلس وتشهدَ التشهدَ الأوَّلَ ولم يُسَلِّمْ، ثم إذا صلى التاسعةَ وتشهدَ سلِّمَ، لما ورد عن سعيد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كنا نعد له سواكهُ وطهورَهُ، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيوَلُّ ويتوضأُ، ويُصلي تسعَ ركعات، لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يُسَلِّم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكرُ الله، ويحمده ويدعوه، ثم يُسَلِّم تسليمًا فيسمعنا، ثم يُصلي ركعتين بعد ما يُسَلِّم وهو قاعد، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بُني ^(١). رواه مسلم.

♦ وإن أوترَ بسبعٍ أو بخمسٍ، لم يجلس إلا في آخرها، لما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوترُ بسبعٍ وبخمسٍ، لا يفصل بينهما سلام ولا بكلام ^(٢). رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

للهِ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلي من الليل ثلاثَ عشرةَ ركعةً، يوتر من ذلك بخمسٍ، ولا يجلس في شيءٍ إلا في آخرهن ^(٣). متفق عليه.



(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٤٨٦)، والنسائي في سننه (١٧١٤)، وابن ماجه في سننه (١١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٠)، ومسلم (٧٣٧).

٥- دعاء القنوت في الوتر:

❖ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْنَتَ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ؛ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، وَعَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ ﷺ، أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنَتَانِ بَعْدَ الرُّكُوعِ^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَثْرَمُ. وَلَوْ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ جَازًا، لِحَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْنَتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ^(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

لِلَّهِ وَرَوَى الْأَثْرَمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقْنَتُ فِي الْوَتْرِ، وَكَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَنَتَ^(٣). وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: وَالْقَنُوتُ: الدُّعَاءُ، وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ، وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرِكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نَصَلِي وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفَدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنْ عَذَابَكَ الْجَدُّ بِالْكَفَارِ مُلْحَقٌ»^(٤).

لِلَّهِ وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قَنُوتِ الْوَتْرِ، وَهِيَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّيْتَنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعْزُزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكَتْ رَبَّنَا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٦٩٨) عن عمر بن الخطاب ﷺ، والبيهقي في الكبرى (٤٨٦٠) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود معلقاً بعد حديث (١٤٢٧)، والنسائي في سننه (١٦٩٩)، وابن ماجه في سننه (١١٨٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٩٤٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (١١ / ٣٧٤) وغيرهما، بنحوه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٠٣١)، والطحاوي في معاني الآثار (١ / ٢٤٩) وغيرهم، بنحوه.

وتعاليت»^(١).

لله وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا نُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢). رواه الخمسة.

◆ ثم يُصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، لحديث الحسن بن علي رضي الله عنه وفي آخره: «وصلني الله على محمد»^(٣). رواه النسائي.

لله وعن عمر رضي الله عنه: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تُصلي على نبيك»^(٤). رواه الترمذي.

◆ ثم يمسح وجهه بيديه، هنا وخارج الصلاة إذا دعا، لعموم حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء، لا يحطهما حتى يمسح بهما وجهه»^(٥). رواه الترمذي.

لله ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس: «فإذا فرغت فامسح بهما وجهك»^(٦). رواه أبو داود وابن ماجه.

◆ ويفرد المنفرد الضمير، وإذا سلم من الوتر سُنَّ قوله: «سبحان الملك القدوس» - ثلاث مرات -، يرفع صوته في الثالثة، لما روى أبي بن كعب رضي الله عنه

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٢٥)، والترمذي في سننه (٤٦٤)، والنسائي في سننه (١٧٤٥)، وابن ماجه في سننه (١١٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٢٧)، والترمذي في سننه (٣٥٦٦)، والنسائي في سننه (١٧٤٧)، وابن ماجه في سننه (١١٧٩).

(٣) أخرجه النسائي في سننه (١٧٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٤٨٦).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٨٦).

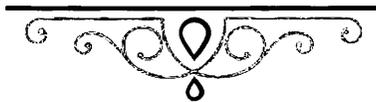
(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٨٥)، وابن ماجه في سننه (١١٨١)، (٣٨٦٦).

قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم في الوتر قال: «سبحان الملك القدوس». وزاد ثلاث مرات يُطيل في آخرهن^(١).

وفي رواية للنسائي عن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال: كان يقول إذا سلم: «سبحان الملك القدوس» ثلاثاً، ويرفع صوته بالثالثة^(٢).

وَصَلِّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عِشْرِينَ رَكْعَةً
وَقُمْ بَعْدَهَا وَاشْفَعْ هُدَيْتَ بِرَكْعَةٍ
وَأَفْضَلَ نَفْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْتِهِ
وَإِنْ شِئْتَ فَاجْهَرْ فِيهِ مَا لَمْ تَخْفَ أَذَى
وَخُذْ قَدْرَ طَوْقِ النَّفْسِ لَا تَسَأَمْنَهُ
فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَادْكُرِ اللَّهَ جَاهِدًا
فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نَوُومٍ إِلَى الضُّحَى
يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ
تَوَاتَرَ فِي إِمَامِ شِئْتَ بَعْدَ التَّهَجُّدِ
فَقُمْ تَلَوْنَ نِصْفَ مِثْلِ دَاوُدَ فَاسْجُدِ
لِإِبْعَادِ شَيْطَانٍ وَإِقْبَاطِ رُقْدِ
وَقُلْ تَسْتَعِينُ بِالنَّوْمِ عِنْدَ التَّهَجُّدِ
وَتُوبَ وَاسْتَقْلَ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدِ
أَمَا يَسْتَحِي مَوْلَا رَقِيْبًا بِمَرَصِدِ
وَمُسْتَعْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ وَيُؤَيِّدِ

اللهم وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك، وأرشدنا إلى السعي فيما يرضيك، وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك، وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبائك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٣٠)، والنسائي في سننه (١٦٩٩).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (١٧٣٢).

كتاب الفضائل

ويبحث في:

- (١) ما ورد من الحث على الاجتهاد في العشر الأخير من رمضان، والحث على القيام عمومًا.
- (٢) ما ورد في فضل هذا العشر الأخير، والحث على القيام عمومًا.
- (٣) ما ورد في ليلة القدر من الفضل وذكر علامتها.



١- ما ورد من الحث على الاجتهاد في العشر الأخيرة من رمضان:

يُستحب الاجتهادُ والحرصُ على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان، وإحيائها بالعبادة، واعتزال النساء، وأمر الأهل بالاستكثار من الطاعة فيها، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر^(١). متفق عليه.

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره»^(٢). رواه مسلم.

وأخرج الطبراني من حديث علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (١١٧٥).

العشر الأواخر من رمضان، وكلّ صغيرٍ وكبيرٍ يُطيقُ الصلاة^(١).

وفي الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يُطيقُ القيامَ إلا أقامه»^(٢).



٢- ما ورد في فضل هذا العشر الأخير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قام ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(٣). رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت؛ أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟، قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو، فاعفُ عني»^(٤). رواه الترمذي.

قال ابن جرير رحمته الله: كانوا يستحبون أن يُغتسل، ويُتطيّب في الليالي التي تكون أرجى ليلة القدر، وروي عن أنس رضي الله عنه، أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيّب، ولبس حلّةً وإزاراً وِرداءً، فإذا أصبح طواهما، فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل، وقال حماد بن سلمة: كان ثابتُ البناني وحميدُ الطويل يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيّبان ويُطيّبان المسجدَ بالنضوحِ والدُّخنةِ في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر. فيُستحبُّ في الليالي التي تُرجى فيها ليلة القدر:

- (١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٢٥)، وأصله عند الترمذي في سننه (٧٩٥).
- (٢) أخرجه المروزي في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي (ص ٢٤٧)، وقد عناه ابن حجر في الفتح (٤/ ٢٦٩) للترمذي، وليس الحديث في سننه، ولم يذكره المزي في تحفة الأشراف.
- (٣) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)، وأبو داود في سننه (١٣٧٢)، والترمذي في سننه (٦٨٣)، والنسائي في سننه (٢٢٠٢).
- (٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥١٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٤٢)، وابن ماجه في سننه (٣٨٥٠).

التنظفُ والتطيُّبُ والتزيُّنُ بالغسلِ والطيبِ واللباسِ الحسنِ، كما شرعَ ذلك في الجمعِ والأعيادِ، وكذلك يُشرعُ أخذُ الزينةِ من الثيابِ في سائرِ الصلواتِ، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «الله أحمقُ أن يُزيِّنَ له»، وروى عنه رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولا يكملُ التزيُّنُ الظاهرُ إلا بتزيينِ الباطنِ بالتوبةِ والإنابةِ إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناسِ الذنوبِ، والله سبحانه لا ينظرُ إلى صوركم وأجسامكم، وإنما ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم. فمن وقف بين يديه فيزين ظاهره باللباسِ، وباطنه بلباسِ التقوى^(١)، وقال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرِدِيْشًا وَرِيْاسُ التَّقْوَى ذَلِك خَيْرٌ﴾.

عبادَ الله، إن عشرَكم هذا هو العشرُ الأخيرُ، وفيه الخيراتُ والأجورُ الكثيرةُ تكملُ فيه الفضائلُ، وتتم فيه المفاخرُ، ويطلعُ على عبادهِ الربُّ العظيمُ الغافرُ ويُنيلهم الثوابَ الجزيلَ الوافرَ، فيه تزكو الأعمالُ، وتُنال الآمالُ، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم من محاسنِ أهلِ الإيمانِ، أنهم تتجافى جنوبهم عن المضاجعِ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قال: هي قيامُ العبدِ أوَّلَ الليلِ.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجب ربُّنا من رجلين: رجلٍ ثار من وطائه ولحافه، من بين حبه وأهله إلى صلته رغبة فيما عندي، وشفقةً مما عندي»^(٢)... الحديث.

(١) من لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٨٩) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٤٩).

وقال الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وغيرهم: "إن المراد بالتجافي القيام لصلاة النوافل بالليل".

وفي آية سورة الذاريات أخبر ﷺ أنهم كانوا ينامون القليل من الليل، ويتهجدون مُعظمه قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾. قال: هي قيام العبد أول الليل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما تأتي عليهم ليلة يناموا حتى يصبحوا، إلا يصلُّون فيها شيئاً، إما من أولها أو من أوسطها^(١).

وقال الحسن: كابدوا قيام الليل فلا يناموا من الليل إلا قليلاً^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه داب الصالحين قبلكم، وهو قريةٌ من ربكم، ومغفرةٌ للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم»^(٣).

وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول: عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بونا بعيداً، وإذا قوم لا تبلغ أعمالهم، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله ولرسول الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلةً قومًا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٣٠٧)، والطبري في تفسيره (٢١ / ٥٠٢)، والحاكم في المستدرک (٣٧٣٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٠٨، ١٢٠٩)، والطبري في تفسيره (٢١ / ٥٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٧ / ٣٨).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة، صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تعالى قومًا فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ونحن والله قليلًا ما نقوم، فقال له أبي رضي الله عنه: طوبى لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ^(١).

وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنجفل الناس إليه، فكنت فيمن أنجفل، فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعت منه صلى الله عليه وسلم يقول: «يا أيها الناس، أطمعوا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٢).



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١ / ٥٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٨٥)، وابن ماجه في سننه (١٣٣٤).

موعظة

إخواني، إن قيام الليل كما علمتم فيه فضلٌ عظيمٌ وثوابٌ جليلٌ لمن وفقه الله ﷻ، وهو من أثقل شيءٍ على النفس، ولا سيما بعد أن يرقد الإنسان، وإنما يكون خفيفاً بالاعتیاد، وتوطين النفس وتمارينها عليه، والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في الابتداء، ثم بعد ذلك ينشرح وينفتح باب الأنس بالله، وتلد له المناجاة والخلوّة، وعند ذلك لا يشيع الإنسان من قيام الليل، فضلاً عن أن يستثقله أو يكسل عنه، كما وقع لكثير من السلف. قال بعضهم: أهل الليل في ليلهم ألدُّ من أهل اللهو في لهوهم، ويا بُعد ما بين الحاليتين، فسبحان من وفق أقواماً فتقرّبوا إليه بالنوافل، وأبعد - بحكمته وعدله - آخرين، فهم عن ما ينفعهم في حاضرهم ومآلهم غافلون.

شعراً:

ذُنُوبِكَ يَا مَعْرُورٌ تُحْصِي وَتُحَسِّبُ
وَقَلْبِكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَعَقْلِيَّةٍ
تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ
أَمَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ الْمُفَاجِئَكَ فِي غَدٍ
أَمَا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَحِيشَ وَلَحْدَهُ
أَمَا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهَوْلَهُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي مَرَاحِكَ لَاهِيَا
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مِفْصَلٍ
وَعُمِّضْتَ الْعَيْنَانَ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جَهَازِكَ أَحْضَرُوا
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحِ حَفِيظٍ وَتُكْتَبُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبُ
وَتَسْعَى حَيْثُهَا فِي الْمَعَاصِي وَتُدْنِبُ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَعْطَبُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرَبُ
وَمِيرَانَ قَسِطٍ لِلْوَفَاءِ سِيْنَصَبُ
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَيِّتَةِ تَنْشَبُ
فَلَا رَاحِمٍ يُنْجِي وَلَا نَمَّ مَهْرَبُ
وَبُسْطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسِ يُعْصَبُ
حَنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرَّبُوا

بِإِدْمَاعِ غَزِيرٍ وَإِكْفِ يَتَصَبَّبُ
يُحَرِّكُ كَفَيْهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ بَخَرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَّبُوا
تَضُمَّكَ بِيَدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ
فَكَيْفُ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكُلُّ وَمَشْرَبُ؟!
بِهِ ظَلَمَاتٌ غَيْهَبٌ نَمَّ غَيْهَبُ
وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
فَهَادِمٌ لِذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
وَعَفْوًا فَإِنَّ اللَّهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ
فَحِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَاءُ مِنْكَ أَقْرَبُ
عَلَيْكَ اتِّكَالِي أَنْتَ لِلخَلْقِ مَهْرَبُ
عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ

وَعَايَسُكَ الْمُحْزُونُ تَبْكِي عُيُونُهُ
وَكُلُّ حَيْبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيِّهَا
وَأَلْقَوْكَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَأَذْرَجُوا
وَفِي حُفْرَةِ أَلْقَوْكَ حَيْرَانَ مُفْرَدًا
إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالقَبْرُ مَسْكَنُ
وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
فِيَا نَفْسُ خَافِي اللَّهِ وَازْجِي ثَوَابَهُ
وَقُولِي إِلَهِي أَوْلِنِي مِنْكَ رَحْمَةً
وَلَا تُحْرِقْنِي جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
وَصَلِّي إِلَهِي كُلَّمَا دَرَّ شَارِقُ

اللهم إنا نعوذ بك من الشك بعد اليقين، ومن الشيطان الرجيم، ومن شدة يوم الدين، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين، واشتد الكرب والأنين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله أجمعين.

٣- ليلة القدر: فضائلها وعلاماتها

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ» وقال: «تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ» يعني ليلة القدر^(١). رواه أحمد بإسناد صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً أتى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إني شيخٌ كبيرٌ عليلٌ، يشقُّ عليَّ القيامُ، فأمرني بليلةٍ لعلَّ الله يوفقني فيها لليلةِ القدرِ، فقال: «عليك بالسابعة»^(٢) رواه أحمد.

وعن زر بن حبیش قال: سمعتُ أبيَّ بنَ كعبٍ يقول: وقيل له: إنَّ عبدَ الله بنَ مسعود رضي الله عنه يقول: «من قام السنَّة أصاب ليلةَ القدرِ»، فقال أبيُّ: «والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثني -، والله، إني لأعلم أيُّ ليلةٍ هي، هي الليلةُ التي أمرنا رسولُ الله ﷺ بقيامِها، هي ليلةُ سبعٍ وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمسُ في صبيحةِ يومِها لا شعاعَ لها»^(٣). رواه أحمد ومسلم وأبو داود، والترمذي وصححه.

وروى البخاريُّ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشرَ الأوسطَ من رمضان، فخرج صبيحةَ عشرين فخطبنا وقال: «إني رأيت ليلةَ القدرِ ثم أنسيتها أو نسيتهَا، فالتمسوها في العشرِ الأواخرِ في الوترِ، إني رأيتُ أني أسجدُ في ماءٍ وطِينٍ، فمن كان اعتكف مع رسولِ الله ﷺ فليرجعْ» فرجعنا وما نرى في السماء قزعةً، فجاءت سحابةٌ فمَطَرَتْ حتى سأل سقْفَ المسجدِ -

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٨٠٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٩٣)، ومسلم (٧٦٢)، أبو داود في سننه (١٣٧٨)، والترمذي (٣٣٥١).

وكان من جريد النخل -، وأقيمت الصلاةُ فرأيت رسولَ الله ﷺ يسجد في الماءِ والطينِ، حتى رأيت أثرَ الطينِ في جبهته^(١).

للهم وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها وإذا بي أسجد صبيحتها في ماءٍ وطين». قال فمطرنا في ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ وانصرف، وأن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه^(٢). رواه أحمد ومسلم وزاد.

للهم وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر من تسع يَبْقَيْنَ، أو سبع يَبْقَيْنَ، أو خمس يَبْقَيْنَ، أو ثلاث يَبْقَيْنَ، أو آخر ليلة». قال: وكان أبو بكرة يُصلي في العشرين من رمضان صلواته في سائر السنة فإذا دخل العشر اجتهد^(٣). رواه أحمد، والترمذي وصححه.

للهم وعن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه في حديث له: أن النبي ﷺ خرج على الناس فقال: «يا أيها الناس، إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجُلان يحتقان، معهما الشيطانُ فنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والخامسة والسابعة» قلت: يا أبا سعد، إنكم أعلم بالعدد منا، فقال: أجل! نحن أحقُّ بذلك منكم»، قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: «إذا مضت واحدةٌ وعشرون فالتى تليها اثنانُ وعشرون فهي التاسعة، فإذا مضت ثلاثٌ وعشرون فالتى تليها السابعة، فإذا مضت خمسٌ وعشرون فالتى تليها الخامسة»^(٤) رواه أحمد ومسلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٦)، ومسلم (١١٦٧/٢١٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٤٥)، ومسلم (١١٦٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٤٠٤، ٢٠٤١٧)، والترمذي في سننه (٧٩٤)، والنسائي في الكبرى (٣٣٨٩، ٣٣٩٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١١٠٧٦)، ومسلم (١١٦٧/٢١٧).

👤 وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان؛ ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»^(١). رواه أحمد والبخاري وأبو داود.

👤 وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «هي في العشر الأخير سبعٍ يمضين، أو تسعٍ يبقين» يعني ليلة القدر^(٢). رواه البخاري.

👤 وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريراً فليتحررها في السبع الأواخر»^(٣).

👤 ولمسلم قال: أرى رجلاً أن ليلة القدر ليلة سبعٍ وعشرين، فقال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها»^(٤).

👤 وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تحرروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»^(٥) رواه البخاري ومسلم.

👤 وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ليُخبرنا بليلة القدر، فتلاحي رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحي فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(٦) رواه البخاري.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٥٢)، والبخاري (٢٠٢١)، وأبو داود في سننه (١٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٥/٢٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩).

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٢٣).

ﷺ وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله، فمُرني بليلة أنزلها إلى المسجد فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين». قيل لابنه: كيف كان أبوك يصنع؟ قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر فلا يخرج منه إلا لحاجة حتى يُصلي الصبح، فإذا صلى الصبح، وجد دابته على باب المسجد، فجلس عليها فلحق بباديته^(١). رواه أبو داود

ﷺ قال البغوي: وفي الجملة أهدى الله هذه الليلة على هذه الأمة؛ ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان؛ طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمها الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات؛ ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي؛ لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة؛ ليجتهدوا في الطاعات، حذراً من قيامها^(٢).

إذا تقرر هذا، وعلمت ما ورد من الحث عليها، فاعلم أنه ينبغي لكل موفّق مريد للكمال والسعادة الأبدية أن يبذل وسعته ويستفرغ جهده في إحياء ليالي العشر الأخير وقيامها، لعله أن يُصادف تلك الليلة الجليلة، التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة، وآتاهم فيها من الفضل ما لا يحصره العدد.

فيا عباد الله، إن هذا عشر شهر مبارك الليالي والأيام، وهو سبب لمحو الذنوب والآثام، وفيه يتوفّر جزيل الشكر والإنعام، فاعتذروا فيه إلى المولى الكريم، وأقبلوا بقلوبكم إليه، وقفوا بالخضوع لديه، وانكسروا بين يديه فإنه رحيم كريم.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٨٠).

(٢) تفسر البغوي (٨ / ٤٩٠).

عبادَ الله؛ إنكم الآن في رمضان، وهو وحده عمرٌ طويلٌ لمن رامَ الثوابَ الجزيلَ، فإن في ليلِيه ليلةٌ واحدةٌ خيرًا من ألفِ شهرٍ، قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةٌ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. فاجتهدوا -رحمكم الله- بإخلاصِ الأعمالِ لله ﷻ، وبادروا بالتوبةِ والاستغفارِ والابتغالِ إلى ذي الجلالِ والإكرامِ.

واعلموا -رحمكم الله- أن الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادةٍ في أعمالهم بتسيحةٍ أو تحميدةٍ أو ركعةٍ، رُئي بعضهم في المنام فقال: ما عندنا أكثر من الندامةِ، وما عندكم أكثر من الغفلةِ. ورُئي بعضهم فقال: قدّمنا على أمرٍ عظيمٍ نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسيحةٌ أو تسيحتان، أو ركعةٌ أو ركعتان في صحيفةٍ أحدنا خيرٌ من الدنيا وما فيها.

وفي الترمذي: ما من أحدٍ يموتُ إلا ندمَ، إن كان مُحسنًا ندمَ أن لا يكونَ ازدادَ، وإن كان مُسيئًا ندمَ أن لا يكونَ نَزَعَ^(١).

قال الشاعر:

كَأَنَّكَ مُخْلِى لِلْمَلَاعِبِ مُمْرَجٌ	تَذَكَّرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تَكُنْ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تَخْرُجُ	وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلَّوْلُ حَوْلَهُ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السِّيَاقِ تُحْشَرُجُ	وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُسَجَّى بِبُؤْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضِ مِنَ الرَّيْطِ مُدْرَجُ	وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُعْزِي قَرِيبَهُ
إِذَا مَا هَدَوْكَاهُ انْتَوَالَمَ يُعْرَجُوا	وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الثَّرَى
عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلَسْبُنْ مُشْرَجُ	وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تَرَابِهِ

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٠٣).

وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَىٰ عَدَا مِنْهُ وَخَشَةً
 وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
 أَلَا رَبَّ ذِي طَمَرٍ عَدَا فِي كَرَامَةٍ
 لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
 مَجَالِسُ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسُجُ
 وَإِنْ سَرَّكَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُدْبِجُ
 وَمَلِكُ بَيْتِجَانِ الْهَوَانِ مُتَوَجُّ
 وَإِنْ زَخْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ، وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ، يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ مَنْ
 دَعَاهُ، هَبْ لِكُلِّ مِنَّا مَا رَجَاهُ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مُنَاهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ
 الزَّلَّاتِ، وَاسْتِرْ عَلَيْنَا كُلَّ الْخَطِيئَاتِ، وَسَامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ،
 وَانْفَعْنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْزَلْتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله، اغتنموا هذه الأوقات الشريفة، وأكثرُوا فيها من الدعاء؛ فإن الدعاء له أثرٌ عظيمٌ وموقعٌ جسيمٌ، وهو منحُ العبادة، لا سيما إذا كان بقلبٍ حاضرٍ، وصادفٍ إخبارًا وخشوعًا وانكسارًا وتضرعًا ورقَّةً وخشيةً، واستقبل القبلة حال دعائه، وكان على طهارة، وجدَّد التوبة، وأكثر من الاستغفار، وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره، ثم صلَّى على النبي ﷺ بعد ذلك ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنی مناسبٍ لمطلوبه، فإن كان يريد علمًا، قال: يا عليمٌ علمني، وإن كان يطلب رحمةً، قال: يا رحمنُ ارحمني، وإن كان يطلب رزقًا، قال: يا رزاقِ ارزقني ونحو ذلك، ولم يمنع من الدعاء مانعٌ كأكل الحرام وقطيعةٍ رحمٍ وعقوقٍ ونحو ذلك، وتحرَّى أوقات الإجابة وأتى بأسبابها، وهي الاستجابةُ لله تعالى بالانقياد لأوامره والانتهاؤ عن ما نهى عنه، فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال ﷺ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وقال ﷺ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

ومن أوقات إجابة الدعاء - إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع - :ثلثُ الليل الأخير، ويومُ الجمعة عند صعود الإمام المنبر، أو في آخر ساعةٍ من يومها، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول الغيث، وعند فطر الصائم، وعشية عرفة، وفي حالة السجود، وفي ليلة القدر، وفي أدبار الصلوات، وفي أدبار النوافل، وعند ختم القرآن، وعند البكاء والخشية من الله.

قال بعضهم:

قَالُوا شُرُوطَ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ لَنَا عَشْرٌ بِهَا بَشِّرِ الدَّاعِيَ بِإِفْلَاحِ
 طَهَارَةٌ وَصَلَاةٌ مَعَهُمَا نَدَمٌ وَقَتَ خُشُوعٍ وَحُسْنِ الظَّنِّ يَا صَاحِ
 وَحِلُّ قُوْتٍ وَلَا يُدْعَى بِمَعْصِيَةٍ وَاسْمٌ يُنَاسِبُ مَقْرُونٌ بِالْحَاحِ
 فعليكم -عباد الله- بالاجتهاد بالدعاء، وعليكم بجوامع الدعاء، التي
 تجمع خير الدنيا والآخرة، وفي الصحيحين: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم
 آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(١).

◆ ومن دعائه ﷺ إذا سافر: «أنه كان يتعوذ من وعشاء السفر وكآبة المنظر،
 والحدور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال»^(٢) رواه
 مسلم.

للهم ومن ما ورد عن أبي بكره ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «دعوات
 المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي
 شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٣) رواه أبو داود.

للهم وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رجل: لزممتني همومٌ وديونٌ يا
 رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همَّك وقضى عنك
 دينك، قلت: بلى، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من
 الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن،
 وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، ففعلت ذلك فأذهب همِّي وقضى

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٩٠).

عني ديني. ^(١) رواه أبو داود.

◊ ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» ^(٢)،
«اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» ^(٣)، «اللهم إني أعوذ بك
من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نعمتك وجميع سخطك» ^(٤)،
«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع
ومن دعوة لا يُستجاب لها» ^(٥).

ﷺ وقالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: يا مُقَلَّبَ القلوبِ، ثبَّتْ
قلبي على دينك» ^(٦).

◊ ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك من الخيرِ كلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ
منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علمتُ منه وما لم
أعلم، اللهم إني أسألك من خيرِ ما سألك عبدك ونبيُّك، وأعوذ بك من شرِّ ما
استعاذك منه عبدك ونبيُّك، اللهم إني أسألك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ
وعملٍ، وأعوذ بك من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ» ^(٧).

ﷺ وقال ﷺ: «تعوذوا بالله من جهدِ البلاءِ ودركِ الشقاءِ وسوءِ القضاءِ وشماتةِ
الأعداءِ» ^(٨).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٢٢).

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨٤٦).

(٨) أخرجه البخاري (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

◊ ومن دعائه ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خيرٌ من زكّاها، أنت وليّها ومولاها»^(١).

للهم ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، و عليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، اللهم إني أعوذ بعزمتك لا إله إلا أنت أن تُضِلّني، أنت الحيّ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون»^(٢).

◊ ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم»^(٣).

للهم وعن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من خمس: من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر»^(٤) رواه أبو داود والنسائي.

للهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»^(٥) رواه أبو داود.

للهم وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة»^(٦) رواه أبو داود، والنسائي وابن ماجه.

للهم وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيء الأسقام»^(٧) رواه أبو داود والنسائي.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٨٣) مختصراً، ومسلم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٤٤)، والنسائي في سننه (٥٤٦٢)، وابن ماجه في سننه (٣٨٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٣٩)، والنسائي في سننه (٥٤٤٦)، وابن ماجه في سننه (٣٨٤٤).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٤٦)، والنسائي في سننه (٥٤٧١).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٤٧)، والنسائي في سننه (٥٤٦٨)، وابن ماجه في سننه (٣٣٥٤).

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٥٤)، والنسائي في سننه (٥٤٩٣).

❖ وعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»^(١) رواه الترمذي.

❖ وعن شكل بن حُميد رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، علمني تعويذًا أتعوذ به، قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي وشرِّ بصري وشرِّ لساني وشرِّ قلبي وشرِّ مني»^(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

❖ وعن أبي اليسر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردّي، ومن الغرق والحرق والهزم، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبرًا وأعوذ بك من أموت لديغًا»^(٣) رواه أبو داود والنسائي.

❖ ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(٤) متفق عليه.

❖ ومن ذلك ما علمه صلى الله عليه وسلم الصديق رضي الله عنه، قال له: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»^(٥) متفق عليه.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٩١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٥١)، والترمذي في سننه (٣٤٩٢)، والنسائي في سننه (٥٤٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٥٢)، والنسائي في سننه (٥٥٣١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).

(٥) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

للهم وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١) أي: الزموا هذه، وألحوا بها، وداوموا عليها.

للهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وفتنة القبر وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب»^(٢) متفق عليه.

للهم وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقول في دعائه «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب»^(٣) رواه الترمذي.

للهم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان من دعاء داود يقول: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يُبلِّغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومالي وأهلي، ومن الماء البارد»^(٤) الحديث رواه الترمذي.

للهم وعن أم معبد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٢٤، ٣٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩/٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٩١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٩٠).

خائنة الأعين وما تخفي الصدور»^(١) رواه البيهقي في الدعوات الكبير.

لله وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضى بالقدر»^(٢) رواه البيهقي في الدعوات الكبير.

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣) أخرجه البخاري.

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٨٠٤٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٧)، والطبراني في الكبير (٢٩ / ١٣) (٦٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

وقال بعضهم في سؤال الرحمن تعالى:

إِنْ كُنْتَ بِالرَّحْمَنِ ذَا إِيمَانٍ
وَالْفُقَرَاءِ وَالْبِخْلَاءِ بِالرَّحْمَنِ
يَرْضَى يَعُودُ بِأَخْسَرِ الْخُسْرَانِ
وَأَفْرَعِ إِلَى الْمَوْلَى بِغَيْرِ تَوَانِي
أَبْوَابِهِمْ بَابُ النُّوَالِ الْهَيَّانِ
وَنَهَارِهِ لِتَدَارِكِ الْعَصِيَّانِ
قُبِضَتْ يَدُ خَوْفًا مِنَ النُّقْصَانِ
يَغْضَبُ فَكَيْفَ يَرُدُّ بِالْحَرَمَانِ
لَا جِإِلَيْهِ مَالَهُ مِنْ ثَانِي
فِي آيَتِي بُشْرَى مِنَ الْقُرْآنِ
لِيُبَشِّرَ الْجُهْلَاءَ مِنَ الْعُبْدَانِ
لَمْ تَحْظَ بِالْإِيمَانِ وَالْعُفْرَانِ
بِمُنَى وَعُدَّتْ بِخَيْبَةٍ وَهَوَانِ
عَمْرٍو وَعَنْ ثَانٍ وَعَنْ أَعْوَانِ
لَمْ يُلَفَّ مُنْتَقِصًا مَدَى الْأَرْمَانِ
زَادُوهُ فِي مُلْكٍ وَلَا سُلْطَانِ
نَقْصُوهُ بِالْكَفْرَانِ وَالطُّغْيَانِ
يَنْصَرِّعُونَ إِلَيْهِ وَالنُّثْقَلَانِ
شَأْنٍ كَمَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ

لَا تَطْلُبَنَّ مِنْ غَيْرِ رَبِّكَ حَاجَةً
وَمَنْ الَّذِي يَسْتَبْدِلُ الضُّعْفَاءَ
أَوْ يَشْتَرِي الظُّلْمَاتِ بِالْأَنْوَارِ أَوْ
فَوْضَ إِلَى الْمَعْبُودِ أَمْرَكَ كُلَّهُ
وَاقْرَعْ إِذَا نَامَ الْأَنْامُ وَعَلَّقُوا
بَابَ الَّذِي بَسَطَ الْيَدَيْنِ بِلَيْلِهِ
وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ لِلْإِحْسَانِ مَا
بَابَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ فَضْلَهُ
بَابَ الْمَجِيبِ إِذَا دَعَاهُ مُرْتَجٍ
الْوَاعِدُ الْعَبْدَ الْإِجَابَةَ إِنْ دَعَا
بَابَ الَّذِي نَبَأَ الرَّسُولَ بِقُرْبِهِ
بَابَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِ مُتَدَلِّلاً
وَحَسِرْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ تَفْزُ
بَابَ الَّذِي يُغْنِيكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَنْ
بَابَ الَّذِي إِنْ يُعْطِ كُلا سؤْلَهُ
بَابَ الَّذِي لَوْ يَتَّقِيهِ الْخَلْقُ مَا
بَابَ الَّذِي إِنْ يَكْفُرُوهُ الْخَلْقُ مَا
بَابَ الَّذِي أَهْلُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
بَابَ الَّذِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَهُوَ فِي

بِيَدَيْهِ كُلُّ مَنِيٍّ وَكُلُّ أَمَانٍ
لِعِظَائِمِ الْأَلَامِ وَالْحَدَثَانِ
بَابَ الْمُجِيرِ الْمُطْعِمِ الْمَنَانِ
الْوَاسِعِ الرَّحْمَى الْعَظِيمِ الشَّانِ
بَلْ كُلُّ شَيْءٍ نُصِّ فِي الْقُرْآنِ
تَصُّ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
مَا كَانَ مِنْ شَرٍّ وَمِنْ إِحْسَانِ
عَبَّأَ تَعَالَى دَائِمُ الْإِحْسَانِ
وَاحْذَرُهُ لَا تَقْطَعُ بِنِيلِ أَمَانِ
حُكْمٍ وَلَا يَنْجُو مِنَ الْعِضْيَانِ
إِلَّا الْمَبْشُرَ قَبْلُ بِالْغُفْرَانِ
فِي الْخَلْقِ نَصٌّ لَيْسَ بِالْإِدْعَانِ
يَلْقَى الْكَرِيمَ الْبَرَّ بِالْإِدْيَانِ
نَجْوَى لَيْسَتْ كُلُّ عَبْدٍ جَانِ
يُخْزِي صَاحِبِ لَيْسَ بِالْبُهْتَانِ
لَا قَبْلَهَا فَاعْمَلْ بِغَيْرِ أَمَانِ
لِدَوَامِ خَوْفِ اللَّهِ وَالْهَيْمَانِ
عَمَلُوا وَسُمُّوا مِنْهُ بِالزُّهْدَانِ

بَابَ الَّذِي لَا خَيْرَ إِلَّا عِنْدَهُ
بَابَ الَّذِي يُرْجَى لِكُلِّ مُلَمَّةٍ
بَابَ الْمُعَزِّ وَالْمُذَلِّ لِمَنْ يَشَاءُ
الْحَيُّ قِيَوْمُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
الْمُرْتَجَى وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
آلَى كِتَابَتِهَا وَجُوبًا فَهُوَ مُخْ
بَابَ الَّذِي عَلِمَ الْغُيُوبَ مُقَدَّرًا
بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمِ الْخَفِيَّةِ لَمْ يَكُنْ
فَاعْبُدُهُ وَارْتَجِ رَاضِيًا بِقَضَائِهِ
فَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ عَلَى الْمَعْبُودِ مِنْ
وَلِذَلِكَ حَادَ الرِّسْلُ مِنْ أَنْ يَشْفَعُوا
أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَوْ إِلَى مِنْ دَابَّةٍ
فَالْخَوْفُ حَقٌّ مُصْلِحٌ لِلْعَبْدِ أَوْ
فَيُقَرِّرُ الْعَبْدَ الضَّعِيفَ بِذَنْبِهِ
إِلَّا الْمُنَافِقَ وَالْكَفُورَ كِلَاهُمَا
فَهُنَاكَ تَحْظَى بِالْأَمَانِ بِفَضْلِهِ
إِنَّ السَّوَابِقَ وَالْحَوَائِمَ حُجِّبَتْ
فَالْعَارِفُونَ بِذَا عَلَى خَوْفٍ وَإِنْ

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

موعظة

عبادَ الله، إن الناسَ في هذا الزمنِ لم يعرفوا ربَّهم المعرفةَ التي تليقُ بجلاله وعظمتِهِ ولو عَرَفُوهُ حَقَّ المعرفةِ لم يكونوا بهذه الحالِ؛ لأنه مَنْ كان بالله عَرَفَ كان منه أخوفَ، إن العارفَ بالله يخشاه فتعقله هذه الخشيةُ بإذن الله عما لا ينبغي من الأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

العارفُ بالله لا يجرؤ أن يحركَ لسانه بكلمةٍ من المنكراتِ أفعالٍ أو أقوالٍ، كالغيبة والنميمة والكذب والقذف والفسق والسخرية والاستهزاء ونحو ذلك، ولا يستعمل عضوًا من أعضائه في عملٍ ليس بحلال، بل يكفُّ بصره وسمعَه ويده ورجله عن المحرمات؛ لأنه يؤمن حَقَّ الإيمانِ بأن الله ﷻ مهما تَخَفَى وتَسَتَّرَ العبدُ عنه فإنه يراه.

والعارفُ بالله لا ينطوي على رذيلةٍ، كالكبر والحقد والحسد وسوء الظن وغير ذلك من الرذائل الممقوتات؛ لأنه يصدِّق أن الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وأنه يعلم ما تُكِنُّه الصدورُ، كما يعلم العلانية، فلا يستريح العارفُ حتى يكونَ باطنه كظاهره مُطهرًا مِن كُلِّ فحشاء، وكذلك لا تسمع مِن فم العارفِ عند نزولِ المصائبِ والبلايا والشدائدِ إلا الحسن الجميل، فلا يغضب لموتٍ عزيزٍ أو فقدِ مالٍ أو مرضٍ شديدٍ طويلٍ؛ لأنه يعلم أن غضبه وتسخطَه يفوت عليه أجره، ولا يردُّ ما فات كما قيل:

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ

ولا يياس العارفُ من زوال شدةٍ مهما استحكمت؛ فإن الفرجَ بيد الله الذي قال -وقوله الحقُّ-: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ولا يياس من حصول خير مهما سما وابتعد؛ لأنه يؤمن أن الأمر بيد من إذا أراد شيئاً قال له: كن. فكان، وإن بدا مُحالاً في نظر الجهلاء، ولا يقنط العارفُ ولا يُقنطُ مؤمناً من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء، وإن كانت ذنوبه أمثالَ الجبالِ والرمالِ، ولا يُؤمّنُ العارفُ مستقيماً من العذاب، مهما كان العملُ من الصالحاتِ؛ لأنه يُصدّقُ أنه يغفر الذنوبَ جميعاً، وأنه له الحجةُ البالغةُ، وأن القلوبَ بين إصبعين من أصابعه ﷺ، فلا تغفل عن ذلك، وإن أهمله الكثيرُ من الناس.

اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا، وهب لنا تقواك، واهدنا بهداك، ولا تكلنا إلى أحدٍ سواك، واجعل لنا من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، اللهم أعذنا بمعافاتك من عقوبتك، وبرضاك من سخطك، واحفظ جوارحنا من مخالفة أمرك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.



(فصل)

١- زكاة الفطر وما ورد من الآثار في شرعيتها:

◆ زكاة الفطر واجبة بالفطر من رمضان، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر في رمضان على الناس صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من شعير، على كل حرٍّ وعبد، ذكر وأنثى من المسلمين. (١)
متفق عليه.

﴿ وفي رواية، أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة (٢). ﴾

﴿ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب (٣). متفق عليه. ﴾

﴿ قال سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز -رحمهما الله- في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ هو زكاة الفطر (٤). ﴾

◆ وأضيفت هذه الزكاة إلى الفطر؛ لأنها تجب بالفطر من رمضان، وهذه يُراد بها الصدقة عن البدن والنفس، ومصرفها كزكاة المال، لعموم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ...﴾ الآية.

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٥٧٩) عن ابن المسيب رضي الله عنه، وابن النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص ٧٦١) عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

❖ ولا يمنع وجوبها ديناً إلا مع طلب، وهي واجبة على كل حرٍّ وعبدٍ، ذكرٍ وأنثى من المسلمين، فَضَّلَ له عن قوته وَمَنْ تَلَزَمَهُ مَوْؤَنَتُهُ يَوْمَ الْعِيدِ وَلَيْلَتِهِ: صَاعٌ؛ لِأَنَّ النِّفْقَةَ أَهْمٌ فَيَجِبُ الْبِدَاءُ بِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَبْدَأْ بِنَفْسِكَ»^(١) رواه مسلم.

❖ وفي الحديث: «... وأبدأ بمن تعول»^(٢).

❖ وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ ذَلِكَ الصَّاعِ فَاضِلاً عَمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ تَلَزَمَهُ مَوْؤَنَتُهُ مِنْ مَسْكِنٍ وَخَادِمٍ وَدَابَّةٍ وَثِيَابٍ بِذَلَّةٍ وَنَحْوِهِ، وَكُتِبَ يَحْتَاجُهَا لِنَظَرٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ حَوَائِجٌ أَصْلِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كَالنِّفْقَةِ، وَتَلَزَمُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَعَمَّنْ يَمُونُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَزَوْجَةٍ وَعَبْدٍ وَوَلَدٍ، لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَدَقَةِ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِمَّنْ تَمُونُونَ»^(٣) رواه الدارقطني.

❖ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْهُ لَجْمِيعِهِمْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَزَوْجَتِهِ فَرَقِيْقَهُ فَأُمَّهُ فَأَبِيَهُ فَوَلَدِهِ، فَأَقْرَبُ فِي مِيرَاثٍ، وَيُفْرَعُ مَعَ الْإِسْتِوَاءِ.

❖ أما دليل البداء بالنفس، فلحديث: «أبدأ بنفسك، ثم بمن تعول»^(٤).

❖ وأما الزوجة، فلوجوب نفقتها في حال اليسر والعسر؛ لأنها على سبيل المعاوضة.

❖ وأما الرقيق، فلوجوب نفقته مع الإعسار بخلاف الأقارب؛ لأنها صلة تجب مع اليسار دون الإعسار.

❖ وأما الأم، فلقوله ﷺ للأعرابي حين قال له: «من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم

(١) أخرجه مسلم (٩٩٧).

(٢) هذا المعنى أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبخاري

(١٤٢٦)، ومسلم (١٠٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (١٠٣٦) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٢٠٧٨).

(٤) تقدم قريباً الإشارة إلى هذا المعنى.

من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك»^(١)؛ ولأنها ضعيفة عن الكسب.

❖ وأما الأب فلما سبق، وحديث: «أنت ومالك لأبيك»^(٢).

❖ وأما الولد، فلقربه، ووجوب نفقته في الجملة.

❖ وأما الأقرب في الميراث؛ فلأنه أولى من غيره كالميراث.

❖ وتُستحب عن الجنين، لفعل عثمان رضي الله عنه^(٣)، وعن أبي قلابة قال: «يُعجبهم أن يُعطوا زكاة الفطر عن الصغير والكبير، حتى على الجبل في بطن أمه»^(٤) رواه أبو بكر.

❖ ولا تجب، قال ابن المنذر: «كل من نحفظ عنه لا يوجبها عن الجنين، وتجب على اليتيم، ويخرج عنه وليه من ماله».

❖ ولا يلزم الزوج فطرةً زوجةً ناشزٍ وقتَ الوجوب، ولا تلزم الزوج فطرةً من لا تلزمه نفقتها، كغير المدخول بها إذا لم تسلّم إليه، والصغيرة التي لا يمكن الاستمتاع بها.

❖ ومن لزم غيره فطرته كالزوجة، فأخرج عن نفسه بغير إذن من وجبت عليه: أجزاء.

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٤/٢٥٤٨) بنحوه، وأخرجه الترمذي في سننه (١٨٩٧) بلفظه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٢٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٧٣٧).

(٤) أخرجه أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٥٧٨٨).

٢ - فصل في وقت وجوب صدقة الفطر، والأفضل منه:

♦ وتجب زكاة الفطرِ بغروبِ شمسِ ليلةِ الفطر، لقول ابن عباس رضي الله عنهما:
«فرض رسول الله ﷺ صدقةَ الفطرِ طُهْرَةً للصائم من اللغو والرفث، وطُعْمَةً
للمساكين»^(١). رواه أبو داود، والحاكم وقال: على شرط البخاري.
فأضاف الصدقة إلى الفطرِ فكانت واجبةً به؛ لأن الإضافة تقتضي
الاختصاص.

♦ وأول فطرٍ يقع من جميع رمضان بمغيبِ الشمسِ من ليلةِ الفطر، فمن
أسلم بعد الغروب، أو تزوج بعد الغروب فلا فطرة، وإن وجد ذلك، بأن
أسلم أو تزوج، أو وُلد له ولدٌ، أو ملك عبدًا، أو أيسر قبل الغروب: وجبت
الفطرة؛ لوجود السبب، فالاعتبار بحال الوجوب.

♦ وإن مات قبل الغروب هو أو زوجته أو رقيقه أو قريبه ونحوه، أو أعسر أو
أبان الزوجة، أو أعتق العبد، أو باعه أو وهبه: لم تجب الفطرة لما تقدم.

♦ ولا تسقط الفطرة بعد وجوبها بموتٍ ولا غيره، والأفضل إخراجها يومَ
العيد قبل الصلاة، لما في المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا،
وفي آخره: «وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»^(٢).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومَنْ
أدّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٠٩)، وابن ماجه في سننه (١٨٢٧)، والحاكم في المستدرک (١٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٠٩)، وابن ماجه في سننه (١٨٢٧).

♦ وتُكره بعدها؛ خروجًا من الخلاف، ولقوله ﷺ: «اغنوهم عن الطلب في هذا اليوم»^(١). رواه سعيد بن منصور.

♦ فإذا أخرها بعد الصلاة لم يحصل الإغناء لهم في هذا اليوم كله.

♦ ويحرم تأخيرها عن يوم العيد مع القدرة؛ لأنه تأخيرٌ للحق الواجب عن وقته، وكان ﷺ يقسمها بين مستحقيها بعد الصلاة، فدلّ على أن الأمر بتقديمها على الصلاة للاستحباب.

♦ ويقضيها من أخرها؛ لأنه حقٌّ ماليٌّ واجبٌ، فلا يسقط بفوات وقته كالدين، وتُجزىء قبل العيد بيوم أو بيومين، لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين»^(٢) رواه البخاري.

♦ وهذا إشارة إلى جميعهم فيكون إجماعًا، ولأن ذلك لا يُخلُّ بالمقصود، إذ الظاهرُ بقاؤها أو بعضُها إلى يوم العيد.

♦ ومن وجبت عليه فطرةٌ غيره أخرجها مع فطرته مكان نفسه؛ لأنها طهرةٌ له، وفطرةٌ من بعضه حرٌّ وبعضه رقيقٌ، وفطرةٌ قنٌّ مشتركٌ، وفطرةٌ من له أكثرٌ من وارث أو ملحق بأكثر من واحد: تُقسَّم، ومن عجز منهم لم يلزم الآخر سوى قسطه.



(١) أخرجه ابن وهب كما في الجامع (١٩٨)، والدارقطني في سننه (٧٧٣٩)، والبيهقي في الكبرى (٧٧٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٥١١).

٣- الواجب في الفطرة:

♦ الواجب على كل شخص صاع برّ، أو مثل مكيله من تمر أو زبيب أو أقط، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه: «كنا نخرج زكاة الفطر، إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط»^(١) متفق عليه.

♦ ويُجزئ دقيق البر والشعير إذا كان بوزن الحَبِّ، نصَّ عليه، واحتج بزيادة تفرّد بها ابن عيينة: من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «أو صاعاً من دقيق»، قيل لابن عيينة: إن أحداً لم يذكره فيه، قال: بلى هو فيه.^(٢) رواه الدارقطني.

♦ قال المجد: بل هو أولى بالإجزاء؛ لأنه كُفي مؤنثه، كتمر منزوع نواه^(٣).

♦ ويخرج مع عدم ذلك ما يقوم مقامه من حَبِّ يُقْتات، كذرة ودخن وباقلاء؛ لأنه أشبه بالمنصوص عليه، فكان أولى.

♦ ويجوز أن يُعطي الجماعة فطرتهم لواحد، وأن يُعطي الواحد فطرته لجماعة.

♦ ولا يُجزئ إخراج القيمة؛ لأن ذلك غير المنصوص عليه.

♦ ويحرم على الشخص شراء زكاته وصدقته ممن صارت إليه، لحديث عمر رضي الله عنه: «لا تشتريه، ولا تعد في صدقتك، وإن أعطاكه بدزهم؛ فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه»^(٤) متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢٠٩٩)، وزيادة ابن عيينة عند أبي داود في سننه (١٦١٨)، والنسائي في سننه (٢٥١٤).

(٣) انظر: الفروع لابن مفلح (٤/ ٢٣٣)، منار السبيل (١/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٢٣، ٢٦٣٦)، ومسلم (١٦٢٠).

◇ وحسماً لمادة استرجاع شيءٍ منها حياءً، أو طمعاً في مثلها، أو خوفاً أن لا يُعطيه بعد، فإن عادت إليه بإرثٍ أو وصيةٍ أو هبةٍ، أو أخذها من دينه من غير شرطٍ ولا مواطأةٍ: طابت بلا كراهةٍ؛ لعدم المانع، ولحديث بريرة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته امرأةٌ فقالت: «إني تصدقت على أُمي بجاريةٍ، وإنها ماتت، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «وجب أجرُك، وردَّها عليك الميراثُ»^(١) رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي.

◇ ويُجزئ إخراج صاعٍ مجموعٍ من تمرٍ وزبيبٍ وبُرٍّ وشعيرٍ وأقْطٍ، كما لو كان خالصاً من أحدها.

◇ ولا يُجزئ مُختلطٌ بأكثر مما لا يُجزئ.

◇ ولا يُجزئ إخراج معيبٍ، كمسوسٍ ومبلولٍ، وقديمٍ تغيَّر طعمه.

◇ والأفضلُ تمرٌ، لفعل ابن عمر رضي الله عنهما، قال نافع: وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُعطي التمرَ إلا عامًّا واحداً، أعوز التمرُ فأعطى شعيراً.^(٢) رواه أحمد والبخاري.

وقال له أبو مجلز: إن الله قد أوسع، والبُرُّ أفضل، فقال: إن أصحابي سلكوا طريقاً، فأنا أحب أن أسلكه.^(٣) رواه أحمد واحتج به.

وظاهره أن جماعة الصحابة رضي الله عنهم كانوا يُخرجون التمرَ، ولأنه قوِّتٌ، وأقرب تناولاً وأقلُّ كلفةً، ويليه في الأفضلية الزبيبُ؛ لأن فيه قوتاً وحلاوةً وقلةً كلفةً، ثم البرُّ؛ لأن القياسَ تقديمه على الكلِّ، لكن تُرك اقتداءً بالصحابة رضي الله عنهم.

(١) أخرجه مسلم (١١٤٩)، وأبو داود في سننه (١٦٥٦)، والترمذي في سننه (٦٦٧)، والنسائي في الكبرى (٦٢٨٠)، وابن ماجه في سننه (٢٣٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٨٦)، والبخاري (١٥١١).

(٣) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (٢٣٩٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٩) من طريق الإمام أحمد بن حنبل، وانظر: المغني لابن قدامة (٨٤ / ٣)، والفروع لابن مفلح (٤ / ٢٣٨).

في التمر، وما شاركه في المعنى وهو الزبيب، ثم الأنفع في الاقتيات ودفع حاجة الفقير، ثم شعيره، ثم دقيق شعير، ثم سويقهما، ثم أقط، والأفضل أن لا يُنْقَصَ مُعْطِي مِنْ فِطْرِهِ عَنْ مُدِّبٍ أَوْ نَصْفِ صَاعٍ مِنْ غَيْرِهِ لِيُعْنِيَهُ عَنِ السُّؤَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَغْنَوْهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ»^(١).

◆ وَيُسْنُ التَّكْبِيرُ الْمُطْلَقُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُقَيَّدْ بِأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ، وَالْجَهْرُ بِهِ فِي لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ إِلَى فِرَاقِ الْخُطْبَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ حَتَّى يُسْمِعَ أَهْلَ الطَّرِيقِ^(٢). وَصِفَةُ التَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَفِي كُلِّ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

قال البخاري: كان ابنُ عمرَ وأبو هريرة يخرجان إلى السوقِ في أيام العشرِ يُكَبِّران ويكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا^(٣).

والتكبيرُ المقيَّدُ في الأضحى عقب كلِّ فريضةٍ صلَّاهَا في جماعة، مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصُّبْحَ يَوْمَ عَرَفَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَمَدَّ التَّكْبِيرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ^(٤). رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ بِمَعْنَاهُ. إِلَّا الْمُحْرَمَ فَيُكَبِّرُ مِنْ صَلَاةِ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

(١) أخرجه ابن وهب كما في الجامع (١٩٨)، والدارقطني في سننه (٧٧٣٩)، والبيهقي في الكبرى (٧٧٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٢٥)، وابن المنذر في الأوسط (٢١٠٣)، والطحاوي في معاني الآثار (٣/ ٢٧٣)، والدارقطني في سننه (١٧١١) بمعناه.

(٣) أخرجه البخاري تعليقا قبل حديث (٩٦٩).

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه (١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧) بمعناه.

اللهم اعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك، وأدم لنا لزوم الطريق إلى ما يُقَرِّبنا إليك، وهب لنا نوراً نهتدي به إليك، ويسِّر لنا ما يسَّرته لأهل محبتك، وأيقظنا من غفلاتنا، وألهمنا رُشدنا، واسترنا في ديانا وآخرتنا، واحشرنا في زمرة المتقين، وألحقنا بعبادك الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، و صلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(فصل)

الحمدُ لله غافرِ الذنوبِ وقابلِ التَّوبِ، شديدِ العقابِ ذي الطولِ، لا إله إلا الله إليه المصير، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسوله البشيرُ النذيرُ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أولي الجِدِّ في العبادةِ والتشميرِ.

عبادَ الله، إن شهرَ رمضانَ قد عزمَ على الرحيلِ، فَمَن كان منكم أحسنَ فعليةً بالتمامِ، ومَن كان منكم فرَّطَ فيه فليختمه بالحسنى، فالعملُ بالختمِ، وبادروا -رحمكم الله- أوقاتِ شهرِكم الباقيةَ، واستدركوا ما مضى منه بالحسرةِ والندمِ، واختموا بالتوبةِ النصوحِ والرجوعِ إلى صالحِ العملِ.

عبادَ الله، كم أناسٍ صلُّوا في هذا الشهرِ صلاةَ التراويحِ، وأوقدوا في المساجدِ -طلبًا للأجرِ- المصابيحِ، ونسخوا بإحسانهم كلَّ فعلٍ قبيحٍ، وقبل التمامِ سكنوا الضريحَ، ولم ينفعه المألُ والآمالُ لما نُقلوا، رحلوا عن الدنيا قدمًا قدمًا، ونقص ما بَنَوْهُ هدمًا هدمًا، أدارت عليهم المنونُ رحاها، وأحلت وجوههم في الثرى فمحاها.

وهذا حالُك عن قريبٍ فتيقِّظْ يا قليلَ الزادِ، وحادي رحيله قد حدى، تأهب للتلذذِ وتهيباً للردى، ذهب عنك شهرُ الصيامِ وودَّعك، وسارت فيه قوافلُ الصالحينِ، وجهلُك منعك، والتوبيخُ متوقِّفٌ، فما أرجعك ولا أزعجك، وأنت تَوَمَّلُ منازلَ العاملينِ بأفعالِ الغافلينِ، فما أطمعك!

يا مَن أصبحَ ساعياً إلى ما يضرُّه، ستعلم مَن يأتي غداً حزيناً مُتندِّماً، كم مِن صائمٍ يفضحه الحسابُ والعرضُ، وكم من عاصٍ في هذا الشهرِ تستغيث منه الأرضُ، فيا ليت شعري مَن المقبولُ منا فنهَّته على توفيقِ الله له بحسنِ عمله،

ويا ليت شعري مَنْ المطرودُ فنعزّيه بسوءِ عمله، فيا أيها المقبول هنيئاً لك بثوابِ الله ﷻ ورضوانه ورحمته وغفرانه وقبوله وإحسانه وعفوه وامتنانه.

ويا أيها المطرودُ بإصراره وطغيانه وظلمه وغفلته وخسرانه وتماديه في عصيانه؛ لقد عظمت مصيبتك، وخسرت تجارتك، وطالت ندامتك، فيا لها من خسارةٍ لا تُشبهها خسارةٌ، لله دُرٌّ أقوامٍ حرسوا بالتقى أوقاتهم، وتدرعوا دروعَ المراقبة في صبرهم، وجمعوا بين الصدقِ والإخلاصِ في ذكرهم، صبروا باليقين على ظمأ الهواجرِ، وبسطوا أقدامهم على بساطِ الدياجرِ، وعملوا اليومِ فيه القلوبُ لدى الحناجرِ.

أقبلوا على خدمة ربهم إقبالاً عالمٍ، وما سلكوا إلا الطريقَ السالمَ، تذكروا ذنوبهم القدامَ، فجددوا التوبةَ بصدقِ العزائمِ، وعدُّوا التقصيرَ مِنَ العظائمِ، وبذلوا المهجَ الكرائمِ، فإذا جنَّ الليلُ فساجدٌ وقائمٌ، ولا يخافون في الله لومةً لائمٍ، أين أنت وهم؟! فهل ترى الساهرَ كالنائمِ؟ .. كلا، ولا المفطرَ كالصائمِ.

قال ابنُ القيم رحمته: مَنْ أراد الله به خيراً فتح له بابَ الذلِّ والانكسارِ، ودوامِ اللجوءِ إلى الله تعالى، والافتقارِ إليه، ورؤية عيوبِ نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضلِ ربِّه وإحسانه ورحمته وجوده وبرِّه وغناه وحمده. فالعارفُ سائرٌ إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسيرَ إلا بهما، فمتى فاته واحدٌ منهما فهو كالطيرِ الذي فقدَ أحدَ جناحيه. وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمته: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنّةِ ومطالعة عيبِ النفسِ والعملِ. وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله عنها: سيد الاستغفار أن يقول العبد: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك

بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، فجمع في قوله ﷺ «أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي» بين مشاهدة المنّة ومطالعة عيب النفس والعمل. فمشاهدة المنّة توجب المحبة والحمد والشكر لوليّ النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذلّ والانكسار والافتقار والتوبة في كلّ وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقربُ بابٍ يدخلُ منه العبدُ على الله تعالى هو بابُ الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلّق به، ولا وسيلةً منه يمتنُّ بها، بل يدخلُ على الله من بابِ الافتقارِ الصّرفِ والإفلاسِ المحضِ دخولَ مَنْ كسرَ الفقرَ والمسكنةَ قلبه، حتى وصلت تلك الكسرةُ إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرةُ من كلّ جهاته، وشهد ضرورته إلى ربّه ﷻ وكمالَ فاقته وفقره إليه، وأن في كلّ ذرّةٍ من ذرّاته الظاهرة فاقةً تامةً وضرورةً إلى ربّه ﷻ، وأنه إن تخلّى عنه طرفةً عينٍ هلك وخسرَ خسارةً لا تُجبرُ، إلا أن يعودَ إلى الله تعالى ويتداركه برحمته^(١). انتهى.



(١) الوايل الصيب (ص ٧، ٨).

شعراً:

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلالِ وَالْدَارِ
 وَادِرِ الدُّمُوعِ نَحِيبًا وَابِكِ مِنْ أَسْفِ
 عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جُعِلَتْ
 يَا لَائِمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كُلفًا
 مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
 وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
 فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ
 تَنَزَّلَ الرُّوحُ وَالْأَمَلَاكُ قَاطِبَةً
 شَهْرٌ بِهِ يُعْتَقُ اللهُ الْعُصَاةَ وَقَدْ
 تَرَجُّو الْإِلَهَ مُجِبَّ الْعِفْوِ يُعْتَقِنَا
 وَيَشْمَلُ الْعَفْوُ وَالرِّضْوَانُ أَجْمَعَنَا
 فَابْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاعْتَنِمُوا
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لخدمتك،
 وجعلتهم ممن قبلت صيامه وقيامه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين،
 الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد
 وصحبه أجمعين.



(فصل)

في تلاوة القرآن الكريم

ويبحث في:

- ١) ما ورد في الحث على قراءة القرآن الكريم.
- ٢) ما جاء في فضل حمل القرآن وتلاوته.
- ٣) ما ورد في فضل تدبر القرآن وتفهمه.
- ٤) ما ورد في استحباب ترتيل القرآن الكريم.
- ٥) ما ورد في بيان عظم بعض السور.
- ٦) استحباب تحسين الصوت في التلاوة.
- ٧) ينبغي الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كتاب الله تعالى.
- ٨) ما ورد في تعاهد القرآن والترهيب من نسيانه.

١- ما ورد من الحث على القرآن الكريم:

♦ يُسْتَحَبُّ حَفْظُ الْقُرْآنِ عَنِ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَالْإِكْتِثَارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ؛ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَسِيمٌ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، وَلَا سِيْمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧].

وأخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به، ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانيةً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۗ لِيُؤْفِقَهُمْ ۗ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠، ٢٩].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١). رواه البخاري.



(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

٢- ما جاء في فضل حمل القرآن:

للهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(١) رواه البخاري.

للهم وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢) رواه مسلم.

للهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن فاقرووه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به، كمثل جرابٍ محشوٍ مسكاً تفوح ريحُه في كلِّ مكان، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه، كمثل جرابٍ أوكي على مسكٍ»^(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

للهم وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيبٌ حلواً، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيبٌ وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌّ»^(٤). رواه البخاري ومسلم.

للهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقومُ به آناء الليلِ وآناء النهارِ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليلِ وآناء النهارِ»^(٥). رواه البخاري ومسلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٧٦)، والنسائي في الكبرى (٨٦٩٦)، وابن ماجه (٢١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ﷺ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

ﷺ وأخرج البخاري في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف. وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «أوتدرون ما ذاك؟» قلت: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوازي»^(٣).

فالعاقل من يُكثر من تلاوته واستذكاره؛ للاهتمام بهديه، والاسترشاد بمواعظه، والاعتبار بقصصه، والالتقاط من دُرره وحكمه، والاستضاءة بنوره، كيف لا، وهو أساس الفصاحة وينبوع البلاغة والبراعة، فتجد الخطيب المصقّق والشاعر البليغ يقتبسان من آياته، ويستمدان من عذوبة ألفاظه ومعانيه، ما يُزيّنان به كلامهما ويحسّنان به مقامهما.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦).

وهو أساسُ الشريعةِ الإسلامية، ومنه تُستمدُّ الأحكامُ الشرعيةُ والمسائلُ
الفقهيةُ، والحقُّ أنه عمادُنا في أمرِ ديننا ودنيانا.

وفقنا الله وجميعَ المسلمين للتمسُّكِ بأهدابه، والمصارعةِ إلى امثالِ أمره
واجتنابِ نهيه، والوقوفِ عند حدِّه، والتفكيرِ في أمثاله ومعجزه، والتبصرِ في نور
حكِّمه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، برحمتك يا أرحمِ الراحمين،
وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، ويقول: يا ويله!» - وفي رواية: «يا ويلى!» - «أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»^(١) رواه مسلم وأبو داود.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان أو ظلتان سودوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يُحاجان عن صاحبهما»^(٢) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى، فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٣) رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أوصني، قال: «عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله» قلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخرك في السماء»^(٤) رواه ابن حبان.

(١) أخرجه مسلم (٨١)، وابن ماجه في سننه (١٠٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩١٠).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٦١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يُوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله»^(١) رواه الحاكم.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن واستظهره، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه، أدخله الله الجنة، وشقّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار»^(٢) رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تُصليّ مائة ركعة، ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يُعمل به خير من أن تُصليّ ألف ركعة»^(٣) رواه ابن ماجه.

اللهم اهدنا إلى سواء السبيل، ووفقنا للفقه في دينك القويم، واجعلنا من العاملين به قولاً وفعلاً، الداعين إليه، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٠٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٠٥)، وابن ماجه (٢١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١٩).

٣- ما ورد في فضل القرآن وتفهمه:

❖ يُسْتَحَبُّ التَّعَوُّدُ لِمَنْ أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَنْ يَقُولَ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وكان جماعة من السلف يقولون: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. فإن قطع القراءة قطع ترك على أن لا يعود قريباً إليها، أعاد التعوذ الأول، وإن تركه قبل القراءة فيتوجب أن يأتي بها ثم يقرأ؛ لأن وقتها قبل القراءة للاستحباب، فلا يسقط تركها إذا، ولأن المعنى يقتضي ذلك.

❖ فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه التدبر، وليحذر أن يكون مثل بعض الهمج، يقرأ القرآن وعيونه تجول فيما حوله من المخلوقات، يتلاعب بالقرآن ولا يهتم له، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى في معرض الإنكار: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].



٤- ما ورد في استحباب ترتيل القرآن الكريم:

﴿ وَيُسْتَحَبُّ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْتَلَ قِرَاءَتَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

لله ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ^(١). رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

لله وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها» ^(٢). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

لله وعن قتادة قال: سئل أنس رضي الله عنه، كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدّاً مدّاً، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يمد ب ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ويمد ب ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ويمد ب ﴿الرَّحِيمِ﴾ ^(٣). رواه البخاري.

لله وعن معاوية بن قرة، عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح يُرجع في قراءته ^(٤). رواه البخاري ومسلم.

لله وقد روى أبو ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة بآية يُردّها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] ^(٥). وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٦٦)، والترمذي في سننه (٢٩٢٣)، والنسائي في سننه (١٠٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسند (٦٧٩٩)، وأبو داود في سننه (١٤٦٤)، والترمذي في سننه (٢٩١٤)، والنسائي في الكبرى (٨٠٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٥، ٥٠٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٨١)، ومسلم (٧٩٤).

(٥) أخرجه النسائي في سننه (١٠١٠)، وابن ماجه في سننه (١٣٥٠).

السَّيِّئَاتِ ﴿ [الجاثية: ٢١] ^(١) . وقال أبو سليمان: إني لأقيم في الآية أربع ليالٍ أو خمسَ ليالٍ ^(٢) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ ختم القرآن نهارًا غفر له ذلك اليوم، ومن ختمه ليلاً غفر له تلك الليلة ^(٣) . وعن طلحة بن مُصرف قال: مَنْ ختم القرآن في أيِّ ساعةٍ من النهار، كانت صلت عليه الملائكةُ حتى يُمسي، أو أي ساعةٍ من ليلٍ كانت صلت عليه الملائكةُ حتى يُصبح ^(٤) .



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٨٣٣).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٨٣٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في التبصرة (٢/ ٤٦٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩١١) بنحوه عن عبد الرحمن بن الأسود.

(موعظة)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: عشرة أشياء ضائعة لا يُنتفع بها: علمٌ لا يُعمل به، وعملٌ لا إخلاص فيه ولا اقتداء فيه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإنه لا يوفق لهما إذا لم يُخلص العمل، ومالٌ لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعُه في الدنيا ولا يُقدمه أمامه لآخرته، وقلبٌ فارغٌ من محبة الله والشوق إلى لقائه والأنس به، وبدنٌ مُعطلٌ من طاعة الله وخدمته، ومحبةٌ لا تتقيّد برضا المحبوب وامتنال أوامره، ووقتٌ مُعطلٌ من استدراك فارط واغتنام بر وقربة، وفكرٌ يجول فيما لا ينفع، وخدمةٌ من لا تُقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفٌ ورجاؤك ممن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وأعظم هذه الإضاعاتِ إضاعةُ القلب، وإضاعةُ الوقت؛ إضاعة القلب عن الله من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفسادُ كُلُّه في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاحُ كُلُّه في اتباع الهدى والاستعداد للقاء الله^(١).

إلى أن قال: والله على عبده أمرٌ أمره به، وقضاءٌ يقضيه عليه، ونعمٌ ينعم بها عليه، فلا ينفكُ من هذه الثلاثة، والقضاءُ نوعان: إما مصائبٌ وإما معائبٌ، وله عليه عبوديةٌ في هذه المراتب كُلِّها، فأحبُّ الخلقِ إليه من عرف عبوديته في هذه المراتبِ ووفّأها حقّها، فهذا أقرب الخلقِ إليه، وأبعدُهم منه من جهل عبوديته فعطلّها علماً وعملاً^(٢). والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.



(١) الفوائد (ص ١١١، ١١٢).

(٢) الفوائد (ص ١١٢).

٥- ما ورد في عظم فضل بعض السور:

❦ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلةٍ ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن»^(١) رواه مسلم.

❦ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٢) رواه أبو داود والترمذي والدارمي.

❦ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكْوِيْنُ﴾ [التكاثر: ١]»^(٣) رواه البيهقي.

❦ وقالت عائشة رضي الله عنها: «ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة...»^(٤) الحديث. رواه مسلم.

❦ وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»^(٥) رواه البغوي.

(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٩٤)، والترمذي في سننه (٢٩٤٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠١٣)، وابن ماجه في سننه (١٣٤٧)، والدارمي في مسنده (١٥٣٤).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٠٨١)، وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٣٣)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (١)، ومن طريقه البغوي في تفسيره (٢٥١ / ٨).

للهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لأن أقرأ سورة البقرة أرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله»^(١). وقد نُهي عن الإفراط في الإسراع، ويُسمى "الهذّرمة"، فثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً قال له: "إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: هَذَا كَهَذَا الشَّعْرِ، إن أقواما يقرؤون القرآن لا يُجاوِزُ تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعٌ"^(٢). رواه البخاري ومسلم.

للهم قال ابن القيم رحمته: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضُرْ حُضُورَ مَنْ يُخاطَبُ به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثرٍ مُقتَضٍ، ومحلٍ قابلٍ، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه: تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظٍ وأبينه وأدله على المراد^(٣).

للهم وقال شيخ الإسلام رحمته: ومما ينبغي أن يُعلم أن أفضل القراءة والذكر والدعاء والصلاة وغير ذلك يختلف باختلاف حال الرجل، فالقراءة بتدبير أفضل من القراءة بلا تدبير، والصلاة بخشوع وحضور قلب أفضل من الصلاة بدون ذلك^(٤).



(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٧٥)، ومسلم (٨٢٢).

(٣) الفوائد (ص ٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٩).

٦- استحباب تحسين الصوت في التلاوة:

يُستحبُّ لقارئِ القرآنِ أن يُحسِّنَ صوتهَ بالقراءة؛ لأنَّ تحسينَ الصوتِ بالقراءة مُعينٌ على حضورِ القلبِ وخشوعِهِ، وباعثٌ على حُسْنِ الاستماعِ والإصغاءِ إلى القرآنِ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآنِ»^(١) رواه البخاري.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذنَ اللهُ لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ يتغنَّى بالقرآنِ ويجهُرُ به»^(٢) متفق عليه.

قال جمهور العلماء: معنى (لم يتغن)، أي: لم يُحسِّنَ صوته.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «زَيَّنُوا القرآنَ بأصواتِكُمْ»^(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي.

وفي رواية قال رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَسَّنُوا القرآنَ بأصواتِكُمْ؛ فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيد القرآنَ حُسْنًا»^(٤) رواه الدارمي.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءة تك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٢٣٣/٧٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٤٩٤)، والبخاري تعليقا قبل حديث (٧٥٤٤)، وأبو داود في سننه

(١٤٦٨)، والنسائي في سننه (١٠١٥)، وابن ماجه في سننه (١٣٤٢)، والدارمي في مسنده (٣٥٤٣).

(٤) أخرجه الدارمي في مسنده (٣٥٤٤).

مزامير آل دواد^(١). قال العلماء: المراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن.

اللهم قابل سيئاتنا بإحسانك، واستر خطيئتنا بغفرانك، وأذهب ظلمة
ظلمنا بنور رضوانك، واقهر عدونا بعز سلطانك، فما تعودنا منك إلا الجميل،
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا
أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (٧٩٣).

٧- ينبغي الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كتاب الله تعالى:

ويُستحبُّ البكاءُ عند تلاوة القرآن، وهو صفةُ العارفين، وشعارُ عبادِ الله الصالحين، قال الله تعالى في وصفِ الخاشعين من عباده عند تلاوة كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٧-١٩].

ولما ذكر تعالى الأنبياء المكرمين وخواصَّ المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم أخبر أنهم كانوا ﴿إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ ﴿١٠﴾ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١٠، ١١] وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة، وآثارٌ للسلف، فمن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»^(١)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أقرأ عليّ» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري» فقرأت من سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تَدْرِفَانِ^(٢). متفقٌ عليه.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ، عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يُصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٣). أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه ابن حبان.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣١٢)، وأبو داود في سننه (٩٠٤)، والترمذي في الشمائل (٣٢٣)، والنسائي في سننه (١٢١٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٦٥).

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له الصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، قالت عائشة: إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، إذا قرأ غلبه البكاء، قال: «مروه فليصل»^(١) رواه مسلم.

وعن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه صلى بالجماعةِ الصبحَ، فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه، وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء، وفي رواية: أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف^(٢).

وقرأ عمرُ بنُ عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالناسِ ذاتَ ليلةٍ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، فلما بلغ ﴿فَأَنْذَرْتُمْ كُنَّا نَارًا تَلْبَطِي﴾ [الليل: ١٤]، فلم يستطع أن يُنفذها، فرجع حتى إذا بلغها خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فقرأ سورةً غيرها^(٣).

وينبغي أن يكون ذلك حال العلماء، فقد أخرج ابنُ جرير وابنُ المنذر وغيرهما عن عبد الأعلى التيمي، أنه قال: إنَّ من أوتي من العلم ما لا يُبكيه، لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت أهل العلم، فقال: ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩]^(٤). وقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع»^(٥) ... الحديث. رواه الترمذي. وقال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكّت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله»^(٦) رواه الترمذي.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨ / ٩٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، والبخاري (٦٨٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٧٠٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٦٥).

(٣) ذكره ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ٤٧).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٣٦٠)، وأحمد في الزهد (٩٢٩)، والدارمي في مسنده (٢٩٩)، وابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٢٢).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٣٣)، والنسائي في سننه (٣١٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٣٩).

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ" أَوْ يَقُولُ: "أَسْأَلُكَ الْمَعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ" أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهِ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ: "سُبْحَانَكَ" أَوْ "بِحَمْدِكَ" أَوْ "جَلَّتْ عِظْمَةُ رَبِّنَا"، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حَازِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمَائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّيُ بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً؛ إِذَا مَرَّ فِيهَا بِتَسْبِيحٍ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ ^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.



(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

موعظة

عبادَ الله، إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّنَا ﷺ تَعْظِيمَ كِتَبِهِ وَرَسُولِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ اسْتَخَفَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَخَفَّ بِرَسُولِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخَسِرَانِ.

عبادَ الله، أين الغيرةُ الدينيةُ، كلَّ يومٍ نجدُ الكتبَ التي تحتوي على التوحيدِ وعلى الآياتِ من كتابِ الله، وعلى الأحاديثِ الشريفةِ؛ مُلقاةً مع القمامِ، وفي الحفرِ القذرةِ، تُداس بالنعالِ، وتلوَّث بالأقذارِ، تلوَّث تلويثاً تستغيثُ منه العواطفُ الإيمانيةُ، أليس هذا من المنكراتِ، لماذا لا تُصانُ وترْفَعُ أو تُقْبَرُ في محلٍّ طاهرٍ.

قولوا لمن يُلقِيها ولمن يقدر على منعهم من إلقائها: اتقوا الله، هذه حالةٌ والله تؤلمُ النفوسَ، وتشمّتُ بنا الأعداءُ، قولوا لهم: كيف تسمح نفوسكم تلقونها هذا الإلقاءَ الحقيراً؟! وكذلك كتبُ فقهِه، وإن لم يكن فيها آياتٌ ولا أحاديثٌ ينبغي احترامُها ورفعُها.

وكذلك ينبغي التنبيهُ على بعضِ الكتبِ التي جُمِعَ -والعياذُ بالله- بها مع الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ صورٌ ذواتِ الأرواحِ، وقد تكون فوقَ الآيةِ خصوصاً إذا أطبقَ الكتابُ، وهذا والله استهانةٌ عظيمةٌ، واستخفافٌ بالآياتِ والأحاديثِ والكتبِ الدينيةِ، لا يجوزُ السكوتُ على هذه الحالةِ المزريّةِ.

ومما ينبغي التنبيهُ عليه هو عدمُ وضعِ الآياتِ والأحاديثِ في الجرائدِ، بل يُشار إلى محلّاتها وأرقامِها؛ لأن الجرائدَ صارت قسماً كبيراً من قمامةِ المحلّاتِ، وفيها صورٌ ذواتِ الأرواحِ، وهذه حالةٌ مخيفةٌ إن دامت، مع

ما انتشر من المنكرات والمعاصي التي ملأت البر والبحر، يُخشى أن تُحيط بهم عقوبتها.

نسأل الله أن يُنجينا من عقوبتها، وأن يوقظ ولاتنا ويُنبههم لإزالتها، وتطهير الأرض منها، إنه القادر على ذلك، ولا أرى مخلصاً للإنسان الذي قد ابتلي بشراء الجريدة حمالة الكذب، قتالة الوقت، إلا أنه يُحرقها من حين يخلص من قراءتها؛ ليسلم من باقي شرورها وأوزارها.

وسوف يُناقش عنها يوم القيامة، عن الوقت الذي ضيعه فيها، والمال الذي أنفقه فيها، وما حصل بسببه على الآيات والأحاديث التي فيها من الاستهانة والامتهان، وإخراج الملائكة عن المحل التي وضعها فيه، إذا كان فيها صور ذوات الأرواح، حيث إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة.



قال بعضهم شعراً:

أَلَا أَرَعَوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ
مُضَيِّعًا فِيهَا عُمْرًا مَا لَهُ عِوَضٌ
أَيْحِسِبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرَّمُهُ
أَمْ يَحْسِبُ الْعُمَرَ مَا وَلَّتْ أَوَائِلُهُ
فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُغْتَنِمًا
وَاحْرِضْ وَبَادِرْ إِذَا مَا أَمَكَنْتَ فَرَضٌ
مِنْ نَفْعِ ذِي فَاقِهِ أَوْ غَوْتِ ذِي لَهْفِ
فَالْعُمُرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتُ مُغْتَنِمٌ
فَاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إِلَى قَدَمِ
يَرَى السَّعَادَةَ فِي كَسْبِ الْحُطَامِ وَلَوْ
فَالرَّأْيُ مَا قَلْتُهُ فاعْمَلْ بِهِ عَجَلًا
فَغَفَلَةُ الْمَرءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ

عِنْدَ الْمَذَابِيعِ وَالتَّلْفَازِ وَالطَّرَبِ
إِذَا تَصَرَّمٌ وَقَتٌ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ
هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحَقْبِ
يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمْرِ بِالذَّهَبِ
مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ
فِي كَسْبِ مَا تُحْمَدُنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغَبِ
أَوْ فَعَلَ بِرٌّ وَإِصْلَاحِ لِذِي شَغَبِ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فَاجْهَدْ بِهِ تُصَبِ
مُخَادِعِ مُدَّعٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
حَوَاهُ مَعَ نَصَبِ مَنْ سُوءٍ مُكْتَسَبِ
وَلَا تُصِخْ نَحْوَ قَدَمِ غَيْرِ ذِي حَدَبِ
عَنْ وَاضِحِ بَيِّنٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

٨ - ما ورد في تعاهد القرآن الكريم، والترهيب من نسيانه، والإعراض عنه: **وَيُسْنِ خْتَمُهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ**، لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «واقراً في كلِّ سبعِ ليالٍ، ولا تزد على ذلك» متفق عليه.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمهما الله - : كان أبي يختم القرآن في النهارِ في كلِّ أسبوعٍ، يقرأ كلَّ يومٍ سُبْعاً لا يكاد يتركه، نظراً لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «واقراً في كلِّ سبعٍ». وإن قرأ في ثلاثٍ فحسنٌ، لما ورد عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قلت يا رسول الله: إن لي قوة، قال: «اقراً في كلِّ ثلاثٍ» رواه أبو داود. ولا بأس فيما دونها أحياناً، وفي الأوقات الفاضلة كرمضان، خصوصاً الليالي التي تُطلب فيها ليلة القدر.

وينبغي لقارئ القرآن أن يتعهدَه بالحفظِ والمداومةِ على تلاوته، وليحذر كلَّ الحذر من هجرانه وترك التعهد له، فيتعرض بذلك لنسيانه وترك العمل به، الذي هو من أعظم الذنوبِ.

قال ابن القيم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: هجر القرآن أنواع:

للهم أحدهما: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

للهم والثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

للهم والثالث: هجر تحكيمة والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تُحصّل العلم.

للهم والرابع: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به.

للهم والخامس: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم منه.

وكلُّ هذا داخلٌ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] (١).

وروى الإمام أحمد من حديث سمرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً مستقيماً على قفاه، ورجلاً قائماً بيده فهز أو صخرة فيشدخ بها رأسه فيتدهده، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه فقيل له: رجلٌ أتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة (٢).

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه مرفوعاً: «يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً، فيؤتى بالرجل قد حمّله فخالف أمره، فيتمثل خصماً له، فيقول: يا رب، حمّلتني إياي فشرُّ حاملٍ، تعدّني حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يُقال: فسأنك به، فيأخذ بيده، فما يُرسله حتى يُكبّه على منخره في النار» (٣) ... الحديث.

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه، إلا لقي الله يوم القيامة أجدم» (٤) رواه أبو داود.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تعاهدوا هذا القرآن، - فوالذي نفس محمد بيده - لهو أشدُّ تفلتاً من الإبل في عُقلها» (٥) رواه البخاري ومسلم.

(١) الفوائد (ص ٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠١٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٠٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٧٤).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما مثلُ صاحبِ القرآنِ كمثلِ الإبلِ المُعقَلَةِ؛ إن عاهدَ عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» ^(١) متفق عليه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۗ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ۗ﴾ ^(١٢٣) ^(١٢٤) قال كذلك أنتكء آيتنا فنسينها وكذلك اليوم نُنسى ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٦] ^(٢) . اهـ.

وروى أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عرضت علي أجور أمتي، حتى القذاة يُخرِجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي، فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها الرجل ثم نسيها» ^(٣).

ويا للأسف، استبدلوا الخبيث بالطيب، أكبوا على الجرائد والمجلات والكتب الخليعات بدل تلاوة كتاب الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون فتنة»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٤٣) والمصنف (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٨١)، (٢٩٩٥٥)، والطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١)، والحاكم في المستدرک (٣٤٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٦١)، والترمذي في سننه (٢٩١٦).

المتين، وهو الذِّكْرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، وهو الذي لا تزيغُ به الأهواءُ، ولا تلتبسُ به الألسُنُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماءُ، مَنْ قال به صدقَ، ومن عمِلَ به أُجِرَ، ومن حَكَمَ به عدَلٌ، ومن دَعَى إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيمٍ^(١).

إذا فهمت ذلك، فاعلم أن القرآنَ قد بيَّن فيه كلَّ ما يحتاجُ إليه العبادُ من أصولِ الدينِ وفروعه وأحكامِ الدارينِ، حتى أن الله تعالى يُثني الأمورَ الكبارَ التي يحتاج القلبُ لمروِّها عليه كلَّ وقتٍ، وإعادتها في كلِّ ساعةٍ بألفاظٍ مختلفةٍ وأدلةٍ متنوعةٍ لتستقرَّ في القلوبِ.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، ففيه بيانُ الحلالِ والحرامِ والثوابِ والعقابِ، وهدى من الضلالةِ، رحمةٌ لمن صدق به وعمل فيه، وحكمةٌ في الدقيق والجليل، والويلُ لمن رجع إلى القوانينِ وتركَه، فكلُّ حكمٍ سوى حكمِ الله فهو باطلٌ مردودٌ، وكلُّ حاكمٍ بغيرِ حكمِهِ وحكمِ رسوله فهو طاغوتٌ كافرٌ بالله، وما أكثرَ - في هذا الزمنِ - المُحكِّمينَ للقوانينِ الوضعيةِ والأنظمةِ الحاليةِ!

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا عامٌّ شاملٌ، فما من قضيةٍ إلا والله فيها حكمٌ، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٠٦).

دِينَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴿ [المائدة:٣]، فهذه الآيةُ الجليلةُ القدرِ عظمةُ الموقعِ، كبيرةُ الفائدةِ، حسنةُ المغزى، اختارها الربُّ ﷻ ليختَمَ بها كتابه الكريمَ، ووحيه المُعجزَ، وأحكامَ شريعتهِ السمحةَ، ودينه الحنيفَ.

ومن مزايا هذه الآيةِ الكريمةِ التي انفردت بها عما بقي من السورِ والآياتِ، أن الله أكملَ بها الدينَ بمعرفةِ الأحكامِ الشرعيةِ، من الفرائضِ والسننِ والحدودِ والأحكامِ والحلالِ والحرامِ، ولم ينزلْ بعدها حلالٌ ولا حرامٌ ولا شيءٌ من الفرائضِ، وأتمَّ بها النعمةَ على عباده المؤمنين، بهدائيتهم لأحكامِهِ، وتوفيقهم لمعرفة أمرِهِ ونهيه وحلاله وحرامه، وإنجازِهِ - سبحانه - ما وعدهم به في قوله: ﴿وَلَا تَمَنَّيْكُمْ عَلَيَّ﴾ [البقرة:١٥٠].

فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكةَ آمنين، وحجُّوا مطمئنين لم يُخالطهم أحدٌ من المشركين، وأنه سبحانه اختارَ لهذه الأمةِ دينَ الإسلامِ وملةَ إبراهيمَ ﷺ عن الأديانِ كلِّها؛ بيانًا لشرفِ هذا الدينِ، واعتناءً بأمةِ محمدٍ ﷺ، وحسبنا من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وهذا ما دعا كعب الأخبار - وذلك قبل أن يُسلمَ، وكان معه نفرٌ من اليهود - أن يقول لخليفة المسلمين عمر بن الخطابِ ﷺ: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشرَ اليهودِ نزلتْ لاتَّخذناها عيدًا، وأقمنا لها مُحْتفلاً في كلِّ عامٍ، نُجددُ ذكراها، ونتدارس فضائلها الكثيرةَ وذكرياتها العطرةَ.

فابتدر عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه قائلاً: أي آية هي؟ قال كعبٌ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فيجيبه أمير المؤمنين بكل تودةٍ وسكينةٍ قائلاً: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائمٌ بعرفة يومَ جمعةٍ، وفي روايةٍ إسحاق بن قبيصة: نزلت يومَ جمعةٍ يومَ عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ^(١). اهـ.

ومن الأدلة على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة عند التحاكم ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال: ﴿فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩]،

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ نَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

[النساء: ٦٥]. الآية.

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا دُونَهُ أَوْلِيَاءَ﴾

[الأعراف: ٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «تركتم على البيضاء ليها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا

هالكٌ»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: «لم يكن نبيٌ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلَّ

أمته على خيرٍ ما يعلمه لهم، وينذرهم شرًّا ما يعلمه لهم»^(٣). وقال أبو ذر رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠٦)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

لقد تَرَكْنَا رسولَ الله ﷺ وما طائرٌ في السماء يُقَلِّبُ جناحَيْه، إلا وقد أوجَدْنَا فيه علماً^(١).

ولا شكَّ أنَّ مَنْ أعرَضَ عن كتابِ الله وسنةِ رسوله، واعتاضَ عنهما بالقوانينِ الوضعيةِ أنه كافرٌ كُفِّرَ ناقِلٌ عن الملةِ الإسلامية، وكذا مَنْ استهزأ بالقرآن، أو طلب تناقضه، أو دعوى أنه مختلفٌ أو مخلتقٌ، أو أثبت شيئاً نفاه القرآن أو نفا ما أثبتته القرآن فقد كفر، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِيَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وقال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. ولا خلافَ بين المسلمين في أن مَنْ جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافرٌ، وقال عليٌّ رضي الله عنه: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ»^(٢).

وكذا من زعم أنه يسعه الخروجُ عن شريعةِ محمدٍ ﷺ، كما وسع الخضرَ الخروجُ عن شريعةِ موسى. أو زعمَ أن هدي غيرِ محمدٍ أفضلُ من هديه ﷺ أو أحسنُ. أو زعم أنه لا يسعُ الناسُ في مثل هذه العصورِ إلا الخروجُ عن الشريعةِ، وأنها كانت كافيةً في الزمانِ الأولِ فقط، وأما في هذه الأزمنةِ، فالشريعةُ لا تُسائرُ الزمنَ، ولا بد من تنظيمِ قوانينَ بما يُناسبُ الزمنَ، فلا شك أن هذا الاعتقاد إذا صدر من إنسانٍ فإنه قد استهان بكتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ وتنقَّصهما، ولا شك في كفره وخروجه من الدين الإسلاميِّ بالكليةِ.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٣٦١، ٢١٤٣٩)، والبخاري في مسنده (٣٤١ / ٩) (٣٨٩٧).

(٢) عزاه ابن قدامة في البرهان في بيان القرآن (ص ١٣٦) ولمعة الاعتقاد (ص ٢١) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه،

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٩٤٦) وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وكذلك مَنْ زعم أنه مُحتاجٌ للشريعةِ في علمِ الظاهرِ دونِ الباطنِ، أو في علمِ الباطنِ فقط أو في علمِ الشريعةِ دونِ علمِ الحقيقةِ، أو أن هذه الشرائعَ غيرُ منسوخةٍ بدينِ محمدٍ ﷺ، أو استهان بدينِ الإسلامِ، أو تنقَّصه أو هزَّله، أو بشيءٍ من شرائعِهِ، أو بمن جاء به، وكذلك أَلحق بعضُ العلماءِ الاستهانةَ بِحَمَلَتِهِ لِأجلِ حملِهِ، فهذه الأمورُ كُلُّها كفرٌ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيَاللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا فَدْكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿التوبة: ٦٥-٦٦﴾.

اللهم قوِّي إيماننا بك، ونور قلوبنا بنور الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهتدين، اللهم يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبَّتْ قلوبنا على دينك، وألهمنا ذِكْرَكَ وشكْرَكَ، وأمَّنَّا مِنْ سَطوتِكَ ومكْرِكَ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

وقال في "تحذير أهل الإيمان عن الحكمِ بغير ما أنزلَ الرحمنُ" بعد سياقه لقولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ [النساء: ٦٠] الآية: ثم لو لم يكن في القرآنِ المجيدِ في الزجرِ عن اتِّباعِ القوانينِ البشريةِ غيرُ هذه الآيةِ الكريمةِ لكفتِ العاقلُ اللبيبُ، الذي أوتيَ رشدَه وأهمَه صلاحُ قلبه عن تطلُّبِ غيرها، فكيف والقرآنُ كلُّه يدعو إلى تحكيمِ ما أنزلَ اللهُ، وعدمِ تحكيمِ ما عداه، إما تصریحًا وإما تلويحًا، وله جاهدٌ من جاهدٍ، ويُجاهدُ مَنْ يُجاهدُ مِنْ عبادِ اللهِ المتقين، مِنْ لدنِ بعثِ سيدنا محمدٍ صلى اللهُ عليه وآله وسلم إلى يومِ تقومُ الساعةُ. وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفةٌ مِنْ أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا خلافٌ مَنْ خالفهم، حتى يأتي أمرُ اللهِ»، وأنه ﷺ قال: «لا تجتمعُ أمتي على ضلالةٍ»، فعلمنا بذلك أن من الممتنع بالسمعِ أن يتمالأ العالمُ كلُّهم شرقًا وغربًا مِنْ سيدنا محمدٍ ﷺ على اتِّباعِ القوانينِ البشريةِ وعدمِ المبالاةِ بالحكمِ الشرعيِّ، بل لا بدَّ أن يكونَ فيهم ولو واحدٌ يُنكرُ على هؤلاءِ الكلِّ، إما بلسانه إن أمكنه ذلك ولم يفتكوا به، وإما بقلبه، وظنَّ الفتكَ به كما قد كان أيامَ الاستبدادِ.

والغرضُ بيانُ أنَّ طائفةً على الحقِّ لا تزالُ تقاتلُ وتجاهدُ على تحكيمِ ما أنزلَ اللهُ باللسانِ والبيانِ والبدنِ والسنانِ والمالِ، وكلُّ ممكنٍ لنوعِ الإنسانِ، وأن به يتمُّ نظامُ العدلِ والملكِ والدينِ والدنيا، وبه يستقيمُ أمرُ المعاشِ والمعادِ، وتكملُ لهم الراحةُ والأمنُ والحريةُ التامةُ والسياسةُ العامةُ لجميعِ المللِ والرعايا المختلفةِ الأصنافِ والألسنةِ والأمزجةِ.

ومن شك في هذا فليُنظَرِ الفرقَ بين حالِ الإسلامِ في هذه القرونِ المتأخرة التي عطّلت فيها حدودُ الشريعةِ وأحكامُها، وحاله في القرونِ المتقدمة التي ما كانت على شيءٍ أحفظَ منها على أحكامِ الشريعةِ وأرعى لها، يجدُ الفرقَ كما بين الثرى والثريّاء، وكما بين السماء والأرض، وكما قال الشاعر:

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

ألا ترى أن الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحوا ما فتحوا من أقاليم البلدان، ونشروا الإسلامَ والإيمانَ والقرآنَ في مدةٍ نحو مائة سنةٍ مع قلةٍ عددِ المسلمين وعددهم وضيق ذات يدهم، ونحن مع كثرة عددنا ووفرة عددنا وهائل ثروتنا وطائل قوتنا لا نزدادُ إلا ضعفاً وتقهقراً إلى الوراثة وذُلًّا وحقارةً في عيون الأعداء، وذلك لأنَّ من لا ينصرُ دينَ الله لا ينصره الله، قال الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فرتب نصرهم على نصره بإقامة طاعته وطاعة رسوله ^(١).

وقال شيخ الإسلام رحمته الله على قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]: فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم، فقد أقسم سبحانه بنفسه أنه لا يؤمن. وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، لكن عصي وأتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة...، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر، وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية...، فالأمور المشتركة بين الأمة لا يُحكم فيها إلا بالكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم

(١) تحذير أهل الإيمان (ص ٢٥، ٢٦).

ولا أمير ولا شيخ ولا ملك... وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة، لا يحكمون في الأمور الكلية، وإذا حكموا في المعينات فعليهم أن يحكموا بما في كتاب الله، فإن لم يكن فيما في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا اجتهد الحاكمُ برأيه^(١). انتهى.

لأنه ﷺ لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: بِمِ تَحْكُمُ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وفي كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عروة: كتبت إليّ تسألني عن القضاء بين الناس، وإن رأس القضاء أتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله ﷺ، ثم بحكم أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي العلم والرأي^(٣). وذكر عن سفيان بن عيينة قال: كان ابن شبرمة يقول:

مَا فِي الْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ عِنْدَ اللَّيِّبِ وَلَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ
هَوْنٌ عَلَيْكَ إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّةٍ أَوْ بِالْكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ الرَّاعِمِ
وَقَضَيْتُ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَنْرَابَهُ بِنَظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ^(٤)
وعن ابن وهب قال: قال مالك: الحكمُ حُكْمَانِ، حُكْمٌ جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَحُكْمٌ أَحْكَمْتَهُ السُّنَّةُ، قَالَ: وَمَجْتَهِدُ رَأْيَهُ فَلَعَلَّهُ يَوْفَقُ^(٥).

(١) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٣٢) بتصرف.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥٩٢)، والترمذي في سننه (١٣٢٧).

(٣) أخرجه وكيع الضبي في أخبار القضاة (١ / ٧٧)، والخطيب البغدادي في جامع بيان العلم وفضله (١٣٩١).

(٤) أخرجه وكيع الضبي في أخبار القضاة (٣ / ٩٦)، والخطيب البغدادي في جامع بيان العلم وفضله (١٣٩٢).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في جامع بيان العلم وفضله (١٣٩٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] ... الآية: فأقسم سبحانه بأجل مُقَسَّمٍ به - وهو نفسه ﷺ -، على أنه لا يثبت لهم إيمانٌ، ولا يكونون من أهله حتى يُحَكِّمُوا الرَّسُولَ ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين؛ فإن لفظة (ما) من صيغ العموم، تقتضي نفى الإيمان أو يوجد تحكيمة في جميع ما شَجَرَ بينهم.

ولم يقتصر على هذا حتى ضمَّ إليه انشراح صدورهم بحكمه، حيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا - وهو الضيق والحصر - من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح، ويقابلوه بالتسليم، لا أنهم يأخذونه على إغماض، ويشربون على قذئ، فإن هذا مُنافٍ للإيمان، بل لا بدَّ أن يكون أخذه بقبولٍ ورضا وانشراح صدرٍ.

ومتى أراد العبد أن يعلم هذا فلينظر في حاله ويُطالعُه في قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ...، فسبحان الله! كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص، وبودهم أن لو لم تَرِدْ! وكم من حرارة في أكبادهم منها! وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها! ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء، ويخزى يوم تبلى السرائر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضمَّ إليه قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فذكر الفعل مؤكِّدًا بمصدره القائم مقام ذكره مرتين، وهو الخضوع له والانقياد لما حكم به طوعًا ورضا وتسليمًا لا قهراً ومُصَابرةً، كما يُسَلِّمُ المَقهورُ لمن قهره كُرْهًا، بل تسليمٌ عبدٌ مُطِيعٌ لمولاه وسيِّده الذي هو أحبُّ شيءٍ إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه، ويعلم بأنه أولى به من نفسه وأبرُّ به منها، وأرحمُ به منها، وأنصحُ له منها، وأعلمُ بمصالحه منها، وأقدرُ على تخليصها.

وتأمل لهذا المعنى المذكور في الآية بوجوهٍ عديدةٍ من التأكيد، أولها: تصديرها بالقسم يتضمّن المُقسَمَ عليه، وهو قوله: لا يؤمنون، وثانيها: تأكيده بنفس القسم، وثالثها: تأكيده بالمقسَمِ به، وهو إقسامه بنفسه لا بشيءٍ من مخلوقاته، ورابعها: تأكيده بانتفاء الحرج، وهو وجود التسليم، وخامسها: تأكيد الفعل بالمصدر، وما هذا إلا لشدة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم، وأنه ممّا يُعتنى به، ويُقرّر في نفوس العباد^(١).



(١) الرسالة التبوكية (ص ٢٥: ٢٩) بتصرف.

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

لما أعرض الناس عن تحكيم الكتابِ والسُّنةِ والمحاكمةِ إليهما، واعتقدوا عدمَ الاكتفاءِ بهما، وعدلوا إلى الآراءِ والقياسِ والاستحسانِ وأقوالِ أهلِ الآراءِ عَرَضَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فسادٌ فِي فِطْرِهِمْ، وظلمةٌ فِي قُلُوبِهِمْ، وكَدْرٌ فِي أَفْهَامِهِمْ، وَمَحَقٌّ فِي عَقُولِهِمْ، فعمَّتْهم هذه الأمورُ وغلبت عليهم، حتَّى رُبِّيَ فِيهَا الصَّغِيرُ وَهَرِمَ عَلَيْهَا الكَبِيرُ فلم يَرَوْهَا منكراً.

فجاءتْهم دولةٌ أُخرى أقامت فيها البدعَ مقامَ السننِ، والهوى مقامَ الرشدِ، والضلالَ مقامَ الهدايةِ، والمنكرَ مقامَ المعروفِ، والجهلَ مقامَ العلمِ، والرياءَ مقامَ النصيحةِ، والظلمَ مقامَ العدلِ، فصارت الدولةُ والغلبةُ لهذه الأمورِ، وأهلُها هم المشارُّ إليهم.

فإذا رأيت هذه الأمورَ قد أقبلت، وراياتها قد نُصبت، وجيوشها قد رَكِبَتْ، فبطنُ الأرضِ والله خيرٌ مِنْ ظهْرِهَا، وَقُلُّ الجبالِ خيرٌ مِنْ السهولِ، ومخالطةُ الوحشِ أسلمٌ مِنْ مخالطةِ الناسِ.

اقشعرتِ الأرضُ وأظلمتِ السماءُ وظهر الفسادُ فِي البرِّ والبحرِ مِنْ ظلمِ الفجرةِ، وذهبتِ البركاتُ وقلَّتِ الخيراتُ وهزلتِ الوحوشُ وتكدرتِ الحياةُ مِنْ فسقِ الظلمةِ، وبكى ضوءُ النهارِ وظلمةُ الليلِ مِنَ الأعمالِ الخبيثةِ والأفعالِ الفظيعةِ، وشكا الكرامُ الكاتبونَ والمُعقِّباتُ إلى ربهم مِنْ كثرةِ الفواحشِ وغلبةِ المنكراتِ والقبائحِ.

وهذا والله منذرٌ بسبيلِ عذابٍ قد انعقد غمامُه، ومؤذنٌ بلبيلٍ قد اذلَّهُمْ ظلامُه، فاعزلوا عن طريقِ هذا السبيلِ بتوبةٍ نصوحٍ ما دامتِ التوبةُ ممكنةً وبأبها

مفتوحًا، وكأنكم بالبابِ وقد أُغْلِقَ، وبالرهنِ وقد غَلِقَ، وبالجنّاحِ وقد عَلِقَ،
وسيعلمُ الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون^(١).

وقال:

والله ما خوفي الذُّنُوبَ فإنَّها	لعلّي سبيلِ العفوِ والغُفْرانِ
لكنّما أخشى انسلاخَ القلبِ مِنْ	تَحْكِيمِ هَذَا الوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرِضًا بِأَرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرِصَهَا	لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ
فَبأَيِّ وَجْهِ التَّقْيِ رَبِّي إِذَا	أَعْرَضْتُ عَن ذَا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أريدُ لِأَجْلِهِ	عَزَلًا حَقِيقِيًّا بَلَا كِتْمَانِ



(١) الفوائد (ص ٤٨، ٤٩) بتصرف.

(فصل)

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ فِي رده على مُحكَمِي القوانين: إِنَّ مِنْ الكفرِ الأكبرِ المُستبينِ تنزيلَ القانونِ اللعينِ منزلةً ما نَزَلَ به الروحُ الأمينُ، على قلبِ محمدٍ ﷺ ليكونَ مِنَ المنذرينِ، بلسانِ عربيٍّ مبينٍ، في الحكمِ به بين العالمينِ، والردُّ إليه عند تنازعِ المتنازعينِ، مناقضةً ومعاندةً لقولِ الله ﷻ: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقد نفى اللهُ ﷻ الإيمانَ عن من لم يُحكِّمِ النبيَّ ﷺ فيما شجر بينهم نفيًا مؤكِّدًا بتكرُّرِ أداةِ النفيِ وبالقسمِ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قال: وتأمل ما في الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ... الآية، كيف ذكر النكرة وهي قوله ﴿شَيْءٍ﴾، في سياق الشرط وهو قوله جل شأنه: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ﴾ المفيدُ العمومِ فيما يُتصوَّرُ التنازعُ فيه جنسًا وقدرًا.

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطًا في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، ثم قال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ فشيءٌ يُطلق اللهُ عليه أنه خيرٌ لا يتطرق إليه شرٌّ أبدًا، بل هو خيرٌ محضٌ عاجلاً وآجلاً.

ثم قال: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أي: عاقبةً في الدنيا والآخرة، فيفيد أن الردَّ إلى غير الرسول ﷺ عند التنازعِ شرٌّ محضٌ، وأسوأُ عاقبةً في الدنيا والآخرة، عكس ما يقوله المنافقون: ﴿إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]، وقولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، ولهذا ردَّ الله عليهم قائلًا: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، وعكس ما يقوله القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم، بل ضرورتهم إلى التحاكم إليه، وهذا سوء ظنٌّ صرفٍ بما جاء به الرسول ﷺ، ومحضٌ استنقاصٍ لبيان الله ورسوله، والحكمُ عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوءُ العاقبة في الدنيا والآخرة؛ إن هذا لازمٌ لهم.

قال: وقد نفى الله الإيمان عن من أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِء وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَكًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فإن قوله ﴿يَزْعُمُونَ﴾: تكذيبٌ لهم فيما ادَّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلبٍ عبدٍ أصلاً، بل أحدهما يُنافي الآخر، والطاغوتُ مُشتقٌّ من الطغيان، وهو مُجاوزةُ الحدِّ، فكلُّ من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكمٍ إلى غير ما جاء به النبي ﷺ، فقد حكم بالطاغوتِ وحاكمٍ إليه، وذلك أنه من حقِّ كلِّ أحدٍ أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي ﷺ، فمن حكم بخلافه أو حاكمٍ إلى خلافه فقد طغى وجاوز حدَّه حكمًا أو تحكيماً، فصار بذلك طاغوتًا لتجاوزته حدَّه.

قال: "وتأمل قوله ﷺ: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] تعرف منه معاندة القانونيين وإراداتهم خلاف مُراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعاً والذي تعبدوا به، هو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]."

ثم تأمل قوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] كيف دلّ على أن ذلك ضلالٌ، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، كما دلّت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون، فتكون على زعمهم مُرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن وما بُعث به سيدٌ ولد عدنانٍ معزولاً من هذا الوصف، ومنحى عن هذا الشأن.

وقد قال تعالى منكرًا على هذا الضرب من الناس، ومقرّرًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحًا أنه لا حكم أحسن من حكمه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فتأمل هذه الآية الكريمة، وكيف دلّت أن قسمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية شاوروا أم أبوا، بل هم أسوأ حالًا منهم وأكذبُ منهم مقالًا؛ ذلك أن أهل الجاهلية لا تنافس لديهم حول هذا الصدد.

وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ ويناقضون، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا، وقد قال الله في أمثال هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥١].

ثم انظر كيف رَدَّتِ هذه الآيةُ الكريمةُ على القانونيين ما زعموه من حُسنِ زُبالةِ أذهانهم ونُحاةِ أفكارهم بقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

قال الحافظ ابنُ كثير في تفسير هذه الآية: يُنكر تعالى على مَنْ خرج من حكمِ الله المحكمِ المشتملِ على كلِّ خيرٍ، الناهي عن كلِّ شرٍّ وعدلٍ إلى ما سواه في الآراءِ والأهواءِ والأصطلاحاتِ، التي وضعها الرجالُ بلا مستندٍ من شريعةِ الله كما كان أهلُ الجاهليةِ يحكمون به من الضلالاتِ والجهالاتِ، مما يضعونه بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتارُ من السياساتِ الملكيةِ التي يقدّمونها على الحكمِ بكتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ.

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجَعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] وعن حكمِ الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، أي وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللَّهِ شَرْعَهُ، وَأَمَّنْ بِهِ وَأَيَقِنُ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى الْعَالَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

فانظر كيف سجَّلَ تعالى على الحاكمين بغيرِ ما أنزل اللهُ بالكفرِ والظلمِ والفسقِ، ومن الممتنع أن يُسمَّى اللهُ سبحانه الحاكمَ بغيرِ ما أنزل اللهُ كافرًا، ولا يكون كافرًا، بل هو كافرٌ مُطلقًا، إما كفرٌ عملٍ وإما كفرٌ اعتقادٍ.

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية يدلُّ على أن الحاكمَ بغير ما أنزل الله كافرٌ، إما كفرٌ اعتقادٍ ناقلاً عن الملة، وإما كفرٌ عملٍ لا ينقل عن الملة.

قال: وهذه المحاكمُ الآن في كثيرٍ من أمصارِ الإسلامِ مُهيأةٌ مفتوحةٌ الأبوابِ، والناسُ إليها أسرابٌ إثرَ أسرابٍ، يحكم حكامها بينهم فيما يخالفُ حكمَ الكتابِ والسنةِ من أحكام ذلك القانونِ، وتلزمهم به، وتحتّمه عليهم، فأبى كفرٌ فوقَ هذا الكفرِ، وأبى مُناقضةٌ للشهادةِ بأن محمداً رسولُ الله بعد هذه المناقضة^(١).

نسأل الله العصمةَ عن جميع المعاصي، وأن يُثبتنا على قوله الثابتِ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.



(١) رسالة تحكيم القوانين ضمن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٨٤: ٢٩١) بتصرف.

ومما قيل في الحث على التمسك بالقرآن الكريم، ما قاله الصنعاني:

وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى
وَلَمْ يَنْقُ لِلرَّاجِي سَلَامَةٌ دِينِهِ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ الْعُلُومِ وَكُلَّمَا
فَإِنْ رُمْتَ تَارِيحًا رَأَيْتَ عَجَائِبًا
وَلَأَقِيْتَ هَابِيلاً قَتِيلاً شَقِيقَهُ
وَتَنْظُرُ نَوْحًا وَهُوَ فِي الْفُلِكِ قَدْ طَغَى
وَإِنْ شِئْتَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ
وَجَنَّاتِ عَدْنٍ حُورَهَا وَنَعِيمَهَا
فَتِلْكَ لِأَرْبَابِ التَّقَاءِ وَهَذِهِ
وَإِنْ تُرِدِ الْوَعْظَ الَّذِي إِنْ عَقَلْتَهُ
تَجِدُهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
وَإِنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الْأَدِلَّةِ فِي الَّذِي
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ
وَفِيهِ الدَّوَامُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَثِقْ بِهِ
يُرِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَغَيْرُهُ
يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِينَ جَدَّةً

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الاغْتِرَابِ إِيَابُ
سِوَى عُزْلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ
حَوَاهُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ
تَرَى آدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تُرَابُ
يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابُ
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ عُبابُ
وَمَا قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا
وَنَارًا بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابُ
لِكُلِّ شَقِيٍّ قَدْ حَوَاهُ عِقَابُ
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ عَنْهُ جَوَابُ
وَلِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابُ
تُرِيدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ تُجَابُ
بِهَا قُطِّعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلذَّكِيِّ حِجَابُ
فَوَاللَّهِ مَا عَنْهُ يُنُوبُ كِتَابُ
مَفَاوِزُ جَهْلِ كُلِّهَا وَشِعَابُ
فَالْفَاظُ مَهْمَا تَلَوْتَ عَذَابُ

وَأَيَّاتُهُ فِي كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةٌ وَتُبْلَغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كِعَابُ

وَفِيهِ هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَتَوَابٌ

اللهم اجعلنا لكتابك من التالين، ولك به من العاملين، وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين، وإلى لذيذ خطابه مستمعين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، وبالأعمال مخلصين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

في فضائل ذكر الله

يُستحبُّ الإكثارُ من ذكرِ الله تعالى في كلِّ وقتٍ، ولا سيما في رمضان، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، الآية، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١) متفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»^(٢) رواه مسلم.

وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في كلِّ يومٍ وليلةٍ مائةً مرةً كانت له عدلٌ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَ له مائةٌ حسنةٍ، ومُحِيت عنه مائةٌ سيئةٍ، وكانت

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمِلَ أكثرَ منه»، وقال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة حُطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»^(١) متفق عليه.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفسٍ من ولدِ إسماعيل»^(٢) متفق عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بأحبِّ الكلامِ إلى الله؟» قلت: بلى يا رسول الله، أخبرني بأحبِّ الكلامِ إلى الله، فقال: «إن أحب الكلامِ إلى الله سبحان الله وبحمده»^(٣) رواه مسلم.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سبح الله مائةً بالغداة ومائةً بالعشي، كان كمن حجَّ مائةً حجة، ومن حمد الله مائةً بالغداة ومائةً بالعشي، كان كمن حملَ على مائةٍ فرسٍ في سبيلِ الله - أو قال: غزاً مائةً غزوة -، ومن هَلَّلَ الله مائةً بالغداة ومائةً بالعشي، كان كمن أعتق مائةً رقيةً من ولدِ إسماعيل، ومن كبر الله مائةً بالغداة ومائةً بالعشي، لم يأت في ذلك اليوم أحدٌ بأكثر مما أتى به، إلا من قال مثل ما قال، أو زاد على ما قال»^(٤) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه، أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرِّحى، وبلَّغها أنه جاء رقيقٌ فلم تُصادفه، فذكرت ذلك

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨٥/٢٧٣١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٧١).

لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء أخبرته عائشة، فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: على مكانكما، فجاء وقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدمه على بطني، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما، إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبّراً أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم^(١).

وجاء عن معقل بن يسار رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يُصبح ثلاث مراتٍ: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سورة الحشر، وكَلَّ اللهُ به سبعين ألفَ مَلَكٍ يُصلُّونَ عليه حتَّى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم ماتَ شهيداً، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة»^(٢) أخرجه الترمذي واستغربه.

اللهم اكتب في قلوبنا الإيمان، وأيدنا بنور منك، يا نور السموات والأرض، اللهم وافتح لدُعائنا بابَ القبولِ والإجابة، واغفر لنا وارحمنا برحمتك الواسعة، إنك أنت الغفور الرحيم، و صلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٥٣٦١)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٢٢).

(فصل)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له: (جُمْدَانُ)، فقال: «سيروا؛ هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المفْرَدُونَ» قالوا: وما المفْرَدُونَ يا رسول الله؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتُ»^(١) رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يذكُر ربَّه والذي لا يذكُرُه، مَثَلُ الحيِّ والميتِ»^(٢) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منه»^(٣) متفق عليه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الله بنِ قيسٍ، ألا أدلُّك على كنزٍ من كنوزِ الجنة: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله»^(٤) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي شفّته»^(٥) رواه البخاري.

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبّثُ به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٥) أخرجه البخاري تعليقا قبل حديث (٧٥٢٤).

ذكر الله»^(١) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

وفي رواية قال: جاء أعرابيُّ إلى النبي ﷺ فقال: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: «طوبى لمن طال عمرُه وحسنَ عملُه» قال: يا رسول الله، أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «أن تفارقَ الدنيا، ولسانك رطبٌ من ذكرِ الله»^(٢).

وروى عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكرُ الله في رمضانَ مغفورٌ له، وسائلُ الله فيه لا يخيَّبُ»^(٣) رواه الطبراني في (الأوسط) والبيهقي، والأصبهاني.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الباقياتُ الصالحاتُ: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤) أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرُكم بخيرِ أعمالِكُمْ وأزكاها عند مليكِكُمْ وأرفعِها في درجاتِكُمْ، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذهبِ والورقِ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٧٥)، وابن ماجه في سننه (٣٧٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٨١٤)، والحاكم في المستدرک (١٨٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٩) ببعضه، وابن الجعد كما في مسنده (٣٤٣١) بتمامه.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦١٧٠)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٦٨) وشعب الإيمان (٣٣٥٥)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٧٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٧٥)، وابن حبان في صحيحه (٨٤٠)، والحاكم في المستدرک (١٨٨٩) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧) بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٧٧)، وابن ماجه في سننه (٣٧٩٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قراءةُ القرآنِ أفضلُ من الذِّكْرِ، والذِّكْرُ أفضلُ من الدعاءِ، هذا مِنْ حيثِ النظرِ لكلِّ منهما مُجَرِّدًا، وقد يَعْرِضُ للمفضولِ ما يجعلُهُ أولى، بل يُعِينُهُ فلا يَجُوزُ أنْ يَعدَلَ عنه إلىِ الفاضلِ، وهذا كالتسبيحِ في الركوعِ والسجودِ، فإنه أفضلُ مِنْ قراءةِ القرآنِ، بل القراءةُ فِيهِمَا منهيٌّ عنها نهيٌّ تحريمٌ أو كراهةٌ^(١).

لما ورد عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كشف رسولُ الله ﷺ الستارةَ والناسُ صفوفٌ خلفَ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال ﷺ: «يا أيها الناس، إنه لم يبقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النبوةِ إلا الرؤيا الصالحةُ، يراها المسلمُ أو تُرى له، ألا وإني نُهيْتُ أنْ أقرأ القرآنَ راکعًا أو ساجدًا، أما الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ، وأما السجودُ فاجتهدوا في الدعاءِ فقَمِنُ أنْ يُستجابَ لكم»^(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي.

وقال: وكذا التسبيح والتحميد في محلِّهما أفضلُ مِنَ القراءةِ، وكذا التشهُدُ، وكذلك "رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني" بين السجدين أفضلُ مِنَ القراءةِ، وكذلك الذِّكْرُ عقبَ السلامِ مِنَ الصلاةِ - ذِكْرُ التهليلِ والتسبيحِ والتكبيرِ والتحميدِ - أفضلُ مِنَ الاشتغالِ عنه بالقراءةِ.

وكذلك إجابةُ المؤذنين، والقول كما يقول أفضلُ مِنَ القراءةِ، وإن كان فضلُ القرآنِ على كلِّ كلامٍ كفضلِ الله تعالى على خلقه، لكن لكلِّ مقامٍ مقالٌ، متى فات مقالُهُ فيه وعُدِلَ عنه إلى غيرِهِ اختلَّتِ الحكمةُ وفُقِدَتِ المصلحةُ المطلوبةُ منه.

(١) الوايل الصيب (ص ٩١) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩)، وأبو داود في سنته (٨٧٦)، والنسائي في سنته (١٠٤٥).

وهكذا الأذكارُ المقيّدةُ بمحالٍّ مخصوصةٍ أفضلُّ من القراءةِ المطلقةِ، والقراءةُ المطلقةُ أفضلُّ من الأذكارِ المقيّدةِ بمحالٍّ مخصوصةٍ، والقراءةُ المطلقةُ أفضلُّ من الأذكارِ المطلقةِ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله: أن يتفكر في ذنوبه فيُحَدِّثُ له توبةً من استغفارٍ، أو يعرض له ما يخافُ أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكارِ والدعواتِ التي تُحصّنه وتحوطه.

وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجةٌ ضروريةٌ إذا اشتغل عن سؤالها بقراءةٍ وذكيرٍ لم يحضر قلبه فيها، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء - والحالة هذه - أنفع، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي، يقولون: يُسَبِّحونك ويُكَبِّرونك ويُحَمِّدونك ويُمَجِّدونك، فيقول: هل رَأَوْني؟ فيقولون: لا والله ما رَأَوْكَ، فيقول: كيف لو رَأَوْني؟ فيقولون: لو رَأَوْكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسييحًا. فيقول: فما يسألون؟ قالوا: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رَأَوْها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رَأَوْها. يقول: فكيف لو رَأَوْها؟، يقولون: لو أنهم رَأَوْها لكانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظمَ فيها رغبةً، قال: فمِمَّ يَتَعَوَّذون؟،

يقولون: من النار. يقول: فهل رأوها؟ يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ فرارًا، وأشدَّ لها مخافةً، فيقول: فأشهدكم أني غفرتُ لهم، يقول ملك من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جلسيهم»^(١).

ولذلك حثَّ ﷺ على الجلوس في مجالس الذكر، وشبَّهها بروضة الجنة.

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتُم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»^(٢).

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكر الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»^(٣).

وروى مسلم عن حنظلة بن الربيع الأسدي رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُدكرنا بالنار والجنة، كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: إنا لنلقى مثل ذلك، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك وتُدكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥١٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٥٥).

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تدومون علي ما تكونون عندي وفي الذِّكْرِ لصافحتكم الملائكةُ علي فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، ولكن يا حنظلةُ ساعةٌ وساعةٌ» ثلاثَ مراتٍ^(١).

قال أحدُ العلماء: إذا حصل الأُنْسُ بذكرِ الله سبحانه انقطعَ عن غيرِ ذكرِ الله، وما سوىِ الله ﷻ هو الذي يُفارقُه عند الموتِ، فلا يبقى معه في القبرِ أهْلٌ ولا مالٌ ولا ولدٌ ولا ولايةٌ، ولا يبقى إلا ذكرُ الله ﷻ، فإن كان قد أنْسَ به تمَّتْ به وتلذَّذَ بانقطاعِ العوائقِ الصارفةِ عنه، إذ ضروراتُ الحاجاتِ في الحياةِ الدنيا تصدُّ عن ذكرِ الله ﷻ، ولا يبقى بعد الموتِ عائقٌ، فكأنه خُلِّيَ بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته، وتخلَّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به أنسه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنَّ روحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي، أَحِبُّ ما أَحَبَّتَ فإنك مُفارقُه». أراد به كلَّ ما يتعلَّقُ بالدنيا، فإن ذلك يفنى في حقِّه بالموتِ، فكلُّ مَنْ عليها فإن، ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرامِ^(٢).

اللهم اجعل الإيمانَ هادماً للسيئاتِ، كما جعلت الكفرَ عادماً للحسناتِ، ووفقنا للأعمالِ الصالحاتِ، واجعلنا ممَّنْ توكلُّ عليك فكفَيْتَهُ، واستهداك فهدَيْتَهُ ودعاك فأجَبْتَهُ، واغفر لنا ولو الدينا ولجميع المسلمين، الأحياءِ منهم والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٠٢).

(فصل)

في فوائد ذكر الله تعالى

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفي ذكرِ الله أكثرُ من مائةِ فائدةٍ، يُرضي الرحمنَ، ويطردُ الشيطانَ، ويُزيلُ الهَمَّ ويجلبُ الرزقَ، ويكسبُ المهابةَ والحلاوةَ، ويورثُ محبةَ الله التي هي روحُ الإسلامِ، ويورثُ المعرفةَ والإِنابةَ والقربَ وحياةَ القلبِ، وذكُرُ الله للعبدِ، وهو قوتُ القلبِ وروحه، ويجلِّي صداهُ، ويحطُّ الخطايا، ويرفعُ الدرجاتِ، ويُحدِثُ الأنسَ، ويزيلُ الوحشةَ، ويزكِّرُ صاحبهُ، وينجِّي من عذابِ الله، ويوجبُ تنزُّلَ السكينةِ وغشيانَ الرحمةِ وحفوفِ الملائكةِ بالذَّكْرِ، ويشغلُ عن الكلامِ الضارِّ، ويُسعدُ الذَّكْرَ، ويُسعِدُ به جليسهُ، ويؤمِّنُ من الحسرةِ يومَ القيامةِ، وهو مع البكاءِ سببٌ لإِظلالِ الله العبدَ يومَ الحشرِ الأكبرِ في ظلِّ عرشِهِ، وأنه سببٌ لعطاءِ الله للذَّكْرِ أفضلَ ما يُعطي السائلينَ، وأنه أيسرُ العباداتِ، وهو مِن أَجَلِّهَا وأفضَلِهَا، وأنه غِراسُ الجنةِ، وأن العطاءَ والفضلَ الذي رُتِّبَ عليه لم يُرتَّبَ على غيرِهِ، وأن دوامَ الذَّكْرِ للربِّ ﷻ يوجبُ الأمانَ من نسيانِهِ الذي هو سببُ شقاءِ العبدِ في معاشِهِ ومعادِهِ.

وأن الذَّكْرَ يُسيِّرُ العبدَ وهو في فراشِهِ وفي سوقِهِ، وأن الذَّكْرَ نورُ الذَّكْرِ في الدنيا، ونورٌ له في قبرِهِ، ونورٌ له في معادِهِ، وأن في القلبِ خلةً وفاقةً لا يسدُّها شيءٌ ألبتَّةَ إلا ذكُرُ الله ﷻ، وأن الذَّكْرَ يجمعُ ما تفرَّقَ على العبدِ من قلبِهِ وإرادتِهِ وهمومِهِ وعزمِهِ والذَّكْرَ يُفرِّقُ ما اجتمعَ عليه من الهمومِ والغمومِ والأحزانِ والحسراتِ على موتِ حظوظِهِ ومطالبِهِ ويُفرِّقُ ما اجتمعَ على حربِهِ من جندِ الشيطانِ.

وأن الذكر يُنبه القلب من نومه ويوقظه، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر، وأن الذكر شجرة تُثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر.

وأن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة، وأن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ، وأن الذكر رأس الشكر، وأن أكرم الخلق على الله من المتقين؛ من لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله.

وأن في القلب قسوة لا يُذيبها إلا ذكر الله تعالى، وأن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه، وأن الذكر أصل موالاة الله ﷻ، وأنه ما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله.

وأن الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر، وأن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر؛ فإنها رياض الجنة، وأن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

وأن الله ﷻ يُباهي بالذاكرين ملائكته، وأن مُدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك وأن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، وأن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله ﷻ، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله ﷻ.

وأن ذكر الله يُسهّل الصعب ويُيسر العسير ويُخفف المشاق، وأن ذكر الله يُذهب عن القلب مخاوفه كلّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، وأن في الاشتغال بالذكر اشتغالًا عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة واللغو، وأن عمال الآخرة كلّهم في مضمار السباق، والذاكرون أسبقهم في ذلك المضمار ولكن القتر والغبار يمنعان من رؤية سيقهم.

فإذا انجلى الغبارُ وانكشفَ، رآهم الناسُ، وقد حازوا قَصَبَ السَّبِقِ، وأن الذكرَ سببٌ لتصديقِ الربِّ ﷺ عبده، فإنه أخبر عن الله بأوصافِ كماله ونعوتِ جلاله، فإذا أخبر بها العبدُ صدَّقه ربُّه، ومن صدَّق الله لم يُحشَرْ مع الكاذبين، ورُجِّي له أن يُحشَرَ مع الصادقين^(١).

اللهم ألهمنا ذِكْرَكَ، ووقفنا للقيام بحقِّك، وبارك لنا في الحلالِ مِنْ رزقِك، ولا تفضِّحنا بين خلقِك، يا خَيْرَ مَنْ دعاه داع، وأفضلَ مَنْ رجاه راج، يا قاضي الحاجاتِ ومجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ما سألناه، وحقِّقْ رجاءنا فيما تمَنَّيناه، يا مَنْ يملكُ حوائجَ السائلين، ويعلم ما في ضمائرِ الصامتين، أذقنا بردَ عفوك وحلاوةَ مغفرتك، يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله أجمعين.



(١) الوابل الصيب (ص ٤١: ٨٧) باختصار وتصرف.

(فصل)

ومن فوائد الذكر أيضاً ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ دَوَّرَ الْجَنَّةَ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَتِ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ عَمِلَ مِنَ الْأَعْمَالِ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالْقِفَارَ تَبَاهَى وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ ﷻ عَلَيْهَا، وَأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ قَلِيلُوا الذِّكْرَ لِلَّهِ ﷻ، قَالَ ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وَأَنَّ لِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَذَّةٌ لَا يُشَبَّهُ بِهَا شَيْءٌ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا اللَّذَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلذَّاكِرِ، وَأَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا وَنُورًا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالْبَيْتِ وَالْحَضْرِ وَالسَّفَرِ وَالْبِقَاعِ تَكْثِيرًا لِشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْبَقْعَةَ وَالِدَارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً حَتَّى أَنَّهُ لِيَفْعَلَ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يَظُنَّ فَعَلَهُ بَدُونَهُ، وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي سَنَّتِهِ وَكَلَامِهِ وَإِقْدَامِهِ وَكِتَابَتِهِ أَمْرًا عَجِيبًا، فَكَانَ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ مِنَ التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسُخُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرِ.

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنِ يُسَبِّحَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَا مَضَاجِعَهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُحَمِّدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، لَمَّا سَأَلَتْهُ الْخَادِمَ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ خَيْرٌ لِكَمَا مِنْ خَادِمٍ.

فقيل: إن من دأوم على ذلك وجد قوة في عمله مغنية عن خادم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى يذكر أثرًا في هذا الباب، ويقول: إن

الملائكة لما أمروا بحمل العرش، قالوا: يا ربنا كيف نحملُ عرشك، عليه عظمتك وجلالك، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا حملوه. حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله ﷻ حين كان عرشه على الماء حملة العرش، قالوا: ربنا لما خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك، قال: لذلك خلقتكم، فأعادوا عليه ذلك مراراً، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله فحملوه.

قال: وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق والدخول على الملوك ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر، ومبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر.

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقي يستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام بطاعته، فذكره مستلزم لمعرفته وشكره، متضمن لطاعته، وهما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس^(١).



(١) الوابل الصيب (ص ٧٧: ٨٧) باختصار وتصرف وتقديم وتأخير.

(فائدة)

قال الشيخ تقي الدين فيمن أبتليَّ ببلاءٍ قلبٍ أزعجه: دواؤه الالتجاءُ إلى الله ودوامُ التضرعِ والدعاء، بأن يتعلمَ الأدعيةَ المأثورةَ، ويتوخَّى الدعاءَ في مظانِّ الإجابة، مثل آخرِ الليلِ وأوقاتِ الآذانِ والإقامةِ، وفي السجودِ وأدبارِ الصلواتِ، ويضمُّ إلى ذلك الاستغفارَ.

وليتخذُ وزدًا من الأذكارِ طرفي النهارِ وعند النومِ، وليصبرِ على ما يعرضُ له من الموانعِ والصوارفِ، فإنه لا بد أن يؤيِّده الله بروحٍ منه، ويكتبَ الإيمانَ في قلبه، وليحرصِ على عمودِ الدينِ، وليكن هجيراً: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

فإنه بها يحملُ الأثقالَ ويكابدُ الأهوالَ، وينالُ رفيعَ الأحوالِ، ولا يسأمُ من الدعاءِ والطلبِ، فإن العبدَ يُستجابُ له ما لم يعجلُ، وليعلمَ أن النصرَ مع الصبرِ، وأن الفرجَ مع الكربِ، وأن مع العسرِ يسراً، ولم ينلْ أحدٌ شيئاً من عميمِ الخيرِ إلا بالصبرِ، والحمد لله ربِّ العالمين^(١).

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى تَنْعَمُ	وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَن سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهَدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ	فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً	أَسَانَا وَقَصَّرْنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ
سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً	وَأَنْتَ تَرَانَا نَمَّ تَعْفُو وَتَرْحَمُ
وَحَقَّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ	صُدُودَكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءً وَهَيْبَةً	وَحَاجَاتُنَا بِالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ

(١) مختصر الفتاوى المصرية للبعلي (ص ٦٥١) بتصرف.

إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
 إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
 وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافِقُوا
 وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنِّي وَتَكَرَّمَا
 لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسُ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
 نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ
 لَكَ الْحَمْدُ عَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
 فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
 وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنْابُوا وَسَلَّمُوا
 فَأَنْتَ الَّذِي قَوْمَتَهُمْ فَتَقَوُّمُوا
 فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقُومٌ
 فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكَرَى وَنَوْمٌ
 وَسَامِعٌ وَسَلَّمْنَا فَأَنْتَ الْمُسَلَّمُ

اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك، ووفقنا لما وفقته له الصالحين من خلقك،
 واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، واصلني
 الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(فصل)

قال في حادي الأرواح: ولَمَّا عَلِمَ الموقِّعون ما خلَقوا له، وما إيجادهم له رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلِمَ الجنةِ قد رُفِعَ لهم فشمِّروا إليه، وإذا صراطها المستقيمُ قد وَضَحَ لهم فاستقاموا عليه، ورَأَوْا من أعظمِ الغبنِ بيعُ ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبٍ بشرٍ.

في أبدٍ لا يزول ولا ينفدُ بصبايةِ عيشٍ، إنما هو أضغاثُ أحلامٍ أو كطيفٍ زار في المنام، مشوبٍ بالنَّعْصِ ممزوجٍ بالغُصَصِ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سرَّ يوماً أحزن شهوراً، ألمه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعافُ مسرَّاته، أوَّلُه مخاوفٌ وآخرُه متالفٌ.

فيا عجباً من سفيه في صورةِ حكيمٍ، ومعتوه في سلاحِ عاقلٍ، أثر الحظِّ الفاني الخسيسِ على الحظِّ الباقي النفيسِ، باع جنةً عرضُها الأرضُ والسَّمواتُ بسجنٍ ضيقٍ بين أربابِ العاهاتِ والبلياتِ، ومساكنِ طيبةٍ في جناتِ عدنٍ تجري من تحتها الأنهارُ بأعطانٍ ضيقةٍ آخرُها الخرابُ والبوارُ.

وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوتُ والمرجانُ بقذراتِ دنساتِ سيئاتِ الأخلاقِ مُسافحاتٍ أو متخذاتِ أخدانٍ، وحوراً مقصوراتٍ في الخيامِ بخبيئاتِ مُسيئاتِ بين الأنامِ، وأنهاراً من خميرِ لذةٍ للشاربين بشرابِ نجشسٍ مُذهبٍ للعقلِ مُفسدٍ للدنيا والدينِ، ولذةِ النظرِ إلى وجهِ العزيزِ الرحيمِ بالتمتعِ برؤيةِ الوجهِ القبيحِ الذميمِ، وسماعِ الخطابِ من الرحمنِ بسماعِ المعازفِ والغناءِ والألحانِ، والجلوسِ على منابرِ اللؤلؤِ والياقوتِ والمرجانِ والزبرجدِ يومَ المزيدِ بالجلوسِ في مجالسِ الفسوقِ مع كلِّ شيطانٍ مريدٍ.

وإنما يظهر الغبنُ الفاحشُ في هذا البيعِ يومَ القيامةِ ويتبينُ سَفَهُ بائعه يومَ الحسرةِ والندامةِ إذا حُشِرَ المتقون إلى الرحمنِ وفدأ، وسيقَ المجرمون إلى

جهنم وردًا، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولي بالكرم من بين العباد.

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة وما أعد لهم من الإكرام، وأدخّر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين؛ لم يقع على مثلها بصرٌ ولا سمعته أذنٌ ولا خطر على قلب بشر، علم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته، وهو معدودٌ من سقط المتاع.

وأن القوم قد تَوَسَّطُوا مُلْكًا كَبِيرًا لَا تَعْتَرِيهِ الْآفَاتُ، وَلَا يَلْحَقُهُ الزَّوَالُ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الربِّ الكبير المتعال، فهم في روضات الجنات يتقلبون، وعلى أسررتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من استبرق يتكؤون، وبالحوار العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكّهون: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفِيكُهُمْ مِمَّا يَنْخَرِطُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الواقعة: ١٧-٢٤﴾، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٧١﴾ وَفِيهَا مَا شَتَّهِبَهُ النَّفْسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿الزخرف: ٧١﴾،
تا الله، لقد نُودِيَ عليها في سوق الكساد، فما قلب ولا استتام إلا أفراد من العباد^(١).

(١) حادي الأرواح (ص ٧، ٨) بتصرف.

وقال صَلَّى اللهُ فِي النُّونِيَّةِ:

حَقًّا بِهِذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
 قَ قَلْبُسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
 مِ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
 وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
 تُجَلِّي عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصُّوَانِ
 يَنْهَالُ مِثْلَ نَقَّامٍ مِنَ الْكُثْبَانِ
 دَ الصَّخْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
 حِسٌّ لَمَّا اسْتَبَدَلَتْ بِالْأَدْوَانِ
 بٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهِذَا الشَّانِ
 يَا مِخْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
 ذَا حَيْلَةَ الْعَيْنِينَ فِي الْعَشَيَّانِ
 بَلْ أَنْتَ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
 بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدًا لَا اثْنَانِ
 إِلَّا أَوْلُوا التَّقْوَى مَعَ الْإِيْمَانِ
 بَيْنَ الْأَرَادِلِ سِفْلَةِ الْحَيَّوَانِ
 فَلَقَدْ عَرَضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
 فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ دُوٌّ إِمْكَانِ

بِاللَّهِ مَا عَذُرُ أَمْرِي هُوَ مُؤْمِنٌ
 بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا
 تَ اللَّهُ لَوْ شِئْتَ لَوُ شِئْتَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ
 وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ
 جُلِيَتْ عَلَيْكَ عَرَائِسُ وَاللَّهِ لَوْ
 رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لَوْ قَتِيهِ
 لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَازَ حَدُ
 لَوْ هَزَكَ الشُّوقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا
 أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةً قَلْدُ
 حُورٌ تُزَفُّ إِلَى ضَرِيرٍ مُقْعَدِ
 شَمْسٌ لِعَيْنِينَ تُزَفُّ إِلَيْهِ مَا
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنْأَلُهَا
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كَفَّوْهَا
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبِ

يَا سَلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبِرِ الْ
 حُجَبْتُ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
 لَكِنَّهَا حُجَبْتُ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 وَتَنَالَهَا الْهَمَمُ الَّتِي تَسْمُوا إِلَيَّ
 رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ
 اللَّهُم اجعلنا من المتقين الأبرار، وأسكننا معهم في دارِ القرارِ، اللهم وفقنا
 بحسنِ الإقبالِ عليك والإصغاءِ إليك، ووفقنا للتعاونِ في طاعتك، والمبادرةِ
 إلى خدمتك، وحسنِ الآدابِ في معاملتك، والتسليمِ لأمرِك، والرضا بقضائك،
 والصبرِ على بلائِك، والشكرِ لنعمائِك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ
 المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله
 على محمد وآله أجمعين.



(فصل)

في فضائل الاستغفار

يُستحبُّ الإكثارُ من الاستغفارِ في كلِّ وقتٍ، ويتأكَّدُ في الزمانِ الفاضلِ،
والمكانِ الفاضلِ، قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال
تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[المائدة: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]،
وقال تعالى مُخْبِرًا عن نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]،
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «سيد الاستغفار أن يقول
العبدُ: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك
ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوءُ
بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت» ^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنا كنا لنعدُّ لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله في المجلسِ يقول: «ربُّ
اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التوابُّ الغفورُ» مائة مرة ^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٦)، والترمذي في سننه (٣٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٢١٩)، وابن
ماجه في سننه (٣٨١٤).

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﻻ يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٣).

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(٤).

وقال حذيفة رضي الله عنه: كنت ذرب اللسان على أهلي، فقلت: يا رسول الله، لقد خشيت أن يدخلني لساني النار، فقال النبي ﷺ: «فأين أنت من الاستغفار، فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(٥) أخرجه النسائي.

وعن زيد رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه: غفر له، وإن كان قد فر من الزحف»^(٦) رواه أبو داود.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٦٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٢١٨)، وابن ماجه في سننه (٣٨١٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٢١٢)، وابن ماجه في سننه (٣٨١٧).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٧)، والترمذي في سننه (٣٥٧٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه - ثلاث مرات - غُفرت له ذنوبه، وإن كانت عددَ رملِ عالجٍ، وإن كانت عددَ أيامِ الدنيا»^(١) رواه الترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابنَ آدمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابنَ آدمَ، لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماءِ ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي. يا ابنَ آدمَ، إنك لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتك بقرابِها مغفرةً»^(٢) رواه الترمذي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال إبليسُ: وعزَّتْك لا أبرحُ أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال: وعزَّتْك وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني»^(٣).

وعن الزبير رضي الله عنه، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحيفَتُهُ فليكثرُ فيها مِنَ الاستغفارِ»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكِتَتْ في قلبه نكتةٌ، فإن هو نزعَ واستغفرَ صُقلَتْ، فإن عادَ زيدَ فيها حتى تعلق قلبه، فذلك الرُّانُ الذي ذَكَرَ اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(٥).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١٢٣٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٩) والدعاء (١٧٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣٩).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٣٤)، والنسائي في الكبرى (١٠١٧٩)، وابن ماجه في سننه (٤٢٤٤).

وروي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس، وجلأؤها الاستغفار»^(١).

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرة فقال: «استغفروا الله. فاستغفرنا، فقال: أتموها سبعين مرة. فآتممتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمئة ذنب، وقد خاب عبدٌ أو أمةٌ عمِلَ في يومٍ وليلةٍ أكثرَ من سبعمئة ذنبٍ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم»^(٣) رواه مسلم.

وفي حديث سلمان رضي الله عنه: «فاستكثروا فيه من أربع خصال؛ خصلتين تُرضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان تُرضون بهما ربكم: شهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعودون به من النار»^(٤).

فهذه الخصال الأربع المذكورة في الحديث كلٌ منها سببٌ للمغفرة والعتق من النار، فأما كلمة الإخلاص، فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محوًا، ولا تُبقي ذنبًا، ولا يسبقها عملٌ، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يُوجب العتق من النار، ومن أتى بها حين يُصبحُ وحين يُمسي أُعتقه الله من النار، ومن قالها خالصًا من قلبه حرّمه الله على النار.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨٩٤) والدعاء (١٧٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٨٣٩)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٨٨٧).

وأما كلمة الاستغفارِ فَمِنْ أعظمِ أسبابِ المغفرةِ، فَإِنَّ الاستغفارَ دُعَاءٌ بالمغفرةِ، ودعاءُ الصائمِ إذا اجتمعت له الشروطُ وانتفت الموانعُ مُستجابٌ حالَ صيامِهِ وعندِ فطرِهِ.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ويغفر اللهُ إلا لمن أبى، قالوا: يا أبا هريرة ومن أبى؟ قال: يأبى أن يستغفرَ الله»^(١).

وقال لقمان لابنه: يا بُني عوّد لسانك الاستغفارَ، فإنَّ اللهَ ساعاتٍ لا يُرَدُّ فيها سائلاً، وقد جمع الله بين التوحيدِ والاستغفارِ في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وفي بعض الآثار أن إبليسَ قال: أهلكْتُ النَّاسَ بالذنوبِ، وأهلكوني بالاستغفارِ ولا إلهَ إلا الله.

والاستغفارُ ختامُ الأعمالِ الصالحةِ كُلِّها، فيُختَمُ به الصلاةُ والحجُّ والقيامُ في الليلِ، ويختَمُ به المجالسُ، فإن كانت ذكراً كان كالطابعِ عليها، وإن كانت لغواً كان كفارةً لها، فكذلك ينبغي أن يُختَمَ صيامُ رمضانَ بالاستغفارِ، يُرَقِّع ما تخرَّق من الصيامِ باللغوِ والرفثِ، ويجتهد في الإكثارِ من الأعمالِ، والتقلُّلِ من شواغلِ الدنيا والإقبالِ على الآخرةِ ما دام في قيدِ الحياةِ.

ومن عِظَةِ الحسنِ البصريِّ لعمر بن عبد العزيز: أما بعد؛ فإن الدنيا دارٌ ظعن، ليست بدارٍ إقامةٍ، لها في كلِّ حينٍ قَتِيلٌ، تُذَلُّ مَنْ أعزَّها، وتُفَقِرُ مَنْ جَمَعَهَا، هي كالسَّمِّ يأكله مَنْ لا يعرفه وفيه حتفه، فكن فيها كالمُدَاوِي جراحه يحتمي قليلاً مخافةً ما يكره طويلاً، ويصبرُ على شِدَّةِ الدوائِ مخافةً طولِ الداءِ، فاحذر هذه الدنيا الخداعةَ الغدارةَ الختالةَ، التي قد تزيَّنتُ بخداعِها، وقتلتُ

(١) أخرجه ابن شاهين في فضائل رمضان (١٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٢٦١).

بغرورها، وتحلّت بآمالها، وسوّفت بخطابها، فأصبحت كالعروسِ المجليّة،
 العيونُ إليها ناظرةٌ، والقلوبُ عليها والهةٌ، وهي لأزواجها كلّهم قاليةٌ، فلا
 الباقي بالماضي مُعتبرٌ، ولا الآخرُ بالأوّلِ مُزدجرٌ، فعاشتُ لها قد ظفّرَ منها
 بحاجتهِ فاغترّ وطمعني ونسيّ المعادَ فشغلَ فيها لُبّه حتى زلّتُ به قدمه فعظمت
 ندامته، وكثرتُ حسرتُه، واجتمعت عليه سكراتُ الموتِ وتألمُه وحسراتُ
 الفوتِ بغصّته، وراغبٌ فيها لم يدركَ منها ما طلبَ، ولم يُرخِ نفسه من التعبِ
 فخرجَ بغيرِ زادٍ، وقدم على غيرِ مهادٍ. فاحذرُها يا أميرَ المؤمنين، وكُن أسرّاً ما
 تكونُ فيها، احذرُ لها؛ فإن صاحبَ الدنيا كلّما اطمأنَّ فيها إلى سرورِ أشخصتهِ
 إلى مكروهٍ وضارٍّ، وقد وصل الرخاءُ منها بالبلاءِ، وجُعِل البقاءُ إلى فناءٍ،
 فسروُرُها مشوبٌ بالأحزانِ، أمانها كاذبةٌ، وآمالُها باطلةٌ، وصفوها كدراً،
 وعيشها نكدٌ، وابنُ آدمَ فيها على خطرٍ^(١). اهـ.



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (٥٠، ٢٨٢)، والآجري في أخبار عمر (ص ٧٩)، وأبونعيم في الحلية (٣١٢/٦).

شعراً مقول على لسان حال الدنيا:

مَنْ لَيْسَ بِالْبَاكِي وَلَا الْمُتَبَاكِي
 نَادَتْ بِي الدُّنْيَا فَقُلْتُ لَهَا: أَقْصِرِي
 وَلِمَا صَفَا عِنْدَ الْإِلَهِ وَلَا دَنَا
 مَا زَلْتِ خَادِعَتِي بِبِرْقِ خُلْبٍ
 قَالَتْ أَغْرَكَ مِنْ جَنَاحِكَ طُولُهُ
 تَاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ رَاحَةٍ
 طِرَ كَيْفَ شِئْتَ فَأَنْتَ فِيهَا وَاقِعٌ
 مَنْ كَانَ يَضْرَعُ قِرْنَهُ فِي مَعْرَكٍ
 مَا أَعْرِفُ الْعَضْبَ الصَّقِيلَ وَلَا الْقَنَا
 كَمْ ضَيِّعَ عَفْرُتُهُ بَعْرِيْنِهِ
 فَأَجَبْتُهَا مُتَعَجِّبًا مِنْ عَدْرِهَا
 لَأَجَلْتُ عَيْنِي فِي بَيْتِكَ فَكُلُّهُمْ
 لَوْ قَارَضُوكَ عَلَى صَنِيعِكَ فِيهِمْ
 طُمِسَتْ عُقُولُهُمْ وَنُورُ قُلُوبِهِمْ
 فَكَانَتْهُمْ مِثْلَ الدُّبَابِ تَسَاقَطَتْ

لَقَبِيحِ مَا يَأْتِي فَلَيْسَ بِزَاكِ
 مَا عُدَّ فِي الْأَكْيَاسِ مِنْ لَبَّاكِ
 مِنْهُ أَمْرٌ وَصَافَاكِ أَوْ دَانَكَ
 وَلَوْ اهْتَدَيْتُ لَمَا انْخَدَعْتُ لِذَاكِ
 وَكَأَنَّ بِهِ قَدْ قَصَّ فِي أَشْرَاكِ
 إِلَّا وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ شِبَاكِ
 عَانَ بِهَا لَا يُرْتَجَى لِفِكَاكَ
 فَعَلَيَّ صَرَعَتْهُ بِغَيْرِ عِرَاكِ
 وَلَقَدْ بَطَشْتُ بِذِي السَّلَاحِ الشَّاِكِي
 وَلَكُمْ فَتَكَّتْ بِأَفْتِكِ الْفُتَّاكِ
 أَجْرَيْتِ بِالْبَغْضَاءِ مَنْ يَهْوَاكِ
 أَسْرَاكِ أَوْ جَرَحَاكِ أَوْ صَرَعَاكِ
 قَطَعُوا مَدَى أَعْمَارِهِمْ بِقِلَاكِ
 فَتَهَافَتُوا حِرْصًا عَلَيَّ حَلْوَاكِ
 فِي الْأَرْبِيِّ حَتَّى اسْتَوْصَلُوا بِهَلَاكِ

بَعْدَ الْوِلَادَةِ، مَا أَقَلَّ حَيَاكِ!
 عَطْفًا عَلَيْهِ وَأَنْتِ مَا أَقْسَاكِ
 إِلَّا سِيْهُشَمُ فِي نِفَالِ رَحَاكِ
 بَيْنَ الضُّلُوعِ فَمَا أَعَزَّ دَوَاكِ
 اللَّهُ رَبِّي أَنْ أَشُقَّ عَصَاكِ
 وَعُقُوقَهُنَّ مُحَرَّمٌ إِلَّاكِ
 سَيِّآنَ فَقْرُكَ عِنْدَنَا وَغْنَاكِ
 قَدْ بَاشَرُوا بَعْدَ الْحَرِيرِ ثَرَاكِ
 فَتَعَوَّضُوا مِنْهَا رِذَاءَ رَدَاكِ
 فَغَدَتِ مُسْجَاةٌ بِثُوبِ دُجَاكِ
 رَبِّ الْجَمِيْعِ، وَقَاهِرِ الْأَمْلَاكِ
 لَزِهْدَتُ فِيكَ وَلَا بَتَغَيْتُ سِوَاكِ
 وَشَدَدْتُ إِيمَانِي بِنَقْضِ عُرَاكِ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَحْتَ لِوَاكِ
 فَتُرِي بِلَا أَرْضٍ وَلَا أَنْفَاكِ
 لِيَكُونَ يُرْضَى غَيْرَ مَنْ أَرْضَاكِ

لَا كُنْتِ مِنْ أُمَّ لَنَا أَكَالَةٍ
 وَلَقَدْ عَهِدْنَا الْأُمَّ تَلْطُفُ بِابْنِهَا
 مَا فَوْقَ ظَهْرِكَ قَاطِنٌ أَوْ ظَاعِنٌ
 أَنْتِ السَّرَابُ وَأَنْتِ دَاءٌ كَامِنٌ
 يُعْصَى الْإِلَهَ إِذَا أُطِعْتَ وَطَاعَتِي
 فَرَضٌ عَلَيْنَا بِرُّنَا أَمَانِنَا
 مَا إِنْ يَدُومُ الْفَقْرُ فِيكَ وَلَا الْغِنَى
 أَيُّنَ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى وَرِيَاشُهُمْ
 وَلَطَالَمَا رُدُّوا بِأَرْدِيَةِ الْبِهَا
 كَانَتْ وَجُوهُهُمْ كَأَقْمَارِ الدُّجَا
 وَعَنْتِ لِقِيُومِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
 وَجَلَالِ رَبِّي لَوْ تَصِحَّ عَزَائِمِي
 وَأَخَذْتُ زَادِي مِنْكَ مَنْ عَمَلَ التُّقَى
 وَحَطَّطْتُ رَحْلِي تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 مَهْلًا عَلَيْكَ فَسَوْفَ يُلْحَقُكَ الْفَنَا
 وَيُعِيدُنَا رَبُّ أَمَاتٍ جَمِيعَنَا

وَاللَّهِ مَا الْمَخْبُوبُ عِنْدَ مَلِيكِهِ إِلَّا لَيْبٌ لَمْ يَزَلْ يَشْنَاكِ
 هَجَرَ الْغَوَانِي وَإِصْلًا لِعَقَائِلِ يَضْحَكُنَّ حُبًّا لِلْوَلِيِّ الْبَاكِ
 إِنِّي أَرَفْتُ لَهُنَّ لِاحْمَائِمِ تَبْكِي الْهَدِيلَ عَلَى عُصُونِ أَرَاكِ
 لَا عَيْشَ يَصْفُو لِلْمُلُوكِ وَإِنَّمَا تَصْفُو وَتُحْمَدُ عَيْشَةُ النَّسَاكِ
 وَمِنَ الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ عَدَدَ النُّجُومِ وَعِدَّةَ الْأَمْلاكِ

اللهم يا مَنْ لا تضرُّه المعصيةُ، ولا تنفعُه الطاعةُ، أيقظنا من نوم الغفلةِ،
 ونبّهنا لاغتنامِ أوقاتِ المهلةِ، ووقفنا لمصالحنا، واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا،
 ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواعِ القبائحِ
 والمعائبِ التي تعلمها منا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياءِ
 منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله
 وصحبه أجمعين.



(فصل)

في أحكام الاعتكاف في المسجد

الاعتكاف لغةً: لزوم الشيء، وحبس النفس عليه برًا كان أو غيره، وفي الشرع: لزوم مسلم لا غسل عليه - عاقلٍ ولو مُمَيِّزٍ - مسجداً، ولو ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ لطاعة الله.

وهو سنةٌ في كلِّ وقتٍ، وفي رمضان أكده، وأكدته عشره الأخير، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فلم يعتكف عاماً، فلما كان في العام المقبل اعتكف عشرين»^(٢).

أما كونه لا يصح من الكافر، فلأنه من فروع الإيمان، ولا يصح منه كالصوم، وأما من زال عقله كالمجنون، فلأنه ليس من أهل العبادات، فلم يصح منه.

أما كونه لا غسل عليه، فلقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة رضي الله عنها: «إني لا أحلُّ المسجد لحائضٍ ولا جنبٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٨٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٢).

وأما كونه في مسجد، فلقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ولا يصح إلا في مسجد تُقَامُ فيه الجماعة؛ لأن الاعتكاف في غيره يُفْضِي إما إلى ترك الجماعة، أو تكرر الخروج إليها كثيراً مع إمكان التحرر منه، وهو منافٍ للاعتكاف.

والاعتكاف في مسجد تُقَامُ فيه الجمعة أفضل، لئلا يحتاج إلى الخروج إليها، ولأن ثواب الجماعة في الجامع أكثر، ولأنه ﷺ اعتكف في المسجد الجامع.

ويجب الاعتكاف بالنذر، قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يُوجِبَ المرءُ على نفسه الاعتكاف نذراً، لقوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فليطعه»^{(١)(٢)}.

والأفضل أن يعتكف بصوم، ولأن النبي ﷺ كان يعتكف في شهر رمضان، فإن اعتكف بغير صوم جاز، لحديث عمر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «فأوفِ بنذرك»^(٣).

ولو كان الصوم شرطاً فيه لمَّا صحَّ اعتكاف الليل، وكالصلاة وسائر العبادات.

ولا يصح اعتكاف إلا بنية، لأنه عبادة محضة، ولحديث: «إنما الأعمال بالنيات»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) الإجماع (ص ٥٠)، الإشراف (٣/ ١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٣٢)، ومسلم (١٦٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وَمَنْ نَذَرَ الاعتكافَ أو الصلاةَ في مسجدٍ غيرِ الثلاثةِ، وهي: المسجدُ الحرامُ، ومسجدُ المدينةِ، والمسجدُ الأقصى: جاز له أن يعتكفَ في غيره لأنه لا مَرِيَّةَ لبعضِها على بعضٍ.

وإن نَذَرَ أن يعتكفَ في المسجدِ الحرامِ لَزِمَهُ أن يعتكفَ فيه، لما روي عن عمر رضي الله عنه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: كنتُ نذرتُ في الجاهليةِ أن أعتكفَ ليلةً في المسجدِ الحرامِ، قال: «أوفِ بنذرك»^(١).

ولأنه أفضلُ من سائرِ المساجدِ، ولا يجوزُ أن يُسقطَ فرضه بما دونه.

وإن نذر أن يعتكفَ في مسجدِ المدينةِ جاز له أن يعتكفَ في المسجدِ الحرامِ؛ لأنه أفضلُ منه، ولم يَجْزُ أن يعتكفَ في المسجدِ الأقصى؛ لأن مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم أفضلُ منه.

وإن نذر أن يعتكفَ في المسجدِ الأقصى جازَ له أن يعتكفَ في أيِّ المسجدينِ أحبَّ؛ لأنهما أفضلُ منه، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرامِ»^(٢).

ولا يجوزُ للمعتكفِ أن يخرجَ من المسجدِ لغيرِ عذرٍ، لما روت عائشةُ رضي الله عنها قالت: «إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليُدخَلَ على رأسه وهو في المسجدِ فأرجلُه، وكان لا يدخلُ البيتَ إلا لحاجةٍ إذا كان معتكفاً»^(٣).

وعنها رضي الله عنها قالت: «السُّنةُ على المعتكفِ أن لا يعودَ مريضاً، ولا يشهدَ جنازةً، ولا يمسُ امرأةً ولا يباشرُها، ولا يخرجُ لحاجةٍ، إلا لما لا بدَّ منه،

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٢)، ومسلم (١٦٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٩)، ومسلم (٧/٢٩٧).

ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع^(١).

فإن خرج من غير عذر بطل اعتكافه؛ لأن الاعتكاف اللبث في المسجد، فإذا خرج فقد فعل ما ينافيه من غير عذر، كما لو أكل في الصوم ذاكراً.

ويجوز أن يخرج لحاجة الإنسان ولا يبطل اعتكافه، وكذا إن خرج من المسجد ناسياً لم يبطل اعتكافه، لقوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢).

ويستحب للمعتكف التَّشَاغُلُ بفعل القرب كقراءة القرآن والأحاديث الصحيحة، والصلاة وذكر الله، ونحو ذلك.

وسُنَّ له اجتناب ما لا يعنيه من جدلٍ ومراءٍ وكثرة كلام، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٣).

قُمْ فِي الدُّجَى يَا أَيُّهَا الْمُتَعَبُّ
قُمْ وَادْعُ مَوْلَاكَ الَّذِي خَلَقَ الدُّجَى
وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِذَلَّةٍ
وَإِنْدَمَ عَلَيَّ مَا فَاتَ وَإِنْدَبَ مَا مَضَى
وَاضْرَعْ وَقُلْ: يَا رَبِّ عَفْوِكَ إِنِّي
أَسْفَأُ عَلَى عُمْرِي الَّذِي ضَيَعْتُهُ
حَتَّى مَتَى فَوْقَ الْأَسْرَةِ تَرَقَّدُ
وَالصُّبْحَ وَامْضِ فَقَدْ دَعَاكَ الْمَسْجِدُ
وَاطْلُبْ رِضَاهُ فَجُودُهُ لَا يَنْقُدُ
بِالْأَمْسِ وَإِذْ كُرَّ مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ
مِنْ دُونَ عَفْوِكَ لَيْسَ لِي مَا يَعْضُدُ
تَحْتَ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ فَوْقِي تَرْصُدُ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٠٤٣) بنحوه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، و(٢٠٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣١٧)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٦).

يَا رَبِّ لِمَ أَحْسَبُ مَرَارَةَ مَزْصَدْرِ
 عَنِ زَلَّةٍ قَدْ ذَابَ مِنْهَا الْمَوْرِدُ
 يَا رَبِّ قَدْ ثَقُلْتُ عَلَيَّ كَبَائِرُ
 بِإِزَاءِ عَيْنِي لِمَ تَنْزَلُ تَتَرَدَّدُ
 يَا رَبِّ مَالِي غَيْرُ لُطْفِكَ مَلْجَأُ
 وَلَعَلَّنِي عَنْ بَابِهِ لَا أُطْرَدُ
 يَا رَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا
 دَيْنًا عَلَيَّ بِهِ جَلَالُكَ يَشْهَدُ
 أَنْتَ الْخَيْرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ
 بِسَلْسِلِ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
 أَنْتَ الْمُجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِي
 مِنْ أَيِّ بَحْرِ غَيْرٍ بِحَرِّكَ نَسْتَقِي؟
 وَلَا أَيِّ بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ نَقْضُ

اللهم وفقنا لصالح الأعمال، ونجنا من جميع الأهوال، وأمنا من الفزع
 الأكبر يومَ الرجفِ والزلالِ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياءِ
 منهم والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وآله
 وصحبه أجمعين.



(فصل)

في بناء المساجد وآدابها

ويبحث في:

- (١) ما ورد في الحث على بناء المساجد وثوابها العظيم.
- (٢) ما ورد في صيانة المساجد عن الأقدار وتنظيفها.
- (٣) ما ورد في تجنب أكل البصل والثوم الصلاة في المساجد، وإبعاد الصغير والمجنون.
- (٤) ينبغي تجنب المساجد البيع والشراء ورفع الصوت ونشدان الضالة فيها.
- (٥) حرمة المبالغة في زخرفة المساجد.
- (٦) كراهة التزام موضع معين من المسجد للصلاة لغير الإمام.

١- ما ورد في الحث على بناء المساجد، وثوابها العظيم:

بناء المساجد في الأمصار والقرى والمحال ونحوها حسب الحاجة فرض كفاية، ويستحب اتخاذ المساجد في الدور، وتنظيفها وتطيبها، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنزَلْنَا اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ ... ﴾ [النور: ٣٦] ... الآية، ولما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور، وأن تُنظف وتُطيب»^(١).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ بَنَى لِي مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٤٥)، والترمذي في سننه (٥٩٤)، وابن ماجه في سننه (٧٥٨، ٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٢٥/٥٣٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ بَنَى لَهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمِفْحَصِ قَطَاةِ بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ بَنَى لَهِ مَسْجِدًا يُذَكَّرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبُدُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

وروي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يَرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»^(٥).

وأحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها»^(٦).



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجه في سننه (٧٣٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٣٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٢٢١ / ١٥) (٨٦٣٩)، والطبراني في الأوسط (٥٠٩٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٠٠٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٤٢)، وأصله عند مسلم (١٦٣١).

(٦) أخرجه مسلم (٦٧١).

٢ - ما ورد في صيانة المساجد وتنظيفها:

وَيُسْنُ صِيَانَةَ الْمَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسْخٍ وَقَذِيرٍ وَقَذَاةٍ وَمُخَاطٍ وَبُصَاقٍ وَتَقْلِيمِ
أَظْفَارٍ وَقَصْرِ شَارِبٍ وَحَلْقِ رَأْسٍ، وَنَتْفِ إِبْطِ، لَمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجْوُرُ أُمَّتِي، حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنْ
الْمَسْجِدِ»^(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبُرَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ،
وَكَفَارَتُهَا دَفْنُهَا»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ: «فَهَلَا أَذْنَمُونِي؟» فَآتَى
قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا^(٣).

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ
فِي دِيَارِنَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفَهَا^(٤).

وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمًا، إِذْ رَأَى نَخَامَةً
فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّظَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا، فَدَعَا بَزْعُرَانَ فَلَطَّخَهُ بِهِ، وَقَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَبِلَ وَجْهَ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى، فَلَا يَبْزُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٦١)، والترمذي في سننه (٢٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠١٨٤)، وأبو داود في سننه (٤٥٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧)، وأبو داود في سننه (٤٧٩) واللفظ له.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تفلَّ تَجَاهَ القبلةِ جاء يومَ القيامةِ تَفْلُهُ بين عَيْنَيْهِ»^(١).

وعن أبي سهلة السائب بن خلاد رضي الله عنه - من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -، أن رجلاً أمَّ قومًا فبصق في القبلةِ ورسولُ الله ينظرُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين فرغَ: «لا يُصَلِّيَ لكم هذا»، فأراد بعد ذلك أن يُصَلِّيَ لهم فَمَنَعُوهُ، وأخبروه بقول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نعم»، وحَسِبْتُ أنه قال: «إنك أذيتَ اللهَ ورسولَهُ».



(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٢٤).

٣ - ما ورد في تجنب أكل البصل والثوم الصلاة في المساجد:

يُسْنُ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَنْ رَائِحَةِ كَرِيهَةٍ مِنْ بَصْلِ وَثُومٍ وَكُرَّاثٍ وَنَحْوِهَا، لَمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبُنَا وَلَا يُصَلِّيَ مَعَنَا»^(١).

وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا»^(٢).

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا» أَوْ «فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا»^(٣)، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا تَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ؛ الْبَصَلَ وَالثُّومَ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجْلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمْتَهُمَا طَبَخًا.

اللهم انظمننا في سلكِ أهلِ السعادة، واجعلنا من عبادك المحسنين الذين لهم الحسنَى وزيادة، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤/٥٦٤).

(فصل)

يُسْنُ أَنْ يُصَانَ الْمَسْجِدُ عَنْ صَغِيرٍ لَا يُمَيِّزُ لِغَيْرِ مَصْلِحَةٍ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ مَجْنُونٍ حَالَ جَنُونِهِ، وَعَنْ لَغَطٍ وَخُصُومَةٍ وَكثْرَةِ حَدِيثٍ لَاحٍ، وَرَفَعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهٍ، وَعَنْ رَفَعِ الصَّبِيَانِ أَصْوَاتِهِمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ، وَيُمنَعُ فِيهِ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَإِيذَاءُ الْمُصَلِّينَ وَغَيْرِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَيُمنَعُ السُّكْرَانُ مِنْ دُخُولِهِ، وَعَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صَبِيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَرَفَعِ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ، وَسَلِّ سَيُوفِكُمْ، وَاتَّخِذُوا عَلَيَّ أَبْوَابَهَا الْمُطَاهَرَ، وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمُعِ» ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيكون في آخر الزمان قومٌ يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة» ^(٢).

وعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تُقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَا يُسْتَقَادُ فِيهَا» ^(٣).

وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرْسَلًا قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ فَلَا تُجَالَسُوهُمْ، فَلَيْسَ اللَّهُ فِيهِمْ حَاجَةً» ^(٤).

وعن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كنت نائمًا في المسجد فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا هو عمرُ بنُ الخطابِ، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئتُ بهما، فقال:

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٥٠).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٧٦١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٤٠١)، وابن ماجه في سننه (٢٥٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٣١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧٠١).

ممن أنتما - أو من أين أنتما؟ -، قالوا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»^(١).

وعن مالك قال: بنى عمر رضي الله عنه رحبة في ناحية تسمى "البطيحاء"، وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتخذ الفيء دُولاً، والأمانة مَغْنَمًا، والزكاة مَغْرَمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه، وأذنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكته فتتابع»^(٣).



(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/١٧٥) (٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢١١).

٤ - ينبغي تجنب المساجد البيع والشراء، ورفع الصوت ونشيدان

الضالة فيها:

ويحرمُ في المسجدِ البيعُ والشراءُ، فإن فعل فالبيعُ باطلٌ، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: «نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن البيعِ والابتِباعِ وعن تَنَاشُدِ الأشعارِ في المساجِدِ»^(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه.

ويُسَنُّ أن يُقالَ لِمَن باع أو اشترى في المسجدِ: لا أربحَ اللهُ تجارتَكَ، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتُم مَن يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ فقولوا: لا أربحَ اللهُ تجارتَكَ، وإذا رأيتُم مَن ينشُدُ فيه ضالَّةً فقولوا: لا ردَّ اللهُ عليك»^(٢) رواه الترمذي والدارمي.

ومما ينبغي التفتُّنُ له والتحذيرُ منه وإبعادهُ عن المساجِدِ: الكتبُ التي فيها صورُ ذواتِ الأرواحِ، كالهجاءِ للسنَّةِ الأولى الابتدائية، وكالمطالعةِ لسائرِ السنواتِ، وكالعلومِ، فإن بعضَ التلاميذِ يأتون بها إلى المساجِدِ ليُطالِعوا فيها، وإذا تخلَّقت ووضَّعها في المسجدِ، وقد ورد عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: وَعَدَّ رسولُ الله جبريلُ أن يأتيه فراثٌ عليه، حتى اشتدَّ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فخرج فلقيه جبريلُ، فشكا إليه فقال: «إنا لا ندخلُ بيتًا فيه صورةٌ ولا كلبٌ»^(٣) رواه البخاري.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٧٦)، وأبو داود في سننه (١٠٧٩)، والترمذي في سننه (٣٢٢)، والنسائي في سننه (٧١٤، ٧١٥)، وابن ماجه في سننه (٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٦٨)، والترمذي في سننه (١٣٢١) واللفظ له، والدارمي في مسنده (١٤٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٦٠).

وَيُسْنُّ صَوْنَ الْمَسْجِدِ عَنِ إِشَادِ شَعْرِ قَبِيحٍ، وَإِشَادِ ضَالَّةٍ وَنُشْدَانِهَا، وَيُسْنُّ لِسَامِعِ نُشْدَانِ الضَّالَّةِ أَنْ يَقُولَ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ فِي الْمَسْجِدِ ضَالَّةً فَلْيَقُلْ: لَا آدَاها اللَّهُ إِلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»^(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ.

وَعَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَجَدْتُمْ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لَمَا بُنِيَتْ لَهُ»^(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٥٨٨)، ومسلم (٥٦٨)، وابن ماجه في سننه (٧٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠٤٤)، ومسلم (٥٦٩)، وابن ماجه في سننه (٧٦٥).

٥ - حرمة المبالغة في زخرفة المساجد:

وتحرم زخرفتها بنقشٍ وصبغٍ وكتابةٍ وغير ذلك مما يُلهي المصلِّي عن صلاته غالبًا، وإن فعل ذلك من مال الوقفِ حرَّم فعله، ووجب ضمانُ مالِ الوقفِ الذي صُرف فيه لا لمصلحة فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمرت بتشديد المساجد» قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لنزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»^(١) رواه أبو داود.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»^(٢) رواه الخمسة إلا الترمذي.

وقال البخاري رحمته الله: قال أبو سعيد رضي الله عنه: كان سقف المسجد من جريد النخل. وأمر عمر رضي الله عنه ببناء المسجد، وقال: أكين الناس من المطر، وإياك أن تحمرا أو تصفرا فتفتن الناس^(٣).

وينبغي أن لا يستعمل الناس حُصْرَ المسجد وقناديله وسجاجيده وبُسطه وسائر ما وُقف لمصالحه في مصالحهم كالأعراس، ويجب صرفُ الوقفِ للجهة التي عينها.



(١) أخرجه البخاري تعليقا قبل حديث (٤٤٦) ببعضه، وأبو داود في سننه (٤٤٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٧٦)، وأبو داود في سننه (٤٤٩)، والنسائي في سننه (٦٨٩)، وابن ماجه في سننه (٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري تعليقا قبل حديث (٤٤٦).

٦ - كراهة التزام موضع معين من المسجد للصلاة لغير الإمام:

ويُكره لغير الإمام مداومة موضع معين من المسجد لا يُصَلِّي إلا فيه، لما ورد عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع وأن يُوطن الرجل المكان في المسجد كما يُوطن البعير^(١). رواه أبو داود، والنسائي والدارمي. فإن لغيره الجلوس فيه، لحديث: «مَنْ سَبَقَ إِلَى مَبَاحٍ فَهُوَ لَهُ»^(٢).

قال في الاختيارات الفقهية: وإذا فرش مُصَلِّي ولم يجلس عليه ليس له ذلك، ولغيره رفعه في أظهر قولَي العلماء^(٣).

قلت: ومثله وضعُ خرقةٍ أو عصا أو نعل أو تقديم خادمٍ أو ولدٍ، ثم إذا حضر قام عنه وجلس فيه، فهذا لا يجوز، والله أعلم.

وقال في إغاثة اللهفان: ولم يُصَلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سجادة قط، ولا كانت السجادة تُفرش بين يديه، بل كان يُصَلِّي على الأرض، وربما سجدَ على الطين، وكان يُصَلِّي على الحصير فيصَلِّي على ما اتفق بسطه، فإن لم يكن ثمة شيءٌ صَلَّى على الأرض^(٤).



(١) أخرجه أبو داود في سننه (٨٦٢)، والنسائي في سننه (١١١٢)، وابن ماجه في سننه (١٤٢٩)، والدارمي في مسنده (١٣٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٠٧١)، بلفظ: مَنْ سَبَقَ إِلَى مَاءٍ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ مُسَلِّمٌ فَهُوَ لَهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٨٠) (٨١٤)، بلفظ: مَنْ سَبَقَ إِلَى مَاءٍ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ ... الحديث.

(٣) الاختيارات الفقهية (ص ٤٤٠).

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٨).

قال الناظم لاختيارات شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وَوَضِعُ الْمُصَلِّي فِي الْمَسَاجِدِ بِدْعَةً وَلَيْسَ مِنَ الْهَدْيِ الْقَوْمِ الْمُسَدِّ
 وَتَقْدِيمُهُ فِي الصَّفِّ حَجْرٌ لِرَوْضَةٍ وَعَظْبٌ لَهَا عَن دَاخِلِ مُتَعَبِّدِ
 وَيُنْسِبُهُ وَضِعُ الْعَصَاةِ وَحُكْمُهَا كَحُكْمِ الْمُصَلِّي فِي ابْتِدَاعِ التَّعَبُّدِ
 بَلَى مُسْتَحَبٌّ أَنْ يُمَاطَا وَيُرْفَعَا عَنِ الدَّاخِلِينَ الرَّاكِعِينَ بِمَسْجِدِ
 لَئِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِنَصِّ مُقَرَّرٍ وَلَا فِعْلٍ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
 فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهَدْيِ وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ فَبَعْدِ

اللهم ألحقنا بعبادك الصالحين الأبرار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
 حسنة، وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم
 والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين.



(فصل)

في الأيام التي يُسنُّ أو يُكره صيامُها

ويبحث في:

- (١) ما ورد من الثواب العظيم في صوم بعض الأيام.
- (٢) بيان الأيام التي يُكره أو يحرم صيامها، والنهي عن التشبُّه بالغير.

١- ما ورد من الثواب العظيم في صوم بعض الأيام:

◆ يُسنُّ صيامُ أيامِ البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَصِمِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ»^(١) رواه الترمذي.

وعن قتادة بن ملحان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيامِ أيامِ البيض؛ ثلاثَ عشرةَ وأربعَ عشرةَ وخمسةَ عشرةَ^(٢). رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاثِ: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتي الضحى، وأن أوترَ قبل أن أنام^(٣). متفق عليه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ لن أدعهن

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧٦١)، والنسائي في سننه (٢٤٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٤٩)، والنسائي في سننه (٢٤٣٢)، وابن ماجه في سننه (١٧٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١).

ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر. (١) رواه مسلم.

◆ وَيُسَنُّ صِيَامُ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَسُنَّةٌ مِنْ شَوَالٍ، لَمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، فَقَالَ: «فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أَنْزَلَ عَلَيَّ» (٢) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» (٣) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن، ورواه مسلم بغير صوم.

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (٤) رواه مسلم.

◆ وَاسْتَحَبَّ صِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَالٍ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَطَاوَسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُهَا مُتَّابِعَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ ثَانِي الْفِطْرِ، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ: «مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَّابِعَةً فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ» (٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

وإنما كان صيامُ رمضانَ وإتباعه بستٍّ من شوالٍ يعدلُ صيامَ الدهرِ؛ لأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها.

(١) أخرجه مسلم (٧٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢/١٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٥)، والترمذي في سننه (٧٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٠٧).

وقد جاء ذلك مفسراً من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام من شوال بشهرين، فذلك صيام سنة»^(١) يعني صيام رمضان وستة أيام بعده. أخرجه الإمام أحمد والنسائي وهذا لفظه، وخرجه ابن حبان في صحيحه، وصححه أبو حاتم الرازي.

◆ ويُسَنُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ حَاجِّ بَهَا، وَشَهْرِ الْمُحَرَّمِ، وَآكُذُ الْعَاشِرِ ثَمَّ التَّاسِعُ، لَمَا وَرَدَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٢). رواه مسلم.

وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف من يصوم الدهر كله؟ قال: «لا صام ولا أفطر» وقال: «لم يصم ولم يفطر» قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يوماً؟ قال: «ويطبق ذلك أحد» قال: كيف من يصوم يوماً ويفطر يوماً؟ قال: «ذلك صوم داود»، قال: كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين؟ قال: «وددت أني طوقت ذلك»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»^(٣). رواه مسلم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٤١٢)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧٣)، وابن ماجه في سننه (١٧١٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٦٣٥)، وكلام أبي حاتم الرازي على هذا الحديث في العلل لابنه (٩١ / ٣)، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يومَ عاشوراءَ، وأمرَ بصيامِهِ. ^(١) متفق عليه.

وفي رواية: «لئن بقيت إلى قابل، لأصومن التاسع» ^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة» ^(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه.

◆ ويُسنُّ صيامُ تسعِ ذي الحِجَّةِ، لما ورد عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيامِ» يعني أيام العشر، قالوا: يا رسولَ الله، ولا الجهادُ في سبيلِ الله، قال: «ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجعْ من ذلك بشيءٍ» ^(٤) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله أن يُتعبَدَ له فيها من أيامِ العشرِ، وإن صيامَ يومٍ فيها ليعدُلُ صيامَ سنةٍ، وليلةٌ فيها بليَّةُ القدرِ» ^(٥) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث غريب.

اللهم إنا نسألك التوبةَ ودوامَها، ونعوذُ بك من المعصيةِ وأسبابِها، الله أفضُّ علينا من بحرِ كرمِكَ وعونِكَ حتى نخرجَ من الدنيا على السلامةِ من وبالِها، وأرأفُ بنا رافةَ الحبيبِ بحبيبِهِ عند الشدائدِ ونزولِها، وارحمننا من

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠/١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٤٠)، والنسائي في الكبرى (٢٨٤٣)، وابن ماجه في سننه (١٧٣٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٩٦٩).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٧٥٨)، وابن ماجه في سننه (١٧٢٨).

هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها، ومتّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنّات النعيم، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



٢- في بيان الأيام التي يُكره أو يُحرم صيامها، والنهي عن التشبه بالغير

◊ ويُكره إفرادُ رجبٍ بالصوم، والجمعة والسبت، أما رجبٌ؛ فلما روى أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن خرشة بن الحُر قال: رأيت عمر يضرب أكفَ المُترجِّبين حتى يضعوها في الطعام، ويقول: كُلوا، فإنما هو شهرٌ كانت تُعظَّمه الجاهلية^(١).

وبإسناده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه كان إذا رأى الناس وما يُعدُّونه لرجبٍ، كرهه وقال: «صُومُوا مِنْهُ وَأَفْطِرُوا»^(٢).

◊ وأما الجمعة؛ فلما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخْصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ»^(٣) رواه مسلم.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ»^(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

◊ وأما السبت؛ فلما روي عن عبد الله بن بسر عن أخته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءَ عِنَبَةٍ، أَوْ عَوْدَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضُغْهُ»^(٥) رواه الخمسة إلا النسائي.

◊ ويُكره تقدُّمُ رمضانَ بصومٍ يومٍ أو يومين، لما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٧٥٨) بنحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩٧٦١) بنحوه، دون قوله: صوموا منه وأفطروا، وذكرها الحلبي معلقةً في المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٣٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (١١٤٤/ ١٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٨٥)، ومسلم (١١٤٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٠٧٥)، وأبو داود في سننه (٢٤٤١)، والترمذي في سننه (٧٤٤)، والنسائي في الكبرى (٢٧٧٦)، وابن ماجه في سننه (١٧٢٦).

قال رسول الله ﷺ: « لا تقدّموا رمضانَ بصومِ يومٍ ولا يومين، إلا رجلٌ كان يصومُ صوماً فليصُمه»^(١) متفق عليه.

❖ ويكره صومُ الدهرِ، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « لا صامَ من صامَ الأبدَ»^(٢) متفق عليه.

ولمسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه بلفظ: « لا صامَ ولا أفطرَ»^(٣).

❖ ويكره صومُ النيروزِ والمهرجانِ وكلِّ عيدٍ للكفارِ، أو يومٍ يُفردونه بالتعظيم، لما فيه من موافقةِ الكفارِ في تعظيمها، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: مَنْ تأسى ببلادِ الأعاجمِ نيروزهم ومهرجاناتهم، وتشبّه بهم حتى يموت حُسرَ معهم^(٤).

قال الشيخ وغيره: ما لم يوافق عادةً أو يصمه عن نذرٍ ونحوه، قال: وكذلك يومُ الخميسِ الذي يكون في آخرِ صومهم، كيومِ (عيدِ المائدة)، ويومِ الأحدِ الذي يسمونه (عيدَ الفصحِ) و(عيدِ النورِ) و(العيدِ الكبيرِ) ونحو ذلك، ليس للمسلم أن يُشابههم في أصله ولا في وصفه^(٥).

وقال: لا يحلُّ للمسلمين أن يتشبهوا في شيءٍ ما يختصُّ بأعيادهم، لا من طعامٍ ولا من لباسٍ ولا اغتسالٍ ولا إيقادِ نيرانٍ ولا تبطيلِ عادةٍ من معيشةٍ أو عبادةٍ أو غير ذلك، ولا تُمكنِ الصبيانِ ونحوهم من اللّعبِ الذي في الأعيادِ، ولا إظهارِ زينةٍ، وبالجملة ليس لهم أن يخصّوا أعيادهم بشيءٍ من شعائرهم،

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩/١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٨٨٦٣، ١٨٨٦٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٢٢)، اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٥٣٩).

بل يكون يومٌ عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام، لا يخصُّه المسلمون بشيءٍ من خصائصهم، وأما إذا أصابه المسلمون قصداً فقد كره ذلك طوائفٌ من السلفِ والخلفِ، وأما تخصُّيُّه بما تقدَّم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء، بل قد ذهب طائفةٌ من العلماء إلى كفرٍ من يفعل هذه الأمور؛ لما فيها من تعظيم شعائر الكفر، وقد اشترط عمرٌ والصحابَةُ رضي الله عنهم وسائرُ أئمةِ المسلمين أن لا يُظهروا أعيادهم في ديارِ المسلمين، فكيف إذا أظهرها المسلمون؟! حتى قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: لا تتعلموا رطانةَ الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يومَ عيدهم؛ فإن السَّخَطَ ينزلُ عليهم، وإذا كان كذلك، فكيف بمن يفعل ما يُسَخِطُ اللهَ به عليهم مما هو من شعائرهم؟ وقال عمر: ما تعلم رجلٌ الفارسيةَ إلا خَبَّ، ولا خَبَّ إلا نَقَصَتْ مروءتُهُ، وقد قال غيرُ واحدٍ من السلفِ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] قال: أعيادُ الكفار، فإذا كان هذا في شهودها من غيرِ فعل، فكيف بالأفعال التي هي من خصائصها؟!، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسند والسنن أنه قال: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»، وفي لفظ: «ليس منّا من تشبَّه بغيرنا» وهو حديث جيد، فإذا كان هذا في التشبه - وإن كان من العادات -، فكيف التشبُّه بهم فيما هو أبلغ من ذلك؟^(١).

وقال في "اقتضاء الصراطِ المستقيم": وقد روى السُّلَفي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يُحسِنُ أن يتكلَّم بالعربية فلا يتكلَّم بالعجمية؛ فإنه يورثُ النفاق»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٩ / ٢٥) بتصرف، وانظر: اقتضاء الصراطِ المستقيم (١ / ٥٢٢)، تنبيه الرجل العاقل (١ / ٢٧٠).

(٢) اقتضاء الصراطِ المستقيم (١ / ٥٢٣، ٥٢٤) بتصرف.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: اعتيادُ اللغةِ يؤثِّرُ في العقلِ والخُلُقِ والدينِ تأثيرًا قويًّا بينًا بحسبِ تلكِ اللغةِ^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ على حديث: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم» أي بالاندماج، وتلاشت شخصيَّته فيهم، فما يكون ذلك إلا عن تعظيم وإكبارٍ لهم، فهو لذلك يُلغِي شخصيَّته ويتلاشى في شخصيَّة الآخرين، فمن تشبَّه بالرسول ﷺ وأصحابه بإلغائه شخصيَّة الجاهليَّة السفيهة، واندماج في معنويَّة الرسول ﷺ وأصحابه علمًا وعملاً واعتقادًا وأدبًا، فهو بلا شك منهم. ومن تشبه بالإفرنج في لباسهم وأخلاقهم ونظمهم ومعاملتهم فهو بلا شك إفرنجي غير مسلم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فلهذا التشبه ونتائجه الدينيَّة والدينيَّة نرى المعظمين للنصارى والوثنيين الحريصين على التشبه بهم والاندماج فيهم يُعاونونهم على الضرر بدينهم وبلادهم وأممهم عن قصد وعن غير قصد^(٢) أهـ.

◆ ويكره وصالٌ إلا من النبي ﷺ، لما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الوصالِ، فقال رجل من المسلمين: فإنك تواصل يا رسول الله، فقال: «وأياكم مثلي، إني أبيت يُطعمني ربي ويسقيني» فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يومًا ثم يومًا، ثم رأوا الهلالَ، فقال: «لو تأخر الهلالُ لزدتكم» كالمُنكَلِّ لهم حين أبوا أن ينتهوا^(٣). متفق عليه.

◆ ولا يجوز صومُ العيدين عن فرضٍ أو تطوعٍ، وإن قصد صيامها كان عاصيًّا، ولا يُجزئ عن الفرض.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٧).

(٢) انظر أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

❖ ولا يجوز صيام أيام التشريق إلا عن دم مُتعةٍ وقرانٍ، لما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه نهى عن صوم يومين: يوم الفطر، ويوم النحر»^(١) متفق عليه.

وروى أبو عبيد مولى أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «هذان يومان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيامهما: يوم فطرٍكم من صيامكم، واليوم الآخرُ تأكلون فيه من نُسككم»^(٢) متفق عليه.

❖ وأما أيام التشريق، فلما روي عن نبيشة الهذلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيام التشريق أيام أكلٍ وشربٍ»^(٣) رواه مسلم. وعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى عن صوم خمسة أيام في السنة: يوم الفطر، ويوم النحر، وثلاثة أيام التشريق»^(٤) رواه الدارقطني.

اللهم اسلك بنا مسلك الصادقين الأبرار، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار، وأتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار. اللهم أحبي قلوباً أماتها البعد عن بابك، ولا تُعذبنا بأليم عقابك يا أكرم من سمح بالنوال وجاد بالإفضال، اللهم أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (١٩٩١)، ومسلم (١١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٩٠)، ومسلم (١١٣٧).

(٣) أخرجه ومسلم (١١٤١).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٩١٣)، والدارقطني في سننه (٢٤٠٩).

(فصل)

في الحث على تقوى الله ﷻ

عباد الله، عليكم بتقوى الله فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، فما من خيرٍ عاجل ولا أجلٍ ظاهرٍ ولا باطنٍ إلا وتقوى الله سبيلٌ موصلٌ إليه، ووسيلةٌ مبلّغةٌ له، وما من شرٍّ عاجلٍ ولا أجلٍ ظاهرٍ ولا باطنٍ إلا وتقوى الله ﷻ حرزٌ متينٌ وحصنٌ حصينٌ للسلامة منه والنجاة من ضرره.

وكم علّق الله العظيم في كتابه العزيز على التقوى من خيراتٍ عظيمةٍ وسعاداتٍ جسيمةٍ، من ذلك: المعية الخاصة المُقتضية للحفظ والعناية والنصر والتأييد، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ومن ذلك: المحبة لمن اتقى الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ومن ذلك: التوفيق للعلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ومن ذلك: نفي الخوف والحزن عن المتقي المصلح، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، ومن ذلك: الفرقان عند الاشتباه ووقوع الإشكالي والكفارة للسيئات، والمغفرة للذنوب، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

ومن ذلك: النجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿[مريم: ٧١-٧٢] وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، ومن ذلك: المخرج من الشدائد، والرزق من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢،٣]، ومن ذلك: اليسر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ومن ذلك: عظم الأجر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، ومن ذلك: الوعد من الله بالجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] الآيات إلى قوله: ﴿مَنْ كَانَ نَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۖ﴾ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدِينَ ﴿[القمر: ٥٤-٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ومن ذلك: الكرامة عند الله بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

إذا فهمت ذلك فاعلم أن التقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فالمتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم، ولا يُقَدِّمون على ما نهاهم عنه.

المتقون هم الذين يعترفون بالحق قبل أن يُشْهَدَ عليهم ويعرفونه ويؤدُّونه، وينكرون الباطل ويجتنبونه، ويخافون الربَّ الجليل الذي لا تخفى عليه خافية، المتقون يعملون بكتاب الله، فيحرمون ما حرَّمه ويحلون ما أحلَّه، ولا يخونون في أمانة، ولا يرضون بالذلِّ والإهانة ولا يعقون ولا يقطعون،

ولا يؤذون جيرانهم، ولا يضربون إخوانهم، يَصِلُونَ من قَطَعَهُم، ويعطون من حَرَمَهُمْ، وَيَعْفُونَ عمن ظلمهم، الخَيْرُ عندهم مَأْمُولٌ، والشرُّ من جانبهم مَأْمُونٌ، لا يَغْتَابُونَ ولا يُكذِّبُونَ ولا يُنَافِقُونَ.

ولا يَنْمُون ولا يحسُدُونَ ولا يُرَاوُونَ ولا يُرَابُونَ ولا يقذفون ولا يأمرُونَ بمنكرٍ ولا ينهون عن معروفٍ، بل يأمرُونَ بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ، تلك صفاتُ المتقين حقًا، الذين يخشون ربَّهم بالغيبِ، وهم من الساعةِ مشفقون. إخواني، لو تحلَّى كلُّ منا بالتقوى لحسنِ عمله، وخلصتْ نيته، واستقام على الهدى، وابتعدَ عن المعاصي والرَّذى، وكان يومَ القيامةِ من النَّاجين.



وصف المؤمن المتقي

للإمام علي رضي الله عنه

المتقون هم أهل الفضائل، منقطعهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيتهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عينٍ شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب.

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها مُنعمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها مُعذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحةً طويلةً وتجارةً مريحةً يسرها لهم ربهم.

أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم، تألون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يُحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواءً دائهم.

فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامحاً قلوبهم، وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم ورؤسهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلماً علماء أبرار أنقياء.

قد براهم الخوف بري القَدَاح، ينظر إليهم الناظرُ فيحسبهم مَرَضِي، وما بالقوم من مرضٍ، ويقول: قد خُولِطُوا ولقد خَالَطَهُمْ أمرٌ عظيمٌ؟ لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثيرَ فهم لأنفسهم متَّهَمُونَ، ومن أعماله مشفقون، إذا زُكِّي أحدهم خافَ مما يُقال، فيقول: أنا أعلمُ بنفسِي من غيري، وربِّي أعلمُ بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضلَ مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون.

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعلماً في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة، وتحملاً في فاقة، وصبرًا في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرجًا عن طمع.

يعمل الأعمال الصالحة وهو على وَجَل، يُمسي وهمُّه الشكر، ويُصبح وهمُّه الذكر، يبيت حَذِرًا، ويُصبح فَرِحًا، حَذِرًا من الغفلة، وفَرِحًا بما أصاب من الفضل والرحمة، إن استُصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يُعطيها سؤلها فيما تحبُّ.

قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلمَ بالعلم، والقولَ بالعمل، تراه قريبًا أملُه، قليلًا زَلُّه، خاشعًا قلبه، قانعةً نفسه، منزورًا أكله، سهلاً أمره، حريزًا دينه، ميتةً شهوته، مكظومًا غيظَه، الخيرُ منه مأمولٌ، والشرُّ منه مأمونٌ.

إن كان من الغافلين كُتِبَ في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يُكتب من الغافلين، يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعَه، بعيدًا فحشُه، لينًا قوله، غائبًا منكره، حاضرًا معروفه، مقبلًا خيرُه، مدبرًا شره، في الزلازل وقورٌ، وفي المكاره صبورٌ، وفي الرخاء شكورٌ.

لا يحيفُ على مَنْ يبغضُ، ولا يَأْثُمُ فيمن يُحِبُّ، يعترف بالحقِّ قبل أن يشهدَ عليه، لا يضيِّعُ ما استُحْفِظَ، ولا ينسى ما ذُكِّرَ، ولا يُنازِرُ بالألقابِ، ولا يُضارُّ بالجارِ، ولا يشمتُ بالمصابِ، ولا يدخلُ في الباطلِ، ولا يخرج من الحقِّ.

إِنْ صَمَتَ لم يغمَّه صمته، وإن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغِيَ عليه صبر، حتى يكونَ اللهُ هو الذي ينتقمُ له، نفسه منه في عناءٍ، والناسُ منه في راحةٍ، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناسَ من نفسه.

بعده عمَّن تباعد عنه زهدٌ ونزاهةٌ، ودنوُّه ممَّن دنا منه لينٌ ورحمةٌ، ليس تباعده بكبْرٍ وعظمةٍ، ولا دنوُّه بمكْرٍ وخديعةٍ.

قال: فصعق همامٌ صعقةً كانت نفسه فيها. فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنتُ أخافُها عليه، ثم قال: هكذا تصنع المواعظُ البالغةُ بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أميرَ المؤمنين!، فقال: ويحك، إن لكلِّ أجلٍ وقتًا لا يعدُّوه، وسببًا لا يتجاوزُه ^(١). أهـ.



عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَتَرَكُونَهَا	فَإِنَّ التَّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ
لِيَأْسِ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا	وَأَبْهَى لِيَأْسًا فِي الْوُجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا	بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَعْْمَلُ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التَّقَى	وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمَهَّلُ
وَأَكْثِرْ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمَدَ غِبَّهَا	بِدَارِ الْجَزَا دَارِ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة (٢٩١٣) مختصراً، وذكرها بتمامها: ابن حمدون في تذكرته (١/ ٩٣): (٩٥)، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (١٠/ ١٣٣).

وَعَدَا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ
 فَدَارُ بَنِي الدُّنْيَا مَكَانُ التَّرْحُلِ
 كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْقُلِ
 فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
 وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
 لِرِزْقِ الْبَرَايَا ضَامِنٌ مُتَكَمِّلُ
 عَمَارًا وَإِيثَارًا إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ
 لِأَخْرَاهِ بِالدُّنْيَا أَضْلٌ وَأَجْهَلُ
 بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ
 فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِمًا سَوْفَ يُنْقَلُ
 لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلُ
 إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسَلُ
 وَلَا هَوْلَ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ
 وَمِيزَانٌ قَسِطٌ طَائِشٌ أَوْ مُثْقَلُ
 وَمِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تُزَلْزَلُ
 يُعْلَلُ بِهَا الْفُجَّارُ ثُمَّ يُسَلَّسَلُ
 وَرَقُومُهَا مَطْعُومُهُمْ حِينَ يُوَكَّلُ
 مِنَ الْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ وَيَسْعَلُ
 إِلَى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَامًا وَيَنْزَلُ

وَقَدِّمَ لِمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
 وَأَحْسِنُ وَلَا تُهْمَلُ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
 وَأَدِّ فُرُوضِ الدِّينِ وَاتَّقِنُ أَدَاءَهَا
 وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمَلْنَهَا
 وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ عَامِلُ
 وَلَا تُلْهِكِ الدُّنْيَا فَرْتُكَ ضَامِنُ
 وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَأُخْرَاكَ زِدْ لَهَا
 فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِعُ
 وَلَدَاتُهَا وَالْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْغِنَى
 فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
 وَيَنْزِلُ دَارًا لَا أَنْيَسَ لَهُ بِهَا
 وَيَبْقَى رَهِينًا بِالتُّرَابِ بِمَا جَنَى
 يَهَالُ بِأَهْوَالٍ يَشِيْبُ بِبَعْضِهَا
 وَفِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفِ
 وَحَشْرُ يَشِيْبُ الطِّفْلُ مِنْهُ لِهَوْلِهِ
 وَنَارٌ تَلْطِئُ فِي لَطَائِهَا سَلْسَلُ
 شَرَابٌ ذَوِي الْإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
 حَمِيمٌ وَعَسَّاقٌ وَأَخْرُ مِثْلُهُ
 يَزِيدُ هَوَانًا مِنْ هَوَاهَا وَلَا يَزَلُ

يَصْنَعُ بُبُورًا وَيَنْحَهُ يَتَوَلَّوْا
 عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
 فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُخْرَدُلُ
 وَإِنْ يَعْتَذِرُ يَوْمًا فَلَا الْعُذْرُ يُقْبَلُ
 وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْضَلُ
 وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوَى بِهَا يَتَجَلَّجَلُ
 وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكَبَّلُ
 لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبْتَلُ
 وَقِرَّةٌ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلُ
 وَإِسْتَبْرَقُ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
 وَمِنْ سَلَسَبِيلٍ شُرْبُهُمْ يَتَسَلَّسَلُ
 عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
 إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بِآخَرَ بَدَّلُوا
 وَسُكَّانُهَا مَهْمًا تَمَنُّوهُ يَخْضَلُ
 تَنَاوَلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
 وَخَمْرٌ وَمَاءٌ سَلَسَبِيلٌ مُعَسَّلُ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَادْخُلُوا
 يُحِبُّ إِلَى جَنَاتِ عَدْنٍ تَوَصَّلُوا

وَفِي نَارِهِ يُبْقَى دَوَامًا مُعَذَّبًا
 عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَدْحَضٌ وَمَزَلَّةٌ
 وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ تَعَلَّقُ بِالْوَرَى
 فَلَا مُذْنِبٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
 فَهَذَا جَزَاءُ الْمُجْرِمِينَ عَلَى الرَّدَى
 أَعْوُدُ بِرَبِّي مِنْ لَطْفِي وَعَذَابِيهَا
 وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمْهِرٍ مُعَذَّبُ
 وَجَنَاتٍ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُرْلِفَتْ
 بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتُسْتَهِي
 مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسُ
 وَمَأْكُولُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ
 وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ
 فَوَاكِهُهَا تَذْنُوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
 وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَعْسَلُ
 بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
 يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
 بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي

فَحَقُّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ بِالذَّمْعِ تَهْمَلُ
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَلَا يَسْأَمُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّمُ
وَيَوْمٌ طَوِيلٌ أَلْفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَطَيْعٍ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُعْضَلُ
كَثِيرًا مَهِينًا أَهْيَلًا يَتَهَلَّهُلُ
وَلَا غَيْرَهَا مِنْ أَيِّ دِينٍ فَيُطَلُّ
وَمَاذَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَادًا حَسَابٌ مُثَقَّلُ
وَأَسْأَلُكَ التَّيْبَتَ أُخْرَى وَأَوَّلُ
رَضِيَتْ بِهِ دِينًا وَإِيَّاهُ تَقْبَلُ
وَمَنْ بِخَيْرَاتٍ بِهَا أَتَعَجَّلُ
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى وَلَا الْحَمْدُ يَكْمَلُ
وَأَرْجَحُ مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَثْقَلُ
وَأُنْهِي بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأَبْتَدِي
تَعْمُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَتَشْمَلُ
عَلَى الْمُصْطَفَى أَرْكَى الْبَرِيَّةِ تَنْزِلُ

إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَا
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ التَّقَى
وَإِنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ
فِيَالِكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحَدَّهَا
بِهِ يَسْأَلُونَ النَّاسَ مَاذَا عَبَدْتُمُوا
حَسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضٌ مُخَفَّفُ
أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
إِلَهِي فَتَبْتِنِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي
وَهَبَ لِي مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مُشِيدًا
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ
يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأَرْكَى تَحِيَّةً
وَأَرْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامِهِ

اللهم وفقنا لما وفقَّت إليه القوم، وأيقظنا من سِنَةِ الغفلة والنوم، وارزقنا الاستعدادَ لذلك اليومِ الذي يربح فيه المتقون، اللهم وعاملنا بإحسانك، وجُدْ علينا بفضلك وامتنانك، واجعلنا من عبادك الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللهم ارحم ذُلَّنَا بين يديك، واجعل رغبَتنا فيما لديك، ولا تحرمنا بذنوبنا، ولا تطرُدنا بعيوبنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.



(موعظة)

عبادَ الله، إن بين أيديكم يوماً لا شك فيه ولا مرء، يقع فيه الفراقُ، وتنفصم فيه العرى، فتدبروا أمركم، قبل أن تحضروا، وانظروا لأنفسكم نظراً من قد فهم ودري، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

يا له من يوم يشيب فيه الولدان، وتسير فيه الجبال، وتظهر فيه الخفايا، وتنطق فيه الأعضاء، شاهدة بالأعمال، فانتبه يا من قد وهى شبابه، وملاً بالأوزار كتابه.

عبادَ الله، أما بلغكم أن النار للكفار والعصاة أعدت، إنها لتحرق كل ما يلقي فيها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا الْقُؤُوبُ سِعُوهَا لَهَا شَيْقَاقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٨﴾﴾ [الملك: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرًا﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣].

عبادَ الله، أما بلغكم أن طعام أهلها الزقوم، وشرابهم الحميم، قال عليه الصلاة والسلام: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض، لأمرت على أهل الأرض معيشتهم، فكيف من هو طعامه، ليس له طعام له غيره»^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

أخرج الطبراني وابن أبي حاتم من طريق منصور بن عمار: حدثنا بشير بن طلحة، عن خالد بن الدريك، عن يعلى بن منية، رفع الحديث إلى النبي ﷺ

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٤)، وابن ماجه في سننه (٤٣٢٥).

قال: «يُنشئ الله سحابةً لأهل النارِ سوداءَ مُظلمةً، فيُقال: يا أهلَ النارِ، أيُّ شيءٍ تطلبون؟، فيذكرون بها سحابةَ الدنيا، فيقولون: يا ربَّنَا الشرابَ، فتُمْطِرُ أغللاً تزيد في أغلالهم، وسلاسلَ تزيد في سلاسلهم، وجمراً يلتهبُ عليهم»^(١).

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غيرَ خزايا ولا مفتونين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٧/١٥٨)، والطبراني في الأوسط (٤١٠٣).

كتاب الزكاة

ويبحث في:

- ١) الأموال التي تجب فيها الزكاة.
- ٢) نصاب الزكاة.
- ٣) مصارف الزكاة.
- ٤) تعريف أهل الزكاة وبيان مقدار ما يُعطاه كل صنف.
- ٥) فيما ورد من الوعيد الشديد على ترك الزكاة.

١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة:

اعلم - رحمك الله - أن الله ﷻ أوجب على المؤمنين أصحاب الأموال الزكوية زكاة لمن ذكرهم الله في كتابه، وقسمها بينهم ورتب الثواب على أدائها، والعقاب على منعها، وقرنها بالصلاة في مواضع كثيرة من كتابه تعظيمًا لشأنها، وتنبهًا بذكرها، وحثًا على أدائها لتطهير النفس من درن الشح والبخل، ودفع النفس إلى الجود والتصدق والإنفاق في مرضي الله تعالى؛ لتحصيل النماء والزيادة والبركة والفلاح والطهارة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

فالزكاة تُطهِّرُ المزكي من أنجاس الذنوب، وتنقيه من أوساخها، وتزكِّي أخلاقه بالتحلي بالجود والسخاء، وتمرُّنه على السخاء، الذي يحبه كلُّ برٍّ

وفاجرٍ، وتُبَعْدُهُ عَنِ الشَّحِّ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، وَتُطَهَّرُ الْقَلْبَ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَدْلِ الْيَسِيرِ. فَالْيَسِيرُ هُوَ الْوَاجِبُ، وَهُوَ بِذَلِكَ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمُ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْتَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَفْنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧، ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًا﴾ [الفجر: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

فَالشَّارِعُ الْحَكِيمُ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ أَوْجَبَ شَيْئًا يَسِيرًا بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ، إِذَا اعْتَادَ الْإِنْسَانُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ طَبَعًا؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ اسْتِفَادَ حُبَّ خَالِقِهِ الَّذِي رَزَقَهُ إِيَّاهُ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَخْلَفَ عَلَيْهِ مَا أَنْفَقَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفَقْ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفَقْ عَلَيْكَ»^(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الزَّكَاةَ هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ الْعِظَامِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ» ذَكَرَ مِنْهَا إِيْتَاءَ الزَّكَاةِ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وتجب الزكاة في خمسة أشياء:

- (١) بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.
- (٢) الخارج من الأرض وما في معناه، كالعسل الخارج من النحل.
- (٣) عروض التجارة.
- (٤) الأثمان.
- (٥) الثمار.

ولا زكاة في شيءٍ من ذلك حتى يبلغ نصابًا، ولا زكاة في مالٍ حتى يحول عليه الحول، إلا في الخارج من الأرض، لقوله تعالى: ﴿وَأَثْوَأَ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وإلا نتاج السائمة، وربح التجارة؛ فإن حولهما حول أصلهما إن كان نصابًا، وإلا فابتداءً الحول من حين كمل نصابًا.

ومن كان عنده مالٌ وعليه دينٌ، فإن كان بمقدار ما عنده فلا زكاة فيه، فإن كان عنده عشرة آلاف، وعليه دينٌ عشرة آلاف، فأصبح ما يملك شيئًا، وإن كان عنده عشرون ألفًا وعليه عشرة زكّى عشرة، وإن كان عليه عشرون وعنده عشرة فليس عليه شيءٌ، وله الأخذ من الزكاة؛ لأنه من الفقراء، ولأنه غارمٌ.

ويضمُّ المستفاد إلى نصاب بيده من جنسه، أو في حكمه في وجوب الزكاة لا في الحول، فيزكّي كل واحد إذا تمَّ حوله.

وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب بحسابه، إلا في السائمة فلا زكاة في وقصها، لما روى أبو عبيد في غريبه: (وليس في الأوقاص صدقة)^(١)، وقال: (الوقص ما بين الفريضتين).

(١) أخرجه أبو عبيد في غريبه (٤/ ١٤٢) بنحوه، وهذا المعنى أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠١٠).

أما عُرُوضُ التجارة، فهو كلُّ ما أُعِدَّ للبيعِ والشراءِ لأجلِ الربحِ والتَّكسُّبِ مِنْ جميعِ السلعِ التجارية: كالمجوهراتِ والأطعمةِ والأقمشةِ والسياراتِ والمكائِنِ، والثابتاتِ كالعقاراتِ من أراضٍ وبيوتٍ ونحوها، إذا تملَّكها بفعله بنيةِ التجارة، وبلغت قيمتها نصابًا، لما ورد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا أن نُخرجِ الصدقةَ مما نُعدُّه للبيعِ ^(١). رواه أبو داود.

فتقوم العُرُوضُ إذا حال عليها الحَوْلُ، وأوله من حين بلوغِ القيمةِ نصابًا بالأحْضِ للفقراءِ من ذهبٍ أو فضةٍ، ولا يُعتبرُ ما اشترت به، ويُخرجُ ربعُ عُشْرِ قيمتها، ومن استفادَ مالاَ خارجًا عن ربحِ التجارةِ كالأجرةِ والراتبِ ونحوهما، فإنه يبتدئُ حولًا من حين الاستفادةِ إن كان نصابًا، وإلا فمن كماله ويزكيه إذا تمَّ حوله.

وأما الأثمانُ، وهي النقودُ من ذهبٍ أو فضةٍ، أو ما يقومُ مقامها من فلوسٍ أو أوراقٍ نقديةٍ، وكذلك حُلِيِّ الذهبِ والفضةِ إذا بلغ نصابًا بنفسه، أو بما يُضمُّ إليه من جنسه أو في حكمه، ولم يكن مُعدًّا للاستعمالِ أو للإعارةِ، فإن أُعدَّ للاستعمالِ أو للإعارةِ فلا زكاةَ فيه.

وأقلُّ نصابِ الذهبِ عشرون مثقالًا، وفيها نصفُ مثقالٍ، وهو رُبْعُ العُشْرِ، لحديث عائشة و ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «أنه كان يأخذ من كل عشرين دينارًا فصاعدًا نصفَ دينارٍ» ^(٢) رواه ابن ماجه.



(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٢) بنحوه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٩١).

٢ - نصاب الزكاة:

والنصابُ من الذهبِ بالجُنيهِ السعوديِّ أحدَ عشرَ جنيهاً ونصفَ جنيهِ تقريباً، وكذلك بالجنيهِ الإفرنجيِّ أحدَ عشرَ جنيهاً ونصفَ جنيهِ تقريباً، وأقلُّ نصابِ الفضةِ مائتا درهم، وبالريالِ العربيِّ ستةٌ وخمسون ريالاً تقريباً، وبالريالِ الفرنسيِّ ثلاثةٌ وعشرون ريالاً تقريباً.

وأما الأوراقُ الموجودةُ، فإذا ملكَ منها ما يُقابلُ نصاباً من الفضةِ، وحالُ عليه الحَوْلُ فإنه يُخرِجُ منها رُبْعَ العَشْرِ.

ومَن كانَ عنده فضةٌ وأرادَ أن يُخرِجَ زكاتها من الأوراقِ الموجودةِ المتعاملِ فيها، نَظَرَ إلى قيمةِ الفضةِ من الأوراقِ، وأخرجَ رُبْعَ عَشْرِ المقابلِ لها، فمثلاً إذا كانَ عنده ألفُ ريالٍ من الفضةِ، يُساوي ثلاثةَ آلافٍ من الأوراقِ، أخرجَ عن الفضةِ خمسةً وسبعين ريالاً، هي مقابلُ زكاةِ الألفِ من الفضةِ، وهي خمسٌ وعشرون.

وإن كانَ عنده ذهبٌ، وأرادَ أن يُخرِجَ زكاته من الأوراقِ المتعاملِ فيها، نَظَرَ إلى قيمةِ الذهبِ من الأوراقِ، وأخرجَ رُبْعَ عَشْرِ المقابلِ لها، فمثلاً إذا كانَ عنده مائةُ جنيهِ، وكانَ الجنيهِ يساوي خمسين ريالاً، فتكونُ المائةُ في خمسةِ آلافِ ريالٍ، فزكاتها من الأوراقِ مائةٌ وخمسةٌ وعشرون ريالاً، هو مقابلُ زكاةِ مائةِ جنيهِ، وهو جنيهان ونصفُ جنيهِ من زكاةِ المائةِ، وهو جنيهان ونصف.

وتجبُ الزكاةُ في مالِ الصبيِّ والمجنونِ، لعمومِ حديثِ مُعاذٍ رضي الله عنه لما بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن^(١)، ويُخرجُ عنهما وليُّهما في مالِهما من مالِهما.

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

اللهم ألهمنا ذكرك، ووقفنا للقيام بحقك، وخلصنا من حقوق خلقك،
وبارك لنا في الحلال من رزقك، ولا تفضحنا بين خلقك، يا خير من دعاه داع،
وأفضل من رجاه راج، يا قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، هب لنا ما
سألناه، وحقق رجاءنا فيما تمنيناه، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ما في
صدور الصامتين، أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك، واغفر لنا ولو الديننا
ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين،
وصلّى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

وأما زكاة الخارج من الأرض فتجب في كل مكيلٍ مُدَّخِرٍ مِنَ الحَبِّ كالقمح والشعير والذرة، ومن الثمر كالتمر والزبيب، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثْرِيًّا: العُشْرُ، وفيما سُقِيَ بالنَّضْحِ نصفُ العُشْرِ»^(١) رواه البخاري.

وإنما تجب فيه بشرطين، الأول: أن يبلغ نصابًا، وقدره بعد تصفية الحَبِّ وجفافِ الثمر: خمسة أوسق، والوسقُ ستون صاعًا نبويًا، فتكون خمسة الأوسق (٣٠٠) ثلاثمائة صاع بالصاع النبوي، وبالصاع الحالي مائتين وثمانية وعشرين صاعًا، ووزن الصاع النبوي بالريال الفرنسي ثمانون ريالًا (٨٠)، ووزن الصاع الحالي بالريال الفرنسي مائة وأربعة (١٠٤)، فيكون زائدًا على الصاع النبوي بخمسٍ وخمسِ الخُمسِ تقريبًا.

والشرط الثاني: أن يكون مالكا للنصاب وقت وجوبها، فوقت الوجوب في الحَبِّ إذا اشتدَّ، وفي الثَّمَرِ إذا بدا صلاحها؛ لأنه حيثئذ يُقصدُ للأكل والاقتيات به فأشبهه اليابس. وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى يهودٍ فيخرصُ عليهم النخل حين يطيبُ قبل أن يُؤكلَ منه^(٢). رواه أبو داود.

ويجبُ فيما سُقِيَ بلا مؤنة العُشْرُ، وفيما سُقِيَ بكلفة نصفِ العُشْرِ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «فيما سقت السماء العُشْرُ، وفيما سُقِيَ بالنضحِ

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٠٦).

نصفُ العُشرِ»^(١). رواه البخاري، وأبو داود والنسائي وابن ماجه بلفظ: فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بَعْلًا: العشرُ، وفيما سُقي بالسَّواني والنضح نصفُ العشرِ.

ويجب إخراجُ زكاةِ الحَبِّ مُصَفًى مِنْ قَشْرِهِ، والثمرِ يابسًا، لما ورد عن عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يخرص العنبَ زبيبا، كما يخرصُ التمرَ^(٢). ولا يُسمَّى زبيبا ولا تمرًا حقيقةً إلا اليابسُ، وقيس الباقي عليهما، ولا يستقر وجوبها إلا بجعلها في الجرين أو في البيدر أو في المسطاح ونحوه.

فإن تلفتِ الحبوبُ والثمارُ التي تجب فيها الزكاة قبل الوضع بالجرين ونحوه بغير تعدد منه سقطت، خرصت أو لم تُخرص، وإن تلف البعض من الزرع والثمر قبل الاستقرار زكى الباقي إن كان نصابًا، وإلا فلا زكاة فيه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»^(٣).

ولا تتكررُ زكاةُ المُعشر إذا لم يقصد به التجارة، فإن كانت مُعدةً للتجارة، كالذي يشتري البر أو الأرز أو الزيت يتربص به أو يقطعه فهذه تعتبر عروضًا إذا كانت تبلغ نصابًا، كلما دار عليها الحول قومها بالأنفع للفقراء من عين أو ورق، ولا يُعتبر ما اشتريت به.

ويُستحبُّ للإمام بعثُ خارصٍ لثمرِ النخل والكرم إذا بدا صلاحها، وشرطُ كونه مسلمًا أمينًا خبيرًا، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان صلى الله عليه وسلم يبعثُ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى اليهود يخرص عليهم النخيل قبل أن يؤكل^(٤).

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣)، وأبو داود في سننه (١٥٩٦)، والترمذي في سننه (٦٤٠)، والنسائي في سننه (٢٤٨٨)، وابن ماجه في سننه (١٨١٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٠٣)، والترمذي في سننه (٦٤٤م).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٧)، ومسلم (٩٧٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٠٦).

وفي حديث عتّاب بن أُسيد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعثُ على الناسِ مَنْ يخرُصُ عليهم كرومهم وثمارهم ^(١). رواه الترمذي وابن ماجه، وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه خرَّصَ على امرأةٍ بوادي القرى حديقهً لها ^(٢). وحديثها في مسند أحمد.

ويجب أن يترك الخارصُ لربِّ المالِ الثلثَ أو الربعَ فيجتهد الساعي بحسبِ المصلحة، لحديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحرصتم فخذوا ودعوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع» ^(٣) رواه الخمسة.



(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٤٤)، وابن ماجه (١٨١٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٠٤)، و البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١١/١٣٩٢) (٤/١٧٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٩٣)، وأبو داود في سننه (١٦٠٥)، والترمذي في سننه (٦٤٣)، والنسائي في سننه (٢٤٩١).

(موعظة)

أيها الغافل راقب من يراك في كل حال، وطهر سرّك فهو عليم بما يخطرُ
 بالبال، إلى متى تميلُ مع الزخارف، وإلى كم ترغبُ لسماعِ الملاهي
 والمعازفِ والمحرماتِ، أما أن لك أن تُجالسَ صاحبَ الدينِ والصلاحِ،
 العاكفَ على عمله، يقطع ليله بالقيامِ حتى الصباحِ، ونهاره بالصيامِ لا يملُّ ولا
 يتوانى؛ رجاءَ الفوزِ بالأرباحِ، وأنت في غمرةِ هواك مفتونًا في الانهماكِ بدنياك،
 وكأنّي بك وقد هجمَ عليك ما بدد شملك، وأوهن قواك، وافترسك من بين
 أهلك وعشيرتك وأخلائك، وتخلّى عنك خليلك، وأصدقاؤك لا يستطيعون
 ردّ ما نزل بك، ولا تجدُ له كاشفًا، فانتبه ما دام جسمك صحيحًا، والعملُ منك
 في إمكان.

اللهم وفقنا لصالِحِ الأعمالِ ونجّنا من جميعِ الأهوالِ، وأمّننا من الفرعِ
 والرجفِ والزلالِ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، الأحياءِ منهم
 والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله
 وصحبه أجمعين.



٣- بيان مصارف الزكاة

ويُشترط لإخراجها نيةً من مُكلّف، لحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١)، فينوي الزكاة أو الصدقة الواجبة أو صدقة المال.

ويُسْنُ أَنْ يُفَرِّقَ زَكَاتَهُ عَلَى أَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا تَلْزُمُهُ مَوْتُهُمْ، لما ورد عن سلمان بن عامرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلّة»^(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي.

ويُستحبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُخْرَجُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا، ويحمد الله على توفيقه لأدائها، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها أن تقولوا: اللهم اجعلها مغنمًا، ولا تجعلها مغرمًا»^(٣) رواه ابن ماجه.

ويقول الآخذ وهو الفقير أو المسكين أو أحد الأصناف: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، وجعله لك طهورًا.

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي ادع لهم، كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته، فقال: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٢٢٧)، والترمذي في سننه (٦٥٨)، والنسائي في سننه (٢٥٨٢)، وابن ماجه في سننه (١٨٤٤)، والدارمي في مسنده (١٧٢٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

وللمزكّي دفعها إلى الإمام وإلى الساعي، ويبرأ بذلك، ولا يُجزئ دفعها إلى كافرٍ غير مؤلّفٍ، ولا حَظٌّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مُكتسِبٍ، لما ورد عن عبد الله بن عديٍّ رضي الله عنه، أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبيَّ صلى الله عليه وآله يسألانه من الصدقة، فقلّب فيهما البصرَ، ورأهما جليدين فقال لهما: «إن شئتما أعطيتكما ولا حَظٌّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مُكتسِبٍ»^(١).

فالواجبُ تأمُّلُ حالِ السائلِ والتفرُّسُ فيه، كما فعل النبيُّ صلى الله عليه وآله، فكم من إنسانٍ يدّعي الفقرَ، وهو غنيٌّ!

وكم من مُتَعَارِجٍ وما به عرَجٌ ولكن لأمرٍ ما تَعَارُجُهُ!

وكم من حَامِلٍ ورقةٍ يأكلُ بها لا يدري ما فيها! ولو بَرَقَتْ وَسَبَرَتْ بدقّةٍ لوجدت العجائب؛ لأن الوازعَ الدينيَّ قد ضَعُفَ جدًّا، واختلطَ الحابلُ بالنابلِ، فلا يُميِّزُ الفقيرُ والمستحقُّ للزكاةِ إلا إنسانٌ مُتَبَصِّرٌ بعد التأمُّلِ والبحثِ التامِّ، والحريصُ على إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ وإِصْصَالِ زَكَاتِهِ إلى المستحقِّ لها يعرفُ كيف يَجِدُ موضعها تمامًا ممَّن لا يسألون الناسَ إلحافًا المحتاجين المختلفين الحيين الأرامِلِ ذوي العوائلِ، وروى أن عمرَ رضي الله عنه سمع سائلًا يسأل بعد المغربِ، فقال لرجلٍ من قومه: عَشَّ السائلُ فعشّاه، ثم سمعه ثانيًا يسأل فقال: ألم أقل لك: عَشَّ السائلُ، قال: قد عَشَّيْتُهُ، فنظر عمرُ له، فإذا تحت يده مِخْلَاةٌ مملوءةٌ خبزًا، فقال: لست سائلًا، لكنك تاجرٌ، ثم أخذ المِخْلَاةَ ونثرها بين يدي إِبْلِ الصدقةِ وضربه بالدرّةِ، وقال: لا تَعُدُّ^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٣٣)، والنسائي في الكبرى (٢٣٩٠).

(٢) ذكره ابن حبان في الثقات (٤٣٧/٥)، وانظر: محض الصواب (٢/٧١١).

وقال ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي»^(١). رواه أحمد وأبو داود.

ولا يدفع بالزكاة مذمة، ولا يقي بها ماله، ولا يستخدم بها، ويلزم الإنسان الذي يريد إبراء ذمته صحيحًا أن يفتش على أهل العوائد، ويسأل عنهم بدقة من يعرف حالهم من جيران وأقارب، حتى يتأكد هل هم أغنياء فلا يدفعها إليهم؛ لأن دفعها لهم مع الغنى وجوده كعدمه، فلا تبرأ ذمته وتبقى الزكاة في ذمته، ولا يحمله الحياء فيعطي صاحب الغنى قبل أن يبحث عنه، هل هو على فقره.

لأن كثيرًا من الفقراء في وقتنا انفتح لهم أبواب الرزق من أولاد أو بنات أو عقار أو شؤون ولا يبالى بغضب من منعه عاداته مع استغناؤه، ويلتمس رضا الله ﷻ، وسواء كانوا أقرباء أو غير أقرباء.

ولا يجوز صرف الزكاة لغير الأصناف الثمانية المذكورين في الآية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

فلا يجوز صرفها في بناء المدارس أو المساجد، ولا وقف مصاحف، ولا كتب علم، ولا تكفين موتى، ولا توقيف مقابر ولا غيرها من جهات الخير؛ لأن الله تعالى تولى الحكم فيها بنفسه، فقد ورد عن زياد بن الحارث

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٣٠)، وأبو داود في سننه (١٦٣٤)، والترمذي في سننه (٦٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في مسنده (٨٩٠٨)، والنسائي في سننه (٢٥٩٧)، وابن ماجه في سننه (١٨٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٣١٨٣) من حديث رجل من بني هلال رضي الله عنه.

الصدائقي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته، فذكر حديثاً طويلاً، فأناه رجلٌ فقال: أعطني من الصدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يرخص بحكم نبي ولا غيره في الصدقات، حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك»^(١).

(١) فيأخذ الفقير، وهو من لا يجد شيئاً، أو يجد بعض الكفاية من الزكاة تمام كفايته مع عائلته سنة؛ لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول.

(٢) ويأخذ المسكين، وهو من يجد الكفاية أو نصفها تمام كفايته مع عائلته سنة؛ لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول.

(٣) ويُعطى من الزكاة العامل، وهو كجَابٍ وحافظٍ وكاتبٍ وقاسمٍ وجامع المواشي وعددها وكَيَالٌ ووزَانٌ وساعٍ وراعٍ وحمَّالٌ وجمَّالٌ قدر أجرته، وإن تلفت في يده بلا تفريطٍ منه فيعطى أجرته من بيت المال؛ لأن للإمام رزقه على عمله من بيت المال.

(٤) ويُعطى من الزكاة المؤلَّفُ، وهو السيّد المطاع في عشيرته ما يحصل به التأليف؛ لأنه المقصود.

(٥) ويُعطى من الزكاة الرّقابُ، وهم المكاتبون وفاء دين الكتابة، ويجوز أن يُفدي من الزكاة أسيراً مسلماً في أيدي الكفار.

(٦) ويُعطى الغارم من الزكاة، وهو من تدين لإصلاح ذات بين أو تحمّل بسبب إتلاف نفس أو مالٍ أو نهباً أو مالا لتسكين فتنة وقعت بين طائفتين، ويتوقّف صلحهما على من يتحمّل ذلك أو تدين لشراء نفسه من كفار، أو لنفسه في مباحٍ وأعسر وفاء دينه كمكاتب، ودين الله كدين الأدمي.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٣٠).

(٧) وَيُعْطَى الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَحْتَاجُ لِنُزُورِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا وَإِقَامَةً فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، وَنَحْوِ ثَمَنِ سِلَاحٍ وَدَرَعٍ وَفَرَسٍ لِفَارِسٍ.

(٨) وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ ابْنُ السَّبِيلِ، وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ بِغَيْرِ بَلَدِهِ مَا يُبَلِّغُهُ بَلَدَهُ أَوْ مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ سَفْرُهُ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا.



(موعظة)

عبادَ الله، إن وجودَ الموتِ بين الناسِ موعظةٌ كبرى لو كانوا يعقلون؛ فإنه بلسانِ الحالِ يقول لكلِّ واحدٍ منَّا: سأُنزل بك يومًا أو ليلةً كما ترى الناسَ بعينك يموتون، وقد يكون لأحدِهم من المالِ والجاهِ والقوةِ والجمالِ والعلمِ والفصاحةِ والمركزِ الدينيِّ ما يُدهش الناظرين له، وقد يكون قد طال عمره وطال أمله حتى ملَّ ومُلَّ منه، وبينما هو في حالٍ من النشاطِ قويٍّ مشدودٍ أسره، ذو همةٍ تضيق بها الدنيا، قد أقبلت عليه الدنيا من كلِّ جهةٍ، وزهت له، إذا تراه جثةً هامدةً أشبه بأعجازِ النخلِ الخاويةِ، لا حسَّ له ولا حركةً ولا أقوالَ ولا أفعالَ، قد ضيَّقَ على من حوله، وإذا لم يُسرعوا به إلى الدفنِ يكون جيفةً من الجيفِ تؤذي رائحتها الكريهةً كلَّ من قُربَ منها، هذا كلُّه يكون بعد ذلك النشاطِ والقوى؛ لأن هادمَ اللذاتِ نزل به.

وبعد نزوله لا تسأل كان له ما كان، وفي الحالِ تُصبحُ زوجته أرملةً، ويُصبح أولاده أيتامًا، وفي الحالِ تُقسَّم أمواله التي جمعها وقاسى على جمعها الشدائد؛ لأن الموتَ يزيل ملكه، وينقله إلى ملكٍ ورثته نقلًا تعجز عن نقضه الأيامُ، نعم.. إنه بالموتِ يزول ماله كلُّه، وهي أكبرُ مصيبةٍ ماليةٍ.

وأكبر منها أنه يُسأل عنه كلُّه داخلاً وخارجاً من حلالٍ أم من حرامٍ، وبعد مُدَّةٍ يسيرةٍ يُنسى هو، ويُنسى ماله، ويُنسى جاهه، ويُنسى مركزه ومكانته، ولو كان ملكًا أو وزيرًا، وما كأنه رآته العيونُ، ولا سمعت كلامه الأذانُ، كما قيل:

كَانَتْهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَلَا وُجِدُوا وَمَاتَ ذِكْرُهُمْوَا بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا

إن الناسَ يرون الموتَ كلَّ يومٍ بأعينهم في بيوتهم أو في المستشفيات، ويرون ما له من آثارٍ، ومع ذلك فإنَّهم بمُجردِ أن يموتَ بينهم ميتٌ يكون منهم مع موته هذا ما يُدهش الأفكارَ، فترى من أقاربه من يتسابقون إلى البحثِ عما

خَلَّفَ، وانتهابِ ما اتَّصَلَتْ إِلَيْهِ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِهِ، وربما شَبَّتْ بَيْنَ وَرَثَتِهِ الحروبُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي التَّرَكَةِ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَقَدْ تَشْتَدُّ بِهِمْ تِلْكَ العداوةُ تَعْمَلُ عَمَلَهَا مَا بَقِيَتْ تِلْكَ.

يفعلون هذا كله عقب مَنْ يموت، بدل أن يعتبروا ويتعظوا به فيزهدهم هذا التفكيرُ والاعتبارُ في ذلك المالِ الفانيِ الذاهبِ عن أيديهم عن قريب، كما ذهب عنه مَنْ وصل إليهم مِنْ طريقه، لقد سبق أقوامٌ كانوا يؤمنون بالموتِ حَقَّ الإيمانِ، فكانوا يُقدِّرون الدنيا حَقَّ التقديرِ، كانوا يعرفون أنها فانيةٌ، وأنها غرَّارةٌ خداعةٌ، وأنهم تاركوها يوماً رغمَ أنوفهم، لا رجوعَ بعده لقليلٍ منها ولا كثيرٍ، قرؤوا قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فاستعدوا وقرؤوا قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فكانوا إذا حصل لهم شيءٌ مِنَ الدنيا صرفوا ذلك لما ينفعهم في الدارِ الآخرةِ، وإذا سمعت أنهم كانوا يطلبون الدنيا فلما ذكّرنا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما نزلت آيةُ الصدقةِ كنا نُحَامِلُ عَلَى ظَهْرِنَا، فجاء رجلٌ فتصدَّقَ بشيءٍ كثيرٍ، فقالوا: مُرائي، وجاء رجلٌ فتصدَّقَ بصاعٍ فقالوا: إن الله لغنيٌّ عن صاعٍ هذا، فنزلت الآيةُ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]^(١).

ومن طريقٍ آخرٍ حثَّ الرسولُ صلى الله عليه وسلم على الصدقةِ -يعني في غزوةِ تبوك-، فجاء عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ بأربعةِ آلافٍ، فقال: يا رسولَ الله، مالي ثمانيةِ آلافٍ، جئتُك بنصفِها وأمسكتُ بنصفِها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك

(١) أخرجه البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ»، وجاء أبو عقيل بصاع من تمرٍ، فقال: يا رسول الله، أصبتُ صاعين من تمرٍ؛ صاعٌ أقرضتُهُ لرَبِّي وصاعٌ لعيالي، فلمَزَه المنافقون وقالوا: ما أعطى ابنُ عوفٍ إلا رياءً، وقالوا: ألم يكن الله ورسولُه غنيَّين عن صاعٍ هذا^(١).

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يجعلون ما نالوا من الدنيا وسيلةً إلى الآخرة.

شعراً:

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالَ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِيهِ إِتْفَاقَهُ بَيْنَ مُصْلِحٍ مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضْغِ بِهِ الذُّخْرَ زَادًا لِلَّتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَلِكَ الْفَتَى لَا جَامِعَ الْمَالِ ذَاخِرًا لَأَوْلَادٍ سُوءٍ حَيْثُ حَلُّوا وَأَوْضَعُوا

اللهم تقبل منا سير الأعمال، وهب لنا إساءتنا في الأقوال والأفعال،
وسامحنا عن الغفلة والإهمال، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين،
برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.



(١) أخرجه البزار في مسنده (١٥ / ٢٣٤) (٨٦٧٢).

٤- فيما ورد من الوعيد الشديد على ترك الزكاة:

إذا فهمت ما تقدم مما تجب فيه الزكاة، وبيان نصاب الزكاة ومصرفها، وما ينبغي أن يقول الدافع والمدفوع إليه، فاعلم أنها ما خالطت مالا إلا أفسدته ومَحَقَّتْ بركته، وأيُّ خيرٍ ونفعٍ في مالٍ مَمْحُوقِ البركةِ باقٍ شرُّه وفتنته وشُغْلُ البدنِ والقلبِ وإتعاُبُهُما؟

والمحقُّ: منه ما هو ظاهرٌ، وهو ذهابُ صورةِ المالِ ورجوعُ الإنسانِ بعد الاستغناء فقيرًا، وقد وقع ذلك لخلقٍ كثيرٍ من المتساهلين بأمرِ الزكاة.

ومن المحقِّ محقٌّ باطنٍ، وهو أن يكونَ المالُ في الصورةِ موجودًا وكثيرًا، ولكن لا يَنْتَفِعُ فيه صاحبه لا في دينه في وجوه البرِّ والمشاريعِ الخيريةِ وبذلِ المعروفِ، ولا يَنْتَفِعُ فيه في نفسه ومروءته بالستر والصيانة، ومع ذلك يتضررُّ به تضررًا كثيرًا بإمساكه عن حقِّه، ووضعِه في غيرِ جهته، إما بإنفاقه بالمعاصي والعبادُ بالله، وإما في الشهواتِ البهيميةِ التي لا نفعَ فيها ولا حاصل.

وقد ورد في منع الزكاة عن الله ورسوله تشديداتٌ هائلةٌ وتهديداتٌ عظيمةٌ، ويُخَشَى على مانعِ الزكاةِ من سوءِ الخاتمةِ، والتعرُّضِ لوعيدِ الله وغيظه، والخروجِ من الدنيا على غيرِ ملةِ الإسلامِ، ومما جاء من الوعيدِ في حقِّ مَنْ بَخِلَ بها أو قَصَرَ في إخراجها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائح من نار فأحميَ عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها - ومن حقها حلبها يوم وُرِدَها -، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قرقرٍ أوفر ما كانت، لا يَفْقُدُ منها فصيلاً واحداً، تطوُّه بأخفافها وتعضُّه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاه رُدَّ عليه أحرأها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قرقر، لا يَفْقُدُ منها شيئاً ليس فيها عَقْصَاءٌ ولا جَلْحَاءٌ ولا عُضْبَاءٌ، تَنْطَحُه بِقُرُونِها وتطوُّه بأظلافها، كلما مرَّ عليه أولاه رُدَّ عليه أحرأها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(١).

وفي رواية للنسائي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جُعِلَ يوم القيامة سُجَاعاً من نار، فيكوى بها جبهته وجبينه وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين الناس»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢) ببعضه، ومسلم (٩٨٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٧).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها، ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أوفر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر فتنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، ليس فيها جماء ولا منكسر قرن، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه، فإذا أتاه فر منه، فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني، فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده في فيه فيقضئها قضم الفحل»^(١).

والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (٩٨٨).

(فصل)

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أدّى الرجل زكاة ماله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أدّى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره»^(١).

وعن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: جلستُ إلى ملاٍّ من قريش، فجاء رجلٌ حشنُ الشعرِ والثيابِ والهيئة، حتى قامَ عليهم فسَلَّم، ثم قال: بَشِّرِ الكَازِرِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عليه في نارِ جهنم، ثم يُوضَعُ على حِلْمَةِ ثدي أحدهم حتى يخرجَ من نَعْصِ كَتِفِهِ، ويوضع على نَعْصِ كَتِفِهِ حتى يخرجَ من حِلْمَةِ ثديهِ فيتزلزلُ، ثم وُلِّيَ فجلس إلى سارية، وتبعتهُ وجلستُ إليه، وأنا لا أدري مَنْ هو، فقلت: لا أرى القومَ إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي، قلت: مَنْ خليلك؟ قال النبي ﷺ: أُتْبِصِرُ أحداً؟ قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسولَ الله ﷺ يُرسلني في حاجةٍ له، قلت: نعم، قال: ما أحبُّ أن لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً أنفقَهُ كلُّه إلا ثلاثةَ دنانيرٍ، وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون، لا والله لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دينٍ حتى ألقى الله ﷻ^(٢).

وفي رواية لمسلم، أنه قال: «بَشِّرِ الكَازِرِينَ بِكَيٍّْ في ظهورِهِم، فيخرج من جنوبِهِم، وبِكَيٍّْ من قِبَلِ أَقْفَائِهِم حتى يخرجَ من جباهِهِم»، ثم تنحَّى فقعد، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا أبو ذر، قال: فقمت إليه فقلت: ما شيءٌ سمعتك تقول قُبِيلُ؟ قال: ما قلتُ إلا شيئاً قد سمعته من نبيِّهم ﷺ، قلت: ما تقول في هذا العطاء، قال: حُذِّهِ فَإِنَّ فيه اليومَ معونةً، فإذا كان ثمنًا لديك فدعه^(٣).

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٢٥٨)، والطبراني في الأوسط (١٥٧٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٧، ١٤٠٨)، ومسلم (٩٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣٥/٩٩٢).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعته منه، وكنت أكثرهم لزوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تلف مالٌ في برٍّ ولا بحرٍ إلا بحسبِ الزكاة»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خالطت الصدقةُ مالا إلا أفسدته»^(٢).

وعن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حصّنا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع»^(٣).

فتأمل يا أخي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ...

وانظر كيف يؤتى بالمال الذي كان يحبه مانع الزكاة حباً شديداً، ويعزّه العز الذي يصل به إلى أن يمسكه ويجمعه ويوعيه، ولا يفرط في شيء منه، حتى ما كان منه حقاً للفقراء البؤساء المساكين، يؤتى به بعينه ويجعل صفائح، ومع أن هذه الصفائح من نارٍ يُحمى عليها في نار جهنم لتشتد حرارتها وتزداد؛ ليكون ألمها الواقع على بدن مانع الزكاة بالغاً النهاية في الشدة حين يكوئ بها جنبه وجبينه وظهره.

وتخصيص هذه الأعضاء الثلاثة؛ قال بعض العلماء: لأن المُعذّب - وهو مانع الزكاة - إذا جاءه الفقير يسأله شيئاً من حقه عبس وجهه وعقد جبينه عبوساً وتعقيداً يدل على كراهته لهذا السؤال.

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٨)، والدعاء (٣٤).

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (١٨)، والبيهقي في الكبرى (٧٦٦)، وشعب الإيمان (٣٢٤٦)، وفيه أن الإمام أحمد قال: تفسيره أن الرجل يأخذ الصدقة - وهي الزكاة - وهو موبر أو غني، وإنما هي للفقراء.

(٣) أخرجه أبو داود في المراسيل (١٠٥)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٢٨) (١٠٩٦)، والأوسط (١٩٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٧٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه، و(٣٢٨٠) عن سمرة رضي الله عنه.

فإذا أَلَحَّ الفقيرُ عليه زاد في عبوسه أن يضنَّ بمواجهة ذلك الفقيرِ، فينتقل من المواجهة إلى الانحرافِ عنه، ويجعل جنبه في وجه المسكينِ السائلِ؛ مبالغةً في إظهارِ الكراهية لسؤاله.

فإذا ازداد الفقيرُ واشتدَّ في الطلبِ والإلحاحِ بالغِ المسؤولِ في الغضبِ، فانصرفَ عنه وولاه ظهره ماشياً من مكانه، وتاركاً له يهوي في هواتِ احتياجه بدون أيِّ اِكْتِراثٍ، فلما كان هذا حال تلك الأعضاء الثلاثة في الدنيا، حُصَّت في الآخرة بالكَيِّ بتلك الصفائح التي هي ماله، وبذلك يعرفُ أنه يُهان بالمالِ الذي كان يُعزُّه في دنياه.

ولو كان يُهيئُه بالدنيا بمفارقة ما كان يجبُ عليه منه لكان سبباً لإكرامه في ذلك اليومِ الرهيبِ المُفزعِ.

وانظر كيف تأتي نَعْمَةُ: إبلُه وبقْرُه وغنْمُه - التي لم يؤدِّ حقَّ الله فيها - أقوى ما كانت وأوفره، فتطوُّه الإبلُ بأخفافِها، وتَعَضُّه بأنيابها الحادة وتطوُّه البقرُ والغنمُ بأظلافها وتنطحه بقرونها السليمة ليكون النطحُ بها أوجعَ وألمَ، ولا تجيءُ بقرةٌ ولا نعجةٌ إلا ولها قرناها ليس بهما أيُّ مانعٍ يمنعُ من توجيههما إليه، وطعنِ المانعِ بهما الطعنَ الأليمَ. وإنما كانت أقوى ما كانت ليكونَ وطؤها ونطحها وعَضُّها بمنتهى القوة. وإذا كان مبطوحاً لها وهي تتردُّ عليه بالوطءِ كان أمكنَ لها في فعل ما تُعذِّبه به، وهذا العذابُ لا يكونُ زمنه قليلاً، ولكنه يدوم ما دام الموقفُ، ومقدار الموقفِ خمسون ألفَ سنةٍ.

ونوعٌ آخرٌ من العذابِ خاصٌّ بمانعِ الزكاةِ، وهو أن يوضعَ حجرٌ محمىٌ عليه وقد زيد في حرارته فأحميَ عليه كذلك في نارِ جهنمِ، فلا يتحملُ اللحمُ شدةً حرارته فيذوبُ ذوباناً فيُدْخَلُ الحجرُ الجسمَ، واللحمُ يذوبُ أمامه حتى يخرجَ من القطعة الرقيقة التي في طرفِ الكتفِ، ثم يوضعُ على هذه القطعةِ

الرقية وقد عاد الجسمُ إلى ما كان عليه، فيُفعل به كما تقدّم؛ يخرج من حلمة ثديه، ويزيد في الألم حال التعذيب أن الحَجَرَ يتزلزل لا يَمُرُّ في البدنِ مستقيماً وقت نفوذِه، نسأل الله أن يُعاملنا بعفوه وجميع المسلمين.

وقد لا يكون هذا العذابُ كافيًا، فيكون سبيله إلى النار التي فيها ألوانُ العذابِ الأليمِ من زُقومٍ وحميمٍ وغساقٍ وضريعٍ وويلٍ وغسلين.

ولمنع الزكاةِ شكلاً آخرُ من الشؤمِ الدنيويِّ غيرُ ما تقدّم، كما في حديث: «ما تَلَفَ مالٌ في بَرٍّ ولا بحرٍ إلا بحبسِ الزكاةِ»^(١)، فالحديثُ يدلُّ على أنه أيُّ مالٍ يضيعُ في أيِّ مكانٍ في بَرٍّ أو بحرٍ سببُ تلفِه تركُ الزكاةِ، وهي عقوبةٌ تعكسُ على المانعِ قصده، إذ هو يقصدُ بمنعه لها تكثيرَ المالِ والهروبَ من نقصه بإخراجِ القدرِ الواجبِ منه. ولو أخرج القدرَ الواجبَ - وهو قليلٌ من كثيرٍ - لحفظَ ماله بإذن الله، ولكان له ثوابٌ عظيمٌ، هو ثوابُ ركنٍ من أركانِ الإسلامِ، ولكان له من الفضلِ على المُعطى ما لا ينساه مدَّةَ حياته.

أما العقوبةُ الأخرويةُ فالنارُ التي قال اللهُ تعالى عنها: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾^(١٦) تَدْعُو مَنَ أَذْبَرُو تَوَلَّىٰ﴾^(١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٨].

فعليك أيها العاقلُ أن تُحاسبَ نفسك بدقَّة، وتُقومَ ما أعددتَه للبيع والشراء، وأن تُبريء ذمتك بيقينٍ بإخراجِ الزكاةِ كُلِّها إذا تمَّ الحولُ، وأن لا تدفعها إلا لمن تعلمُ أنه ممن يستحقُّها يقيناً أو يغلبُ على الظنِّ أنه من أهلها.

واحذر كلَّ الحذرِ من التهاونِ بتركِ شيءٍ منها، أو التسويفِ بها، أو سلوكِ الطرقِ الملتويةِ للتخلُّصِ من أداؤها، أو التحايلِ على تركِ شيءٍ منها، فكلُّ حيلةٍ تُستعملُ لتضييعِ حقٍّ من حقوقِ الله أو حقوقِ عباده أو تبيحِ ما حرم اللهُ

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٨)، والدعاء (٣٤).

أو تحرُّم ما أحلَّ اللهُ فهي من الحيلِ المُحرَّمةِ التي سيجازي عليها أشدَّ الجزاءِ، وما ربُّك بظلامٍ للعبيدِ.

ويجوز تعجيلُ الزكاةِ لحوْلَيْنِ فأقلُّ إذا كمل النصابُ، لما ورد عن عليٍّ رضي الله عنه أن العباسَ بن عبدِ المطلبِ رضي الله عنه سأل النبيَّ صلى الله عليه وآله في تعجيلِ صدقته قبل أن تحلَّ، فرخص له في ذلك ^(١). رواه الخمسة إلا النسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسولُ الله صلى الله عليه وآله عمراً على الصدقة، ف قيل: منع ابنُ جميلٍ وخالدُ بنُ الوليدِ والعبَّاسُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «ما ينقم ابنُ جميلٍ إلا أنه كان فقيراً فأغناه اللهُ، وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالدًا، وقد حبس أدراعه وأعتاده في سبيلِ اللهِ، وأما العباسُ فهي حقُّ عليٍّ ومثلها معها، ثم قال: يا عمُّ، أما شعرت أن عمَّ الرجلِ صنوُ أبيه» ^(٢) متفق عليه.

اللهم اغفر لنا ما قطعَ قلوبنا عن ذِكْرِكَ، واعف عن تقصيرنا في طاعتِكَ وشكْرِكَ، وأدم لنا لزومَ الطريقِ إليك، وهب لنا نورًا نهتدي به إليك، واسلك بنا سبيلَ أهلِ مرضاتِكَ، واقطع عنا كلَّ ما يُبعدنا عن سبيلِكَ، ويسر لنا ما يسرته لأهلِ محبتِكَ، وأيقظنا من غفلاتنا، وألهمنا رُشدنا، وحقق بكرمِكَ قصدنا، واسترنا في ديانا وآخرتنا، واحشُرنا في زمرةِ المتقين، وألحقنا بعبادِكَ الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، الأحياءِ والميتين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلَّى اللهُ على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٢٢)، وأبو داود في سننه (١٦٢٤)، والترمذي في سننه (٦٧٨)، وابن ماجه في سننه (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

(موعظة)

عبادَ الله، إن العاقلَ اللبيبَ الفطنَ الرشيدَ مَنْ يسعى في نفعِ نفسه وأهله ودفعِ الضررِ عنهم، وإنا نرى في زمننا الذي كَثُرَتْ فيه المنكراتُ وانحطَّت فيه الأخلاقُ، وقَلَّ فيه الورعُ وكَثُرَ فيه النفاقُ والرياءُ.

ترى الناسَ يخشون الناسَ، ولا يخافون ربًّا قَهَّارًا بطشه شديدٌ وعذابه أليمٌ، ترى الرجلَ يفعل المنكرَ جهارًا ولا تنهاه، وتنسى أو تتناسى قولَ الله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»^(١).

فقلُّ للذي يرى تاركَ الصلاةِ ولا ينهأه: لا يجوز لك ذلك، انصح أخاك المسلمَ، وقل للذي قد عميت بصيرته فأتى بكفارٍ خدامين أو سواقين أو مربين أو طبّاحين أو حيّاطين، وأمّنهم على محارمه: خَفِ اللهُ، واحذر من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة، كيف تأتي بأعداءِ الله ورسوله والمؤمنين، لقد أسأت إلى نفسك وأهلك والمسلمين، أما سمعت قولَ النبي ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمَشْرَكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»^(٢).

أو ما بلغك قصةُ الثلاثة الذين هجرهم المسلمون نحوًا من خمسين ليلةً بأيامها، حين تخلفوا عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوك^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٧٨٧)، والترمذي في سننه (١٦٠٥م) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

أو ما بلغك أَنَّ أبا هريرة أَقْسَمَ: لا يظُّلهُ سقْفٌ هو وقاطعُ رحمٍ^(١)، وأنت وأعداءُ الله الكفَّارُ متصلٌ بعضُكم في البيتِ والسوقِ والسيارةِ، عيادًا بالله من ذلك: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وإذا رأيتَ مَنْ يحلِّقُ لحيته ويُبقي شاربه متشبهًا بالمجوسِ فقل له: أما سمعتَ حديثَ: «أَكْرِمُوا اللَّحَى»، وحديثَ: «وَفَرُّوا اللَّحَى»^(٢)، وقولَ اللهِ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي معافَى إلا المجاهرين»^(٣)، وعملك هذا مُجاهرةً.

وإذا رأيتَ شاربَ الدُّخَانِ فانصَحْه وبين له مضارَّه في الدينِ والبدنِ والدنيا.

وإذا رأيتَ مَنْ يقتلُ وقتَه أمامَ الملاهي والمنكراتِ فانصَحْه وبين له المضارَّ التي منها تركُ الصلاةِ جماعةً أو إهمالُها بتاتا، والعيادُ بالله.

وإذا رأيتَ الذي يُطارِدُ النساءِ في الأسواقِ فقل: بالله هل ترضى أنَ الفسقةَ مثلكَ يطاردونَ نساءك، اتقِ الله وتبَّ إليه من هذا الخلقِ الرذيلِ.

وإذا رأيتَ الذي يَغُشُّ المسلمين فقل له: اتقِ الله، أما بلغك حديثُ المصطفى ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٤).

وإذا رأيتَ مَنْ يعاملُ بالرِّبَا فقل: كيف تحاربُ ربَّك الذي أعطاك المالَ خَفِ الله واحذرْ أنَ يمحَقَّك اللهُ ويمحقَّ مالكَ.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١).

وإذا رأيتَ مَنْ يُسافرُ إلى بلادِ الكفرِ فانصَحْه وقل: أما سمعتَ قولَ النبيِّ ﷺ: «أنا بريءٌ من مسلمٍ بين أظهرِ المشركين، لا ترائي ناراهُما»^(١)، وكان ﷺ يأخذُ على أصحابِه عند البيعةِ، يأخذُ على يدِ أحدهم: «أن لا ترائي نارُك نارَ المشركين، إلا أن تكونَ حرباً لهم»^(٢).

وإذا رأيتَ مَنْ يصوِّرُ أو يبيعُ صورَ ذواتِ الأرواحِ فانصَحْه وقل له: أما بلغك أن أشدَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ المصورون^(٣)، أما بلغك أن مَنْ صوَّرَ صورةً في الدنيا كلَّفَ أن ينفخَ فيها الروحَ يومَ القيامةِ وليس بنافخ^(٤)، وقل له: أما سمعتَ حديث: كلُّ مصوِّرٍ في النارِ يُجعلُ له بكلِّ صورةٍ صوَّرها نفسٌ فيعدُّبه في جهنم^(٥)، اتقِ اللهَ قبل أن تقفَ بين يديه حافياً عارياً أعزلاً.

وإذا رأيتَ مَنْ يبيعُ الصورَ أو آلاتِ اللهو، كالتلفزيون والكورة والمذياع والفيديو والسينما والورقِ الملهميةِ عما خلق الإنسانُ له، وأبا الخبائثِ الدخانِ، ونحوَ هذه البدعِ المُحرَّمةِ التي ضاعَ العمرُ والمالُ بسببِها، وقضتَ على الأخلاقِ والغيرةِ الدينيةِ فقل له: أترضى لنفسِكَ أن تتجرَّ بالمحرَّماتِ، وأن تكونَ ممن يُعينُ على المعاصي، وينشرُ الفسادَ، اتقِ اللهَ قبل أن يفاجئك هادمُ اللذاتِ، فتندمُ ولا يفيدك الندمُ، ويصدق عليك قولُ الشاعرِ:

نَدِمَ البُعَاةُ وَلَاتِ سَاعَةٌ مندمٍ والبغي مَصْرَعُهُ وَخِيمُ المَصْرَعِ
وإذا رأيتَ مَنْ يُطفِّفُ في المكيالِ والميزانِ، أو يأخذُ راتبه كاملاً ولا يؤدِّي

العملَ كاملاً قل له: اتقِ اللهَ أما تقرأ قولَ ربِّ العالمين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٦)

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٤٥)، والترمذي في سننه (١٦٠٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٨٢٤) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (١٠٠/٢١١٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢١١٠).

الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴿المطففين: ١-٦﴾.

وإذا رأيت المغتابين نهاشة الأعراضِ أكالة لحومِ الغوافلِ فقل لهم: أما قرأتم قولَ الملكِ الديانِ: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] الآية.

وإذا رأيتَ النمامَ فقل له: أما سمعتَ قولَ النبي ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ نمامٌ»^(١)، وهكذا تفعلُ عندما تريدُ أن تنصحَ أهلَ المعاصي نحو هؤلاءِ مِن منافقين وملتقين وكذابين.

ولقد تضاعفتِ الغيبةُ والنميمةُ والكذبُ أضعافاً كثيرةً بعد ظهورِ التلفزيون والتليفون والمُسجَّلاتِ، فقد كانت بالأوَّلِ لا توجدُ إلا مع اجتماعِ الأبدانِ، والآن توجدُ ولو كان بينهم مسافاتٌ بعيدةٌ، نسأل الله العافية لنا ولاخواننا المسلمين، إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبكلِّ شيءٍ علِيمٌ.

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(موعظة)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ما ضُربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعدِ عن الله، خُلِقَتِ النارُ لإذابةِ القلوبِ القاسيةِ، أبعَدُ القلوبِ مِنَ اللهِ القلبُ القاسي، إذا قسَى فَحُطَّتِ العينُ.

قسوةُ القلبِ من أربعةِ أشياء، إذا جاوزتِ قدرَ الحاجةِ: الأكل والنوم والكلام والمخالطة، كما أن البدنَ إذا مرضَ لم ينفع فيه الطعامُ والشرابُ، فكذلك القلبُ إذا مرضَ بالشهواتِ لم تنجح فيه الموعظُ.

مَنْ أراد صفاءَ قلبه فليؤثر الله على شهواته.

القلوبُ المتعلقةُ بالشهواتِ محجوبةٌ عن الله بقدرِ تعلُّقها بها. شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدارِ الآخرةِ لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعتُ إلى أصحابها بغرائبِ الحكمِ وطُرفِ الفوائدِ.

إذا غُذِيَ القلبُ بالتذكُّرِ، وسُقِيَ بالتفكيرِ، ونُقِيَ من الدَّغْلِ؛ رأى العجائبَ وألهمَ الحكمةَ. خرابُ القلبِ من الأمنِ والغفلةِ، وعمارته من الخشية والذكرِ.

إذا زهدتِ القلوبُ في موائدِ الدنيا قعدت على موائدِ الآخرةِ بين أهلِ تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائدِ الدنيا فاتتها تلك الموائدُ.

والقلبُ يمرضُ كما يمرضُ البدنُ، وشفاءُه في التوبةِ والحِميَّةِ، ويصدأ كما تصدأ المرأةُ وجلاؤه بالتذكُّرِ، ويعرَى كما يعرَى الجسمُ وزينته التقوى، ويجوعُ ويظمأُ كما يجوعُ البدنُ، وطعامُه وشرابه المعرفةُ والمحبةُ والتوكلُ والإنابةُ والخدمةُ.

للقلب ستة مواطنَ يجول فيها لا سابعَ لها، ثلاثةٌ سافلةٌ وثلاثةٌ عاليةٌ.

فالسافلةُ: دنيا تتزيّن له ونفسٌ تحدّثه وعدوٌّ يوسوسُ له، فهذه مواطنُ

الأرواحِ السافلةِ لا تزال تجولُ فيها.

والثلاثةُ العالِيَةُ: علمٌ يتبيّن له، وعقلٌ يُرشدُه، وإلهٌ يعبُدُه، والقلوبُ جوّالَةٌ

في هذه المواطنِ^(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: ولا ريبَ أن القلبَ يصدأُ كما يصدأُ النحاسُ والفضةُ

وغيرُهُما، وجلاؤُهُ بالذكرِ؛ فإنه يجلوهُ حتى يدعَهُ كالمرآةِ البيضاءِ، فإذا تُركَ

صديءٌ، فإذا ذكَّرَ جلاه.

وصدأُ القلبِ بأمرين: بالغفلةِ والذنبِ، وجلاؤُهُ بشيئين: بالاستغفارِ

والذكرِ، فمن كانت الغفلةُ أغلبَ أوقاته كان الصدأُ متراكماً على قلبه، وصدأهُ

بحسبِ غفلتِهِ، وإذا صدأ القلبُ لم تنطبع فيه صورُ المعلوماتِ على ما هي

عليه فيرى الباطلَ في صورةِ الحقِّ، والحقَّ في صورةِ الباطلِ؛ لأنه لما تراكم

عليه الصدأُ واسودَّ وركبه الرأى فسد تصوُّرُهُ وإدراكُهُ، فلا يقبلُ حقاً ولا ينكرُ

باطلاً، وهذا أعظمُ عقوباتِ القلبِ.

وأصل ذلك من الغفلةِ واتباعِ الهوى، فإنهما يطمسان نورَ القلبِ ويعميان

بصره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾

[الكهف: ٢٨]، فإذا أراد العبدُ أن يقتديَ برجلٍ فليُنظر: هل هو من أهلِ الذكرِ أو

من الغافلين؟ وهل الحاكمُ عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكمُ عليه هو

الهوى، وهو من أهلِ الغفلةِ، كان أمرُهُ فُرطاً، ومعنى الفُرط قد فُسرَ بالتضييعِ،

أي أمرُهُ الذي يجب أن يلزمه ويقومَ به، وبه رشدُه وفلاحُه ضائعٌ قد فرطَ فيه،

(١) الفوائد (ص ٩٧: ٩٩) بتصرف.

وُفْسِرَ بِالْإِسْرَافِ، أَي قَدْ أَفْرَطَ، وَفُسِّرَ بِالْإِهْلَاكِ، وَفُسِّرَ بِالْخِلَافِ لِلْحَقِّ، وَكُلُّهَا أَقْوَالٌ مُتَقَابِرَةٌ.

والمقصود أن الله ﷻ نهى عن طاعة مَنْ جمعَ هذه الصفاتِ، فينبغي للرجل أن ينظرَ في شيخه وقدرته واتبوعه، فإنَّ وجده كذلك فليبعدْ منه، وإنَّ وجده ممن غلب عليه ذكرُ الله ﷻ واتباعُ السنة، وأمره غيرُ مفروطٍ عليه، بل هو حازمٌ في أمره فليتمسكْ بغيره، ولا فرقَ بين الحيِّ والميتِ إلا بالذكرِ، فمثلُ الذي يذكرُ ربَّه والذي لا يذكرُ ربَّه كمثلِ الحيِّ والميتِ. وفي المسند مرفوعاً: أكثرُوا ذكرَ الله تعالى حتى يُقال: مجنونٌ^(١). اهـ.

شعراً:

يَا أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِاللَّهِ	فِرٌّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
وَلُذِّبِهِ وَاسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ	فَقَدْ نَجَّامَنْ لَأَذِيبَاللَّهِ
وَقَمَّ لَهُ وَاللَّيْلُ فِي جَنَحِهِ	فَحَبَّ ذَا مَنْ قَامَ اللَّهُ
وَاتَّلَّ مِنَ الْوَحْيِ وَلَوْ آيَةً	تُكْسَى بِهَانُورًا مِنَ اللَّهِ
وَعَقَّرَ الْوَجْهَ لَهُ سَاجِدًا	فَعَزَّ وَجْهَهُ ذَلَّ اللَّهُ
فَمَا نَعِيمٌ كَمَنَاجَاتِهِ	لِقَانِيَّتِ يُخْلِصُ اللَّهُ
وَأَبْعَدَ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا تَاتِيهِ	فَبَعْدُهُ قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ
يَا طَالِيًّا جَاهًا بِغَيْرِ التَّقَى	جَهَلْتَ مَا يُذْنِي مِنَ اللَّهِ
لَا جَاءَ إِلَّا جَاءَ يَوْمِ الْقَضَا	إِذْ لَيْسَ حُكْمٌ لِسِوَى اللَّهِ

(١) الوابل الصيب (ص ٤٠، ٤١) بتصرف.

عَالِيَةٍ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
 مِنْ لَوْلُو فِي حِيَرَةِ اللَّهِ
 فِي جَاحِمٍ فِي سَخَطِ اللَّهِ
 بِسَابِقِ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ
 وَهُوَ قَلِيلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ
 بِأَمْنِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ
 أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنَ اللَّهِ
 أَضْمَتِ وَتُضْمِي أَهْمُ اللَّهِ
 أَجْزَادًا وَاسْتَسَلَّمَ لِلَّهِ
 يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ
 الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ
 مَا فَوْقَهَا مِنْ عِبْرِ اللَّهِ
 فِي أَمَمٍ صَارَتْ إِلَى اللَّهِ
 حَشْرُهُمْ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ
 وَمَا بِهِمَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ
 شَاهِدَةٌ بِالْمَلِكِ لِلَّهِ
 -أَوْ دُونَهَا- خَوْفًا مِنَ اللَّهِ
 تَخْشَى الَّذِي يُخْشَى مِنَ اللَّهِ

وَصَارَ مَنْ يُسْعَدُ فِي جَنَّةٍ
 يَسْكُنُ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي قُبَّةٍ
 وَمَنْ يَكُنْ يُقْضَى عَلَيْهِ الشَّقَا
 يُسْحَبُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ
 يَاعْجَبًا مِنْ مَوْقِنٍ بِالْجَزَا
 كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ مُخْبِرٌ
 يَارُبَّ جَبَّارٍ شَدِيدِ الْقُوَى
 فَانْفَذَ الْمَقْتَلَ مِنْهُ وَكَمْ
 وَاسْتُلَّ قَسْرًا مِنْ قُصُورٍ إِلَى الْا
 مُرْتَهَنًا فِيهَا بِمَا قَدْ جَنَى
 لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ
 يَا صَاحِ سِرِّ فِي الْأَرْضِ كَيْمَا تَرَى
 وَكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا
 مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَمِنْ سَوْفَةٍ
 وَالْحَظُّ بِعَيْنَيْكَ أُدَيْمَ السَّمَاءِ
 تَرَى بِهَا الْأَفْلاكِ دَوَّارَةً
 مَا وَقَفْتَ مُذْ أَجْرَيْتَ لِمَحَّةً
 وَمَا عَلَيْهَا مِنْ حِسَابٍ وَلَا

مِنْ آيَةٍ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ
 فِي غَيْبِهِ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
 وَالْأَرْضِ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ
 يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حِمَى اللَّهِ
 وَوَحِيدٍ وَالتَّمَجِيدِ لِلَّهِ
 يَعْمُرُهُ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ
 أَمْسَكَ عَنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ
 لاقاهم بالثُّكْرِ لِلَّهِ
 كَانَ خَلِيقًا بَرِضَى اللَّهِ
 وَبَعْدَهُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ
 لِحَوْفِهِ الْيَوْمَ مِنَ اللَّهِ
 وَعَاقِبَهُ الْجَهْلُ عَنِ اللَّهِ
 يَحْمِلُهُ حَتَّىٰ إِلَى اللَّهِ
 يَنْعَاهُ فَاسْتَحْيَىٰ مِنَ اللَّهِ
 فَصَارَ مَحْجُوبًا عَنِ اللَّهِ
 فَضْلًا عَنِ الْعَالَمِ بِاللَّهِ
 بِالْفَضْلِ وَالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ
 لَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وَهِيَ وَمَا غَابَ وَمَا قَدَّ بَدَا
 تُوَحِّدُ اللَّهَ عَلَىٰ عَرْشِهِ
 وَمَا تَسَمَّىٰ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ
 إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَنِيعٌ فَمَا
 لَا شَيْءَ فِي الْأَفْوَاهِ أَحْلَىٰ مِنَ التَّ
 وَلَا اطمأنَّ الْقَلْبُ إِلَّا لِمَنْ
 وَإِنْ رَأَىٰ فِي دِينِهِ شُبُهَةً
 أَوْ عَرَضَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ غِنَىٰ
 وَمَنْ يَكُنْ فِي هَدْيِهِ هَكَذَا
 وَكَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِي قَبْرِهِ
 وَفِي غَدٍ تُبْصِرُهُ آمَنَّا
 مَا أَقْبَحَ الشَّيْخَ إِذَا مَا صَبَا
 وَهُوَ مِنَ الْعُمَرِ عَلَىٰ بَازِلٍ
 هَلَّا إِذَا أَشْفَىٰ رَأَىٰ شَيْبَةً
 كَأَنَّ مَارِينَ عَلَىٰ قَلْبِهِ
 مَا يُعْذِرُ الْجَاهِلُ فِي جِهْلِهِ
 دَارَانِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُمَا
 وَلَسْتُ أَدْرِي مَنْزِلِي مِنْهُمَا

كَيْفَ نَبَاعَن طَاعَةَ اللَّهِ	فَاعْجَب لِعَبْدِ هَذِهِ حَالُهُ
وَلَمْ تَسْعِنِي رَحْمَةً اللَّهِ	وَاسْوَأَتَا إِنِ خَابَ ظَنِّي غَدَاً
نُعُودُ مَنْ ذَلِكَ بِاللَّهِ	وَكَُنْتُ فِي النَّارِ أَخَا شِقْوَةٍ
يَكْشِفُهَا الْعَرَضُ عَلَى اللَّهِ	كَمْ سَوْءَةٌ مَسْتُورَةٌ عِنْدَنَا
قَدْ نَكَّسُوا الْأَذْقَانَ لِلَّهِ	فِي مَشْهَدٍ فِيهِ جَمِيعُ الْوَرَى
جَلَّلَهُ سِتْرٌ مِنَ اللَّهِ	وَكَم تَرَى مِنْ فَائِزٍ فِيهِمْ
إِسْلَامٌ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ	فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْ-



(فصل) في بعض آداب الزكاة

قال في منهاج القاصدين: اعلم أن على مُريد الزكاة وظائف:

الوظيفة الأولى: أن يفهم المراد من الزكاة، وهو ثلاثة أشياء: ابتلاء مدعي محبة الله تعالى بإخراج محبوبه، والتنزه عن صفة البخل المهلك، وشكرُ نعمة المال.

الوظيفة الثانية: الإسراعُ بإخراجها، لقوله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا أَلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وحديث السبعة وعدّ منهم رجلاً تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، لكونه أبعَد عن الرياء والسُّمعة، وفي الإظهارِ إذلالٌ للفقيرِ أيضاً، فإن خاف أن يُتَّهَمَ بعدم الإخراج أعطى مَنْ لا يُيالي من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية، وأعطى غيره سراً.

الوظيفة الثالثة: أن لا يُفسدها بالمن والأذى، وذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه مُحسناً إلى الفقيرِ مُنعماً عليه بالإعطاء، ربما حصل منه ذلك، ولو حقَّق النظرَ لرأى الفقيرَ مُحسناً إليه، بقبولِ حقِّ الله الذي هو طهرٌ له، وإذا استحضر مع ذلك أن إخراجَه للزكاة شكرٌ لنعمة المال، فلا يبقى بينه وبين الفقيرِ مُعاملة، ولا ينبغي أن يحتقر الفقيرَ بفقره؛ لأن الفضل ليس بالمال ولا النقص بعديه.

الوظيفة الرابعة: أن يستصغر العطيّة، فإن المستعظم للفعل مُعجبٌ به، وقد قيل: لا يتم المعروفُ إلا بثلاث: بتصغيره وتعجيله وستره.

الوظيفة الخامسة: أن ينتقي من ماله أحلّه وأجودَه وأحبّه إليه، أما الحِلُّ فإن الله تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وأما الأجودُ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر أرضاً بخير، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضاً لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه، فما تأمرني؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. قال: فتصدق بها عمر، غير أنه لا يباع أصلها ولا يورث ولا يوهب. قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وذوي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه، وفي لفظ: غير متائل^(١). رواه الجماعة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من ماء فيها طيباً. قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢] جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب مالي إلي بئرحاء، وإنها صدقة الله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أمرك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَخِ بَخِ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٢). متفق عليه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٠٨)، والبخاري (٢٧٧٢)، ومسلم (١٦٣٢)، وأبو داود في سننه (٢٨٧٨)، والترمذي في سننه (١٣٧٥)، والنسائي في سننه (٣٥٩٧)، وابن ماجه في سننه (٢٣٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

وينبغي أن يُلاحظ في ذلك أمرين:

أحدهما: حقُّ الله ﷻ بالتعظيم له، فإنه أحقُّ من اختيار له، ولو أن الإنسان قدَّم إلى ضيفه طعاماً رديئاً لأوغر صدره.

والثاني: حقُّ نفسه فإن الذي يُقدِّمه هو الذي يلقاه غداً في القيامة، فينبغي أن يختار الأجود لنفسه، وأما أحبه إليه، فلقوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْثُرَ النَّارَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّوا﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما إذا اشتدَّ حُبُّه لشيءٍ من ماله قرَّبه لله ﷻ. ورُوِيَ أنه نزل الجحفة وهو شاكٍ، فقال: إني لأشتهي حيتاناً، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتاً، فأخذته امرأته فصنعتة، ثم قرَّبه إليه، فأتى مسكيناً، فقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: خذه، فقال له أهله: سبحان الله قد عثيتنا ومعنا زادٌ نعطيهِ، فقال: إن عبدَ الله يحبُّه.

وروي أن سائلاً وقف ببابِ الربيعِ بنِ خيثمٍ رضي الله عنه فقال: أطعموه سكرًا، فإن الربيعَ يُحبُّ السكرَ.

الوظيفة السادسة: أن يطلب لصدقته من تزكوبه، وهم خصوصٌ من عموم الأصناف الثمانية، ولهم صفات:

الأولى: التقوى، فليخص بصدقته المتقين؛ فإنه يردُّ بها همَّهم إلى الله تعالى، وفي الحديث الذي رواه ابنُ جبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أطعموا الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين^(١)، وقد كان عامرُ بن عبدِ الله بن الزبير يتخيَّر العبادَ وهم سجدوا فيأتيهم بالضرَّة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١١٥٢٦)، وابن جبان في صحيحه (٦١٦).

فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم بحيث يُحسّون بها ولا يشعرون بمكانه، فقيل له: ما يمنعك أن ترسلَ بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمرَّ وجهُ أحدهم إذا نظر إلى رسولي.

الصفة الثانية: العلمُ فإنَّ إعطاءَ العالمِ إعانةً على العلمِ ونشرِ الدينِ، وذلك تقويةٌ للشريعة.

الصفة الثالثة: أن يكونَ ممن يرى الإنعامَ من الله وحده، ولا يلتفتُ إلى الأسبابِ إلا بقدرِ ما تُدب إليه من شكرِها، فأما الذي عادته المدحُ عند العطاءِ فإنه سيذمُّ عند المنع.

الصفة الرابعة: أن يكونَ صائناً لفقره، ساتراً لحاجته، كاتمًا للشكوى، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ^(١).

ومن آداب المُزكِّي التي تتأكدُ عليه أن يكونَ طيبَ النفسِ بإخراجها فريحاً مسروراً مُستبشراً بقبولِ الفقيرِ المُستحقِّ لذكاته، وليحذر من أن يكونَ كارهاً لإخراجها، فإنه من صفاتِ المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْقُونَ إِلَاءَ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وأخبر سبحانه أن المنافقَ يُصلِّي، ولكن لا يأتيها إلا وهو كسلانٌ، وقد يُزكِّي ولكن مع الكراهة، وقوله ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم» ^(٢)، وفي لفظ: «ليس منا من تشبَّه بغيرنا» ^(٣) وهو حديثٌ جيد.



(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٧: ٣٩) بتصرف وزيادة.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٣١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٩٥).

(موعظة)

عبادَ الله، إن كنتم في سَعَةٍ من العيشِ فاحمدوا الله تعالى أن جعلكم من أهل الإيسارِ، وأديموا شكره يُدْمَ عليكم النعمة ويزدها، وهو الكريمُ الجوادُ.

ومن تمامِ النعمة أن تنسخوا من الزكاة بإخراجها كاملةً إلى ذوي الحاجاتِ لعلكم أن تفوزوا بالخلفِ والثوابِ الجزيلِ من فاطرِ الأرضِ والسمواتِ، أحسنوا إلى عبادِ الله كما أحسن اللهُ إليكم، وراعوا عند الإحسانِ الأدبَ فلا تمنوا على الفقيرِ ولا تؤذوه فإن ذلك مُحِبٌّ للأعمالِ، واستروا عطاءكم مُخلصين متيقنين أن حاجتكم إلى الثوابِ وتكفيرِ الذنوبِ أشدُّ من حاجةِ الفقيرِ إلى ما تُخرجون. واعلموا أن إحسانكم إنما هو لأنفسِكُمْ، واعصوا الشيطانَ، فإنه يأمر بالبخلِ وينهى عن العطفِ على المساكينِ، يُخيفُكم إن تصدَّقتم أن يذهبَ مالُكم وأنتم تعلمون أن نصيحةَ العدوِّ مُهلكةٌ، وقد أخبر اللهُ ﷺ أن الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مبينٌ، وأخبرَ ﷺ: «أنه ما من يومٍ يُصبحُ العبادُ إلا ملكانِ ينزلانِ فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»^(١) رواه البخاري ومسلم.

اللهم اعصمنا عن المخالفةِ والعصيانِ، وألهمنا ذكركَ وشكرَكَ يا كريمِ يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

فصل فيمن تحل له الصدقة:

اعلم - وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يُحبه ويرضاه - أن مما يتعينُ على كل مؤمنٍ أن يصونَ نفسه عنه: مسألة الناسِ إلا عند الضرورة أو الحاجةِ الشديدةِ التي لا بدَّ له منها، ولا غنىَ له عنها، وذلك لما ورد عن قبيصة بنِ مُخارقِ الهلاليِّ قال: تحمَّلت حمالةً، فأتيت رسولَ الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقةُ فأمر لك بها» ثم قال: «يا قبيصةُ، إن المسألةَ لا تحلُّ إلا لأحدٍ ثلاثيةٍ: رجلٍ تحمَل حمالةً فحلَّت له المسألةُ حتى يصيبها ثم يمسكُ، أو رجلٍ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله فحلَّت له المسألةُ، حتى يُصيبَ قوامًا من عيشٍ - أو قال: سدادًا من عيشٍ -، ورجلٍ أصابته فاقةٌ حتى يقومَ ثلاثةٌ من ذوي الحِجَابِ من قومه يقولون: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ، فحلَّت له المسألةُ حتى يصيبَ قوامًا من عيشٍ أو قال: سدادًا من عيشٍ، فما سواهن من المسألةِ يا قبيصةُ سُحَّتْ يأكلها صاحبُها سُحَّتًا»^(١).



(١) أخرجه مسلم (١٠٤٤).

التحذير من أخذ الصدقة لمن لا تحل له:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثراً، فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثراً»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزرعة لحم»^(٢).

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلحفوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً أنا كاره له، فيبارك له فيما أعطيته»^(٣).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها، خيراً له من أن يسأل رجلاً، فيعطيه أو يمنعه»^(٤).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المسائل كدوخ يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بداً»^(٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس وله ما يُغنيه، جاء يوم القيامة ومسألته خموش أو خدوش أو كدوخ»، قيل:

(١) أخرجه مسلم (١٠٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢) بنحوه.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٣٩)، والترمذي في سننه (٦٨١)، والنسائي في سننه (٢٥٩٩).

يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»^(١).

ولأبي داود عن سهل بن الحنظلية، قيل: وما الغني الذي لا ينبغي معه المسألة؟ قال ﷺ: «قدر ما يُغذيه أو يُعشيه»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: «ما في بيتك شيء؟» قال: «بلى، جِلْسٌ نلبَسُ بعضه ونبسط بعضه، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء» قال: «اثنني بهما»، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «مَنْ يشتري هذين؟» قال رجلٌ: «أنا آخذهما بدرهم»، قال ﷺ: «مَنْ يزيد علي درهم؟» مرتين أو ثلاثاً، قال رجلٌ: «أنا آخذهما بدرهمين» فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلي أهلك، واشتر بالآخر قُدوماً فأنني به»، فأتى به فشد فيه ﷺ عوداً بيده، ثم قال: «اذهب فاحتطب وبيع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نُكْتَةً في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقرٍ مُدقعٍ، أو لذي غرمٍ مُقطعٍ، أو لذي دمٍ مَوجعٍ»^(٣).

وللترمذي نحوه عن حبشي بن جنادة، وفيه: «ومن سأل الناس ليُثري به ماله كان خُموشاً في وجهه يوم القيامة، ورضفًا يأكله من جهنم، فمن شاء فليقل، ومن شاء فليكثر»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٢٦)، والترمذي في سننه (٦٥٠)، والنسائي في سننه (٢٥٩٢)، وابن ماجه في سننه (١٨٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٢٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤١)، وابن ماجه في سننه (٢١٩٨).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٦٥٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ فَاقَةٌ بِهِ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّدْ فَاقَتَهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرزِقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»^(١).

وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالَ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -»^(٢).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلُ لَهُ الْجَنَّةَ؟» فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا^(٣).

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشرافٍ نفسٍ لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا^(٤).



(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٥)، والترمذي في سننه (٢٣٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٣)، والنسائي في سننه (٢٥٩٠)، وابن ماجه في سننه (١٨٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٤).

(موعظة)

عباد الله، ما أحسن أن يعيش المرء قانعاً بما رزقه الله في هذه الحياة، فلا يمدُّ بصره إلى ما في أيدي الناس، ولا تتطلع نفسه إلى سلبِ حقوقِ الناس أو ظلمهم والاعتداء على ما وهب الله لهم من نعمِ جسام، فإن القانع يشعر ويحسُّ بسكينته وطُمأنينته كما يشعر بأنه غنيٌّ عن كلِّ الخلق، قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعًا فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ

وذلك أن له نفساً راضيةً بما قسم الله، أمانةً مطمئنةً لم يتسرب إليها الجشع والطمع اللذان هما من أقبح القبائح وأسوأ الشمائل، ولا يزال صاحبُ هذين أو أحدهما إلا وهو مذمومٌ وبأقبح الصفاتِ موسومٌ لا تعرضُ له القناعة ولو كانت الدنيا بأسرها له. قد ملأ حُبُّها قلبه وغمر محبُّتها والتفاني في طلبها قلبه، وصار لا يرضى منها باليسير ولا يقنع بالكثير، وقلماً تجدُ مُتصفاً بهذا الوصف إلا وهو متشتتُ الفكرِ قليلُ الراحة، عنده من الحسدِ والهلعِ وضعفِ التوكلِ على الله الشيءُ الكثيرُ الذي يُخشى عليه مع استدامته معه من سوءِ الخاتمة.

أما القانعُ ذو النفسِ الأبيةِ الراضيةِ المُطمئنةِ المتوكلةِ على الله فيرجى لها أن تنالها الآيةُ الكريمةُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۗ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] الآية.

قال ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه مُعافى في بدنه معه قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من يوم إلا يُنادي فيه ملكٌ من تحتِ العرشِ: يا ابنَ آدم، قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يُطغيك»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٦)، وابن ماجه في سننه (٤١٤١).

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤ / ٢٠٠)، ويروى مرفوعاً عند الطبراني في الأوسط (٨٨٧٥).

وقال بعض العلماء: أطيّب العيش القناعة، وأنكد العيش الجشع، ومن الأخلاق الذميمة التي تجعل الإنسان بخيلاً بما في يده مُتَطَلِّعاً لما في أيدي الناس: الحرص والإفراط في حبّ الدنيا وجمعها، ولو أدّى ذلك إلى إهدار الكرامة وإراقة ماء الوجه، فالحذر عباد الله من الحرص على الدنيا؛ فإن حبّها رأس كل خطيئة.

شعرا:

وَإِنِّي أَمْرٌ بِالطَّبْعِ الْغَنِيِّ مَطَامِعِي وَأَزْجُرُ نَفْسِي طَائِعًا لَا تَطْبَعَا
وَعِنْدِي غِنَى نَفْسٍ وَفَضْلُ قَنَاعَةٍ وَلَسْتُ كَمَنْ إِنْ ضَاقَ ذَرْعًا تَضَرَّعَا
وَإِنْ مَدَّ نَحْوَ الزَّادِ قَوْمٌ أَكْفَهَهَا تَأَخَّرْتُ بَاعًا إِنْ دَنَا الْقَوْمُ أَضْبَعَا
وَمُذْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَدَيَّ دِينَةً تَعَرَّضْتُ لِلْإِعْرَاضِ عَنْهَا تَرْفُعَا
وَذَاكَ لِعِلْمِي إِنَّمَا اللَّهُ رَازِقٌ فَمَنْ غَيْرُهُ أَرْجُو وَأَخْشَى وَأَجْزَعَا
فَلَا الضَّعْفُ يُقْصِي الرِّزْقَ إِنْ كَانَ دَانِيَا وَلَا الْحَوْلُ يُدْنِيهِ إِذَا مَا تَجَزَّعَا
فَلَا تَبْطِرْنَ إِنْ نَلْتِ مِنْ دَهْرِكَ الْغِنَى وَكُنْ شَامِخًا بِالْأَنْفِ إِنْ كُنْتَ مُدْقِعَا
فَقَدْرُ الْفَتَى مَا حَازَهُ وَأَقَادَهُ مِنْ الْعِلْمِ لَا مَالٌ حَوَاهُ وَجَمَّعَا
فَكُنْ عَالِمًا فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّمًا وَإِنْ فَاتَكَ الْقِسْمَانِ أَضْغِ لِتَسْمَعَا
وَلَا تَكُ لِلْأَقْسَامِ مَا اسْطَظَعْتَ رَابِعَا فُتَدْرَأُ عَنْ وَرْدِ النَّجَاةِ وَتُدْفَعَا

اللهم يا حيّ يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، نسألك أن توفقنا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وأحسن عاقبتنا وأكرم مثوانا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تُبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهدٍ ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: «ألا تُبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلامٌ تُبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله - وأسر كلمة خفية -، ولا تسألون الناس شيئاً»، فلقد رأيت بعض أولئك النفس يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه^(١).

وعن زيد بن أسلم قال: شرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبناً فأعجبه، فسأل الذي سقاه: من أين هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماءٍ - قد سماه -، فإذا نَعِمٌ من نَعِمِ الصدقة وهم يسقون، فحلبوا من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا، فأدخل عمر يده في فيه فاستقاه^(٢). أي: أخرجه من جوفه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعطيني العطاء، فأقول اعطه أفقر مني، فقال: «خذه فتموِّله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرفٍ ولا سائلٍ فخذ، وما لا تتبعه نفسك»^(٣) متفق عليه.

وعن ابن الساعدي قال: استعملني عمر على الصدقة، فلما فرغت منها وأدبته إلى أمرٍ لي بعمالة، فقلت: إنما عملتُ لله، قال: خذ ما أُعطيت، فإني قد عملتُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملني، فقلت مثل قولك، فقال لي

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٩ / ١) (٣١)، وابن ماجه في سننه (٤١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٦٣، ٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥).

رسول الله ﷺ: «إِذَا أُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ»^(١) رواه أبو داود.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن أناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نَفِدَ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعففه الله، ومن يستغن يُغنِه الله، ومن يتصبر يُصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس»^(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد اشتمل الحديثان الأخيران على جُمَلٍ جامعةٍ نافعةٍ:

الأولى: قوله ﷺ: «ومن يستعفف يُعففه الله»، ففيها الحثُّ على مجاهدة النفس على انصرافها عن التعلُّقِ بالمخلوقين، وذلك بالاستعفافِ عما في أيديهم، فلا يطلب منهم شيئًا لا بلسانِ الحالِ ولا بلسانِ المقالِ، بل يكون معتمدًا على الله وحده.

وفي الجملة الثانية: وهي قوله ﷺ: «ومن يستغن يُغنِه الله» الحثُّ على الاستغناء بالله والثقة به والاعتمادِ عليه في الدقيقِ والجليلِ.

والثالثة: قوله ﷺ: «ومن يتصبر يُصبره الله» ففيها أيضًا الحثُّ على مجاهدة النفس على الصبرِ الذي هو حبسُ النفسِ على ما تكرهه تقربًا إلى الله؛ لأنه يحتاج إلى الصبرِ على طاعةِ الله حتى يؤدِّيها، وعن معصيةِ الله حتى يتركها لله، وإلى الصبرِ على أقدارِ الله المؤلمةِ فلا يتسخطُّ.

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٥/١١٢)، وأبو داود في سننه (١٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

وفي الحديث الآخر، وهو قوله ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض...»
 إلخ بيان أن الغني ليس بسعة الثروة ووفرة المال وكثرة المتاع، ولكن الغني
 غني النفس، فمن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس، ولم تشرف عليه
 نفسه ولم تتطلع إليه، فهو الغنيّ الجدير بلقب الغنيّ، وإن كان في المال مُقللاً،
 إذ رضاه بما قسم الله، وعفته وزهده وقناعته جعلته في درجةٍ من الغنى دونها
 بطبقات أهل الثراء الذين حُرّموا الزهادة والقناعة والرضا بما كتب الله لهم،
 الذين تذهب أنفسهم حسرةً إذا فاتتهم صفقةٌ أو ضاعت عليهم فرصةٌ، بل ما
 جاءه رضي به وقنع، بخلاف من كثر ماله وتشعبت أملاكه وصار قلبه موزعاً
 بين ضيعته وعماراته وذهبه وفضته وأوراقه وسائر أمواله، وليس له همٌّ إلا
 جمع المال، فهو معشوقه يحرص عليه أشدَّ الحرص، ويتميز غيظاً إذا فاته منه
 القليل، وبودّه لو ضمَّ ما في أيدي الناس إلى ما في يده، فصار لا يتلذذ بمأكل
 ولا بمشربٍ ولا يرتاح لمنادمة جليسٍ لا اشتغال قلبه به، فهذا هو الفقير حقاً،
 المحرومٌ صدقاً.

وصدق من قال:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
 اللهم يسّر لنا أمر الرزق، واعصمنا من الحرص والتعب في طلبه، ومن
 شغل القلب وتعلق الهم به، ومن الذل للخلق بسببه، ومن التفكير والتدبير في
 تحصيله، ومن الشح والحرص عليه بعد حصوله، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله
 على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(موعظة)

عبادَ الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله العزيز العلام، الحي القيوم الذي لا ينام، وأوصيكم في معاملته بما يحبه ويرضاه في الإقدام والإحجام والفرع إليه عند تفاقم الشدائد واشتباه الأحكام، والاعتماد عليه في الدقيق والجليل، والتسليم له في النقض والإبرام، والرغبة فيما لديه فيديه الخير وهو الكريم الجواد، ومقابلة قضائه بحقيقة الرضى والاستسلام، أما خلقكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وهو جزيل الإنعام، أما شرفكم وفضلكم بجزيل العقول والأفهام، أما أوضح لكم الطريق الموصل إلى دار السلام، أما بعث إليكم محمداً ﷺ لتبليغ الشرائع والأحكام، أما أنزل عليه الذكر ليعين للناس ما أودعه فيه من الأحكام، أما دعاكم إلى التوكل عليه والاعتصام، أما حثكم إلى العمل فيما يقرب إلى دار السلام، أما حذركم عواقب معاصيه ونهاكم عن الآثام، أما أنذركم هول يوم أطول الأيام، اليوم الذي يشيب فيه الولدان، وتنفطر فيه السماء، وتكدر فيه النجوم، وتظهر فيه أمور عظام، أما خوفكم موارد الحمايم، أما ذكركم مصارع من قبلكم من الأنام، أما أمدكم بالأبصار والأسماع وصحة الأجسام، أما وعدكم بقبول توبة التائبين رحمة منه جرت به الأقلام، فو الله لحق لهذا الرب العظيم أن يطاع فلا يعصى على الدوام، فيا أيها الشيوخ بادروا فما للزرع إذا أخصد إلا الصرام، ويا معشر الشباب جدوا في العمل فرب أمريء ما بلغ التمام، واحذروا عقاب ربكم يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار، يوم ما أطول الوقوف فيه وأثقله على كل مجرم مخ جبار، يوم المناقشة فيه عن الفتيل والنقيير والقطمير وصغائر الأعمال والكبائر، فتأهبوا لذلك اليوم العظيم، واستعدوا له أتم استعداد.

شعراً:

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمَلِكُ رَبَّنَا
مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنٌ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكَهُ
مَلِيكَ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
وَأَنْتَ يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَائِحُ فِي الْخَفَا
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
وَسَبَّحَهُ النَّيَّانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُؤَيِّطِ عَنِ الْهُدَى
وَحَالَاتُ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
إِذْ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا
وَفَارَقَ رُوحًا كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
فَأَيُّ قَتْلَى قَبْلِي رَأَيْتَ مُخَلَّدًا
فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا

وَلَا شَيْءَ أَعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَجْدُ
لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنِ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمَدُ
وَإِذْ هِيَ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُصَعَّدُ
وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
وَمَا طَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقَلَّدُ
إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هَذَا النَّصْدُ
وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا الْمُفَنَّدُ
فَبَيْنَ الْفَتَى فِيهَا مَهِيْبٌ مُسْوَدُ
وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوسَّدُ
وَجَاوَرَ مَوْتَى مَا لَهُمْ مُتْرَدُّ
لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ
بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ

أَلَسْتَ تَرَىٰ فِيْمَا مَضَىٰ لَكَ عِبْرَةٌ فَمَه لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَىٰ يُلَدِّدُ
 فَكُنْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَهُ وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهَ الْيَوْمُ أَوْ عَدُوُّ
 فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ
 اللَّهُمَّ ارْحَمْ غَرَبْتَنَا فِي الْقُبُورِ، وَأَمْنَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، وَارْحَمْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ
 مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



فصل

في صدقة التطوع

ويبحث في:

- (١) ما ورد من الآثار الشرعية في فضلها.
- (٢) أفضل الصدقة جهد من مقل.
- (٣) بيان عظم ثواب الصدقة في شهر رمضان، وفي الحرمين.
- (٤) الأولوية في الصدقة للأقرباء وطلاب العلم.

١- ما ورد من الآثار الشرعية في فضلها:

◆ تسن صدقة التطوع في كل وقت، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة...﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية.

للهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعذل تمر من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل»^(١) متفق عليه.

للهم وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاء قوم عراة مجتابي النمار أو العباء، مُتقلدي السيوف، عامتهم من مُضَرٍ بل كلهم من مُضَرٍ، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

بلا لآ فاذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره .. من درهمه .. من ثوبه .. من صاع بره .. من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمره قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كتفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تابع الناس حتى رأيت كومي من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبته، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١). رواه مسلم.

◆ وهذا الكلام البليغ دعوة إلى التنافس في الخير، والتسابق في افتتاح مشروعاته.

للهم وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة كلها مخطومة»^(٢).

للهم وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إن الصدقة لتُطفيء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء»^(٣). رواه الترمذي وحسنه.

◆ وكما أنها تُطفيء غضب الرب ﷻ، فهي تُطفيء الذنوب والخطايا، كما يُطفيء الماء النار.

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٦٤).

لله وعن مرثد بن عبد الله قال: حدثني أصحاب رسول الله ﷺ أنه يقول: «إن ظلُّ المؤمن يوم القيامة صدقته»^(١). رواه أحمد.

◆ وصدقَةُ السرِّ أفضلُ من صدقةِ العلانية، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا كَسَبُوا وَإِنْ تَبَدُّوا لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا كَسَبُوا وَإِنْ تَبَدُّوا لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا كَسَبُوا وَإِنْ تَبَدُّوا لَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اثْقَالًا مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٧١].

لله وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله» وذكر منهم رجلاً تصدَّق بصدقَةٍ فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفقُ يمينه^(٢). متفق عليه.

لله وفي الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصومُ جنةٌ، والصدقَةُ تُطفيءُ الخطيئةَ كما يُطفيءُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليلِ شعارُ الصالحين، ثم تلا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]^(٣)، وفي بعض الآثار: «باكروا بالصدقَةِ؛ فإنَّ البلاءَ لا يتخطأها»^(٤).

لله وفي حديث سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً وكنا في صفةٍ بالمدينة فقام علينا فقال: «إني رأيتُ البارحةَ عجباً، رأيتُ رجلاً من أمّتي أتاه ملكُ الموتِ ليقبضَ روحه، فجاء برُّه بوالديه فردَّ ملكُ الموتِ عنه، ورأيتُ رجلاً من أمّتي قد بُسطَ عليه عذابُ القبرِ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧٨٣١)، وشعب الإيمان (٣٠٨٢، ٣٠٨٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٦٤٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً.

فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطينُ، فجاءه ذكرُ الله ﷻ وطرد الشياطينَ عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكةُ العذابِ فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهبُ - وفي رواية: يلهثُ - عطشاً، كلما دنا من حوضٍ مُنع وطُردَ، فجاءه صيامُ رمضان فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً، كلما دنا إلى حلقةٍ طُردَ، فجاءه غُسله من الجنابةِ فأخذَ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمةٌ، ومن خلفه ظلمةٌ، وعن يمينه ظلمةٌ، وعن يساره ظلمةٌ، ومن فوقه ظلمةٌ، وهو متحيرٌ فيها، فجاءه حجُّه وعمرته فاستخرجاه من الظلمةِ وأدخلاه في النورِ، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي بوجهه وهج النارِ وشرره، فجاءته صدقته فصارت سُترَةً بينه وبين النارِ، وظللتُ على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي يُكلمُ المؤمنين ولا يُكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشرَ المسلمين، إنه كان وصولاً لرحمه فكلّموه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطينُ فجاءه أمره بالمعروفِ ونهيه عن المنكرِ فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكةِ الرحمةِ، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله ﷻ حجابٌ فجاءه حُسنُ خلقه فأخذَ بيده وأدخله على الله، ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبَت صحيفته من قِبَلِ شماله فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذَ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي خَفَّ ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفيرِ جهنمِ، فجاءه رجاؤه في الله ﷻ فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوى في النارِ فجاءته دمعته التي بكى من خشيةِ الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراطِ يرعدُ كما ترعدُ السَّعْفَةُ في ريحِ عاصفٍ، فجاءه حُسنُ ظنه بالله ﷻ فسكَّن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحفُ على الصراطِ ويحبو أحياناً ويتعلَّق أحياناً فجاءته صلاته فأقامته على

قدميه وأنقذته، ورأيتُ رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فعلقَت الأبوابُ دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ففتحت له الأبوابُ وأدخلته الجنة»^(١) رواه الحافظ أبو موسى المدني قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يُعظِّم شأنَ هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه^(٢). انتهى.

◊ وبمناسبة سياقه هنا، قوله: فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظللت على رأسه. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفي تمثيل النبي ﷺ للصدقة بمن قدَّم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية؛ فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياها تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفككه منه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد: «يا معشر النساء تصدقن ولو من حُلِيِّكُن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، وكأنه حَضَّهنَّ ورغبهنَّ على ما يفدين به أنفسهن من النار^(٣).

اللهم قوِّ إيماننا بك وبملائكتك وبكتبتك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيرِه وشرِّه، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلِّ على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٧٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٥٢٦)، وابن بشران في أماليه (٢٥٠)، وعبد الخالق بن أسد في معجمه (٧٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٧ / ٣٤)، وأبو موسى المدني في الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية، كما في الوابل الصيب (ص ٨٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٦٥).

(٢) انظر: الوابل الصيب (ص ٨٣)، والروح (ص ٨٣).

(٣) الوابل الصيب (ص ٨٣)، وحديث «يا معشر النساء...» أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٨٩).

(فصل)

◇ وصدقة التطوع بطيب نفس أفضل منها بدونه، لما في حديث عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ فعلهنَّ فقد ذاق طعمَ الإيمانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وحده، وَعَلِمَ أن لا إله إلا الله وأعطى زكاةً ماله طيبةً بها نفسه»^(١) رواه أبو داود.

◇ والصدقة في الصحة أفضل منها في غيرها، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: «أن تصدقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقرَ وتأمل الغنى، ولا تمهلُ حتى إذا بلغتَ الحلقومَ قلتَ لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»^(٢) متفق عليه.

◇ فالعاقل من يُسابق في ميدان الخيرات بما يقدمه من الصلة والإحسان لإخوانه الفقراء الذين أناخ الفقر عليهم وعَضَّهم البؤس بنابه وأوجعهم بكِلايه، الذين لا موارد لهم، لا قليلٌ ولا كثيرٌ، الذين لو رأيتهم لظننتهم من الأغنياء وأهل الثروة والمال، والله أعلم بما يقاسونه من الديون لما تحت أيديهم من الصغار والكبار وما يُقاسون من ألم الجوع والفقر والشدة والعسر، لكن يمنعهم الحياء وعزة النفس أن يمدوا أيديهم للسؤال، وأن يطلبوا الرزق إلا من الله الكبير المتعال الرزاق، وهؤلاء هم الذين ينبغي الاعتناء بهم والبحث عن أحوالهم، وذلك عن طريق جيرانهم وأقربائهم، حتى تقع الصدقة موقعها، وقد ورد في القرآن وصفهم قال تعالى:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢).

♦ وأوصى بهم النبي ﷺ، ففي الحديث الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكينُ الذي يطوفُ على الناسِ تردُّه اللقمةُ واللقمتانِ والتمرَّةُ والتمرتانِ، ولكنِ المسكينُ الذي لا يجدُ غنيُّ يُغنيه ولا يُفطنُ له فيصدَّقُ عليه، ولا يقومُ فيسألُ الناسَ»^(١).

♦ ولما كان الصحابةُ رضي الله عنهم حريصين جداً على ما يُقرَّب إلى الله من أنواعِ الطاعاتِ؛ سأل أحدهم النبي ﷺ: أيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ فأجابهُ ﷺ بقوله: «أن تصدَّق وأنت صحيحٌ» أي: الجسم، مُعافا في البدنِ، تتمتع بقواك العقليةِ والجسميةِ، شحيحٌ تأملُ الغنى، أي: تطمع فيه لقدرتك عليه عن طريقِ المكاسبِ والأرباحِ وتخشى الفقرَ، وإنما كانت الصدقةُ في هذه الحالِ أفضلُ لما تستدعيه من شدةِ مُجاهدةِ النفسِ على إخراجِ المالِ مع قيامِ المانعِ وهو الشحُّ، فأخراجه حينئذٍ دليلٌ واضحٌ على قوةِ الإيمانِ وحُسنِ النيةِ وصحةِ القصدِ وشدةِ الرغبةِ فيما يُقرَّب إلى الله، «ولا تُمهل حتى إذا بلغتِ الحلقومَ» أي: بلغتِ الروحُ مجرى النَّفسِ، وذلك عندِ الغرغرةِ، «قلت لفلان كذا ولفلان كذا»: وهذا كنايةٌ عن الموصي والموصى له، فالحديث يُرشدنا إلى أنه لا ينبغي لنا أن نؤخر الصدقةَ إلى وقتِ معاينةِ الموتِ والإيذانِ بالانصرافِ عن الدنيا ومفارقةِ نعيمها وقد نبهنا الله ﷻ على هذا حيث يقول: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩).

❖ روى البخاريُّ من حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَيْكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ»؟ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنْ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ»^(١).

❖ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَنْفِي، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَقْنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٢) رواه مسلم.

اللهم اختتم بالأعمالِ الصالحاتِ أعمارَنا وحقِّقْ بفضلكِ آمالَنا، وسهِّلْ لبلوغِ رضاكِ سبلَنا، وحسِّنْ في جميعِ الأحوالِ أعمالَنا، يا مُنقِذَ الغرقى، ويا مُنْجِيَّ الهلكى، ويا دائِمَ الإحسانِ أذقنا بردَ عفوِكَ، وأنلنا مِن كرمِكَ وجودِكَ ما تقرُّ به عيونُنا مِن رؤيتِكَ في جناتِ النعيمِ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، برحمتِكَ يا أرحَمَ الراحمين، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٩).

٢- وأفضل الصدقة جهد من مقل:

◊ وكان السلف يؤثرون على أنفسهم، فيقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

◊ وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»^(١)، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ [الإنسان: ٨] وقوله: ﴿وَأَتَىٰ أَلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرد الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم ﷺ^(٢).



(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٤٩)، والنسائي في سننه (٢٥٢٦) بنحوه من حديث عبد الله بن حُبَيْشٍ الخثعمي ﷺ، أبو داود في سننه (١٤٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.
 (٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (الطبقة الرابعة من الصحابة) (١٤٥)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٥٩) (٣٣٤٢)، والحاكم في المستدرک (٥٠٥٨)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٠٣٠).

٣ - بيان عظم ثواب الصدقة في شهر رمضان وفي الحرمين:

♦ والصدقة في رمضان أفضل منها في غيره، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»^(١).

♦ ولأن الصدقة في رمضان إعانة على أداء فريضة الصوم، وفي أوقات الحاجات أفضل منها في غيرها لقوله تعالى: ﴿أَوْ إطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بِنِيمَاءٍ مَّقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٤-١٦].

♦ والصدقة في كل زمانٍ فاضل كالعشر، أفضل منها في غيرها، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله، قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(٢).

♦ والصدقة في الحرمين أفضل منها في غيرها لتضاعف الحسنات بالأمكنة الفاضلة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

وزاد في رواية: «فإني آخرُ الأنبياءِ، وإن مسجدي آخرُ المساجدِ»^(١).

وزاد في حديث آخر: «صلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ من مائةِ ألفِ صلاةٍ فيما سواه»^(٢).

اللهم ثبّت محبّتك في قلوبنا وقوّها، وألهمنا ذكرك وشكرك، ويسّرنا
لليسرى، وجنبنا العسرى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا
أرحمّ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (١٣٩٤/٥٠٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٤٠٦).

٤- الأولوية في الصدقة للأقرباء والجار وطلاب العلم:

♦ والصدقة على ذي الرحم أفضل منها على غيره، لا سيما مع عداوة، أما الدليل على أفضليتها في القرابة، فلحديث سلمان بن عامر رضي الله عنه المتقدم: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثتان: صدقة وصله»^(١).

❦ ولقوله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة رضي الله عنه: «إني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٢).

❦ وأما الدليل على التأكد مع العداوة، فلما ورد عن أم كلثوم رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»^(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

❦ وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقات؛ أيها أفضل؟ قال: «على ذي الرحم الكاشح»^(٤).

♦ ثم الصدقة على الجار أفضل لقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْيَقِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

❦ وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»^(٥).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٢٢٧)، والترمذي في سننه (٦٥٨)، والنسائي في سننه (٢٥٨٢)، وابن ماجه في سننه (١٨٤٤)، والدارمي في مسنده (١٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٩٨)، والطبراني في الكبير (٨٠ / ٢٥) (٢٠٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٣٢٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري (٦٠١٤)،

ومسلم (٢٦٢٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ﷺ وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ»^(١).

◆ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْصَّ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]، وَكُونُهَا عَلَى عَالِمٍ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِ إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرِ الدِّينِ، وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ، وَكُونُهَا عَلَى صَاحِبِ دِينٍ أَفْضَلُ، وَكَذَا عَلَى ذِي عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

◆ وَالْمَنْ بِالصَّدَقَةِ كَبِيرَةٌ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

◆ وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ، أَوْ وَكَّلَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ بَدَّلَهُ أَنْ لَا يَتَصَدَّقَ بِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ يُمَضِّيه، وَلَا يَجِبُ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخْرَجَ طَعَامًا لِسَائِلٍ فَلَمْ يَجِدْهُ؛ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخِرُ^(٢)، وَقَالَ الْحَسَنُ^(٣)، وَيَتَصَدَّقُ بِالْجَيِّدِ، وَلَا يَقْصِدُ الْخَبِيثَ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ، لَمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ»^(٤).



(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (٢٣٤٠)، وروى ابن زنجويه نحوه عن ابن عباس (٢٣٣٧) وعبد الله بن عمر (٢٣٣٨) رضي الله عنهما، وإبراهيم النخعي (٢٣٤٥)، وأخرجه البغوي في شرح السنة تعليقا (٦/ ٢١٠)، وقال: ومثله عن عكرمة وإبراهيم النخعي.

(٣) انظر: كشاف القناع للبهوتي (٢/ ٢٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٤٩)، والنسائي في سننه (٢٥٢٦) بنحوه من حديث عبد الله بن حُبَيْشٍ الخثعمي رضي الله عنه، أبو داود في سننه (١٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(موعظة)

إخواني، إنكم في دارٍ هي محلُّ العِبَرِ والآفاتِ، وأنتم على سفرٍ والطريقُ كثيرةُ المخافاتِ، فتزوّدوا من دنياكم قبل المماتِ، وتداركوا هفواتكم قبل الفواتِ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلواتِ، وتفكّروا فيما أراكم من الآياتِ، وبادروا بالأعمالِ الصالحاتِ، واستكثروا في أعماركم القصيرةِ من الحسناتِ، قبل أن يُناديَ بكم مُنادِ الشّتاتِ، قبل أن يُفاجئكم هادمُ اللذاتِ، قبل أن يتصاعدَ منكم الأنينُ والزفراتُ قبل أن تنقطعَ قلوبكم عند فراقكم حشراتِ، قبل أن يغشاكم من غمِّ الموتِ الغمراتُ، قبل أن تُزعجوا من القصورِ إلى بطونِ الفلواتِ، قبل أن يُحالَ بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياةِ قبل أن تتمنّوا رُجوعكم إلى الدنيا، وهيئات.

شعرا:

أَيَا لَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى	صَرِيحًا عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
تَأْمَلُ هَذَاكَ اللَّهُ مَائِمًا وَانْتَبَهُ	فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يَرَكَّبُ
وَتَرَكِيئُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِنْ تَفَتَتْ	فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَيِّتَةِ مَطْلَبُ
فَيَا عَجَبًا مِنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِهِ	وَعَنْ حَظِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
وَلَوْ عَلِمَ الْمُحْرُومُ أَيُّ بِضَاعَةٍ	أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
فَإِنْ كَانَ لَا يَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ	وَإِنْ كَانَ يَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَضَعَبُ
بَلَى سَوْفَ يَدْرِي حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا	وَيُضِيحُ مَسْلُوبًا يَنْوُحُ وَيَنْدُبُ
وَتَعْجَبُ مِمَّنْ بَاعَ شَيْئًا بِدُونِ مَا	يُسَاوِي بِإِلَاعِلِمٍ وَأَمْرُكَ أَعْجَبُ

لَأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا
 فَهَلَّا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
 تَصُدُّ وَتَنَأَى عَنِ حَبِيبِكَ دَائِمًا
 سَتَعَلِّمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيَّ تِجَارَةٍ
 بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيَذْهَبُ
 وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ وَالْحُكْمُ يَغْلِبُ
 فَأَيِّنَ عَنِ الْأَخْبَابِ وَيَحَكَ تَذْهَبُ
 أَضَعْتَ إِذَا تِلْكَ الْمَوَازِينُ تُنْصَبُ
 اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ، واجعلنا من عبادك الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ،
 وامن علينا بالعفوِ والعتقِ مِنَ النَّارِ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين،
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، برحمتك يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ، وصلى اللهُ على محمدٍ
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل) في ذكر طرف من الفوائد المترتبة على أداء الزكاة

وبذل صدقة التطوع والمضار المترتبة على منع الزكاة:

- ١) امتثال أمر الله ورسوله.
 - ٢) تقديم ما يُحبه الله على محبة المال.
 - ٣) إن الصدقة برهان على إيمان صاحبها، كما في الحديث «والصدقة برهان».
 - ٤) شكر نعمة الله المتفضل على المخرج بما أعطاه من المال.
 - ٥) السلامة من وبال المال في الآخرة.
 - ٦) تنمية الأخلاق الحسنة والأعمال الفاضلة الصالحة.
 - ٧) التطهير من دنس الذنوب والأخلاق الرذيلة، قال الله تعالى: ﴿حَذِّمْنَ
- أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].
- ٨) إضعاف مادة الحسد والحقد والبغض أو قطعها كلياً.
 - ٩) تحصين المال وحفظه، لحديث: «حصّنوا أموالكم بالزكاة»^(١).
 - ١٠) إن الصدقة دواء من الأمراض، لحديث «داووا مرضاكم بالصدقة»^(٢).
 - ١١) الاتصاف بأوصاف الكرماء.
 - ١٢) إنها سبب لدفع البلاء.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٢٨) (١٠١٩٦)، والأوسط (١٩٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٨) والدعاء (٣٤) بنحوه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان بنحوه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه (٣٢٨٠)، وأبي أمامة رضي الله عنه (٣٢٧٩)، وأخرجه أبو داود في المراسيل (١٠٥) عن الحسن البصري رضي الله عنه مرسلًا.

(٢) انظر الحديث السابق، كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(١٣) التمرنُ على البذلِ والعطاءِ.

(١٤) إنها سببٌ لدفعِ جميعِ الأَسقامِ، لحديث: «باكروا بالصدقة؛ فإن البلاءَ لا يتخطأها»^(١).

(١٥) إنها سببٌ لجلبِ المودة؛ لأنها إحسانٌ، والنفوسُ مجبولةٌ على حُبِّ مَنْ أحسنَ إليها.

(١٦) إنها سببٌ للدعاءِ مِنَ القابضِ للدافعِ، وتقدّمِ الأدلةُ.

(١٧) إن منعَ الزكاةِ سببٌ لمنعِ القطرِ، لحديث: «ولا منعوا الزكاةَ إلا حِسَسَ عنهم القطرُ»^(٢).

(١٨، ١٩) الفوزُ بالمطلوبِ والنجاةُ من المرهوبِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وقد فُسِّرَ الفلاحُ بأنه الفوزُ بالمطلوبِ والنجاةُ من المرهوبِ، وهذا من جوامعِ الكَلِمِ.

(٢٠) إنها تدفعُ ميتةَ السوءِ، كما في الحديثِ: «إن الصدقةَ تُطفيءُ غضبَ الربِّ، وتدفعُ ميتةَ السوءِ»^(٣).

(٢١) إن المتصدقَ يكون في ظلِّ الله يومَ القيامةِ، كما في الحديثِ: «سبعةٌ يُظللُّهم اللهُ في ظلِّه»، وذكر منهم رجلاً تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها، حتى لا تعلمَ

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧٨٣١)، وشعب الإيمان (٣٠٨٢، ٣٠٨٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

مرفوعاً وموقوفاً، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٦٤٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٥ / ١١) (١٠٩٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الداني في السنن الواردة

في المتن (٣٢٦) بنحوه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه البزار في مسنده (٣٣٣ / ١٠) (٤٤٦٣)،

الحاكم في المستدرک (٢٥٧٧) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٦٤).

شماله ما تنفق يمينه^(١) ... الحديث، وتقدّم، وفي الحديث الآخر: «وإنما يستظلُّ المؤمن يوم القيامة في ظلِّ صدقته»^(٢).

(٢٢) الفوزُ بالثناءِ مِنَ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى مدَحَ المُنفِقينَ والمتصدِّقينَ.

(٢٣، ٢٤، ٢٥) الفوزُ بالأجرِ مِنَ اللهِ، والأمنِ مما يُخافُ منه، ونفي الحزنِ عنهم قال اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

(٢٦) إن أداءَ الزكاةِ سببٌ لنزولِ القطرِ، كما أن منعها سببٌ لحبسه.

(٢٧) إنها سببٌ لمحبةِ اللهِ؛ لأنَّ المتصدِّقَ مُحسِنٌ على المُتصدِّقِ عليه، واللهُ يُحبُّ المُحسِنينَ.

(٢٨) السلامةُ مِنَ كُفْرِ نعمةِ اللهِ.

(٢٩) الخروجُ من حقوقِ اللهِ وحقوقِ الضعفاءِ.

(٣٠، ٣١، ٣٢) أنها سببٌ للرزقِ والنصرِ، كما في الحديث: «وكثرةُ الصدقةِ في السرِّ والعلانيةِ؛ تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا»^(٣).

(٣٣) إنها تُطفيءُ عن أهلها حرَّ القبورِ، كما في الحديث: «إن الصدقةَ لتُطفيءُ عن أهلها حرَّ القبورِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٣٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٨٦) (٧٨٨) واللفظ له من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وأخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٤٣) بنحوه عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٠٨١).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٨٦) (٧٨٧، ٧٨٨).

(٣٤) إنها تزيد في العمر، كما في الحديث: «إن صدقة المسلم تزيد في العمر»^(١).
 (٣٥) السلامة من اللعن الوارد في مانع الزكاة، لما روى الأصبهاني عن عليّ رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وشاهده وكتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له^(٢).

(٣٦) الفوز بالقرب من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية.

(٣٧) الوعد بالخلف للمنفق، لحديث «اللهم أعط منفقاً خلفاً»^(٣).

(٣٨) الظفر بدعاء الملائكة للمنفق.

(٣٩) إن في إخراج الزكاة حلاً للأزمات الاقتصادية وسوء الحالة الاجتماعية، فلو أن أهل الأموال الزكوية تنسحوا منها ووضعوها في مواضعها لقامت المصالح الدينية والدنيوية، وزالت الضرورات واندفعت شروء الفقراء، وكان ذلك أعظم حاجز وسد يمنع عبث المفسدين، وفي الحديث: «واتقوا الشح؛ فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٤).

(٤٠) إن الله يُعين المتصدق على الطاعة، ويُهيئ له طريق السداد والرشاد، ويُدلل له سبيل السعادة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٢) (٣١)، وابن بشران في أماليه (١٥٠١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦٣٥)، والنسائي في سننه (٥١٠٣) بنحوه، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٤٧١).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

٦ ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْبَشَرِ﴾ [الليل: ٥-٧].

(٤١) إن منع الزكاة يُخْبِثُ المَالَ الطيبَ، لحديث: «مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا خَبِثَهُ مَنَعُ الزَّكَاةِ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا لَمْ تُطَيَّبْهُ الزَّكَاةُ»^(١) رواه الطبراني في الكبير موقوفاً بإسنادٍ مُنْقَطِعٍ.

(٤٢) إن منع الزكاة سببٌ لتَلَفِ المَالِ، لحديث: «مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ»^(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وهو حديثٌ غريبٌ.

(٤٣) إن منع الزكاة سببٌ للابتلاءِ بالسنينِ، لما في الحديث: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ»^(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ورؤاؤه ثقاتٌ.

(٤٤) إن مَنْ لَمْ يُوَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، لحديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوْلَى ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوْلَى ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمِيرٌ مُسَلِّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ»^(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان مفرداً في موضعين.

(٤٥، ٤٦) إن الصدقة يُذْهِبُ اللَّهُ بِهَا الكِبْرَ والفَخْرَ، لحديث: «إن صدقة المسلم تزيد في العمر، وتمنع مئة سوء، ويذهب الله بها الكبر والفخر»^(٥) رواه الطبراني.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧١٤٨)، والطبراني في الكبير (٣١٩ / ٩) (٩٥٩٦).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٨)، والدعاء (٣٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٥٧٧، ٦٧٨٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤٢)، والترمذي في سننه (٩٤٩٢) ببعضه، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٣١٢، ٤٦٥٦، ٧٢٤٨، ٧٤٨١).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢ / ١٧) (٣١)، وابن بشران في أماليه (١٥٠١).

(٤٧) السلامة من التطويق بالشجاع الأقرع، كما في الحديث: «ما من أحدٍ لا يؤدِّي زكاة ماله، إلا مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شجاعاً أقرعاً يطوق به عنقه»^(١).

(٤٨) السلامة من صفة المنافقين، لما في الحديث: «ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فقبلوها، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزَّكَاةُ فَأَكَلُوهَا، أولئك هم المنافقون»^(٢) رواه البزار.

(٤٩، ٥٠) إن البلاء لا يتخطى الصدقة، «وإنها تسدُّ سبعين باباً من السوء»^(٣). رواه الطبراني في الكبير، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «باكروا بالصدقة؛ فإن البلاء لا يتخطاها»^(٤) رواه البيهقي مرفوعاً، وموقوفاً على أنسٍ رضي الله عنه ولعله أشبهه.

(٥١) إن الصدقة حجابٌ من النار لمن احتسبها، لما روى عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله، أفتنا عن الصدقة، فقال: «إنها حجابٌ من النار لمن احتسبها يتغني بها وجه الله ﷻ»^(٥) رواه الطبراني.

(٥٢) إن إخراج الصدقة يؤلم سبعين شيطاناً، لما ورد عن بُريدة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخرج رجلٌ شيئاً من الصدقة، حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً»^(٦) رواه أحمد والبزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

(٥٣) إن الله يسخر للمتصدق ما يكون سبباً لنمو ماله، كبركة في ظمأ نهرٍ وسقي أرض، كما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا رجلٌ

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٠١٢)، والنسائي في سننه (٢٤٤١)، وابن ماجه في سننه (١٧٨٤).

(٢) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٨٨٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٤ / ٤) (٤٤٠٢).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧٨٣١)، وشعب الإيمان (٣٠٨٢، ٣٠٨٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٦٤٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥ / ٢٥) (٦٢).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٩٦٢)، والبزار في مسنده (٤٤٥٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٥٧)، والطبراني في الأوسط (١٠٣٤).

في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان؛ للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لم سألتني عن اسمي؟ قال: سمعت في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان؛ لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه»^(١) رواه مسلم.

(٥٤) إن الصدقة لا تُنقص المال خلافاً لما يظنه بعض الجهال لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال»^(٢) ... الحديث. رواه مسلم.

(٥٥) إن الصدقة إذا كانت من كسب طيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبها، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصدّق بعدلٍ تمرّة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبّلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أهدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل»^(٣) متفق عليه.

(٥٦) إن الصدقة سبب من أسباب المعية الخاصة؛ لأن المتصدق مُحسنٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

(٥٧) إن المصدّقين يُضاعف الله لهم ثواب أعمالهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى حيث شاء الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾
[الحديد: ١٨].

(٥٨) «إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء»^(١)، وقال الترمذي:
حسن غريب.

(٥٩) إن بإخراج الزكاة كل سنة يرى الفقراء أن الأغنياء لهم فضل عليهم فيدافعون عنهم ما استطاعوا، أما كف اليد عنهم ومنع معروفهم أن يصل إليهم، فإنه يوغر صدورهم ويملؤها حقدًا عليهم، ويجتهدون في سلب حياتهم للوصول إلى أموالهم المخزونة، فتكون الحياة مهددة، والأمن مفقودًا.

(٦٠) إن منع الصدقات يزيل النعم ويخرّب الديار العامرة، وتأمل قصة أصحاب الجنة المذكورة في سورة ن، والقلم وما يسطرون، قال تعالى: ﴿فَنَادُوا مُصِيبِينَ مَسْكِينٍ﴾ [القلم: ٢١-٢٤] إلى قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ [١٩] فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ [القلم: ١٩، ٢٠]. وتأمل قصة ثعلبة في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِن آتَيْنَاهُم مِّن فَضْلِهِ لَيُنصَرِفْنَ وَلَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٧٥] فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٦٤).

(موعظة)

عبادَ الله، إن المؤمنَ باللهِ حقًا يبتعدُ عن المعاصي كما يبتعدُ عن النارِ، فإذا زلَّ مرةً من المراتِ اضطربتْ أعصابُهُ، وجعل قلبُهُ يخفقُ، وأصابه ندمٌ عظيمٌ، وكلما تذكَّر تلك الهفوةَ احمرَّ وجهُهُ خجلًا، وهاجت عليه أحزانهُ، وتذكَّر عصيانهَ لسَيِّدهِ ومولاهِ، ولا يزال مُوجعَ القلبِ منكسرهَ حتى يفارق الدنيا ويُوَارَى في الترابِ.

هذا هو المعروفُ عن المؤمنِ، ولا يُعرَفُ سواه في أهل الإيمانِ؛ لأنهم يُدْرِكُونَ تمامًا أنهم إن عَصَوْا خالِقَهُم ورَازِقَهُم أنهم سيندمون ويُعاقَبُونَ إن لم يتوبوا إلى مولاهم، هذا ما كان عليه السلفُ الصالحُ ومَن تَبِعَهُم، وانظر ما عليه أكثرُ الناسِ اليومَ في هذا العصرِ المظلمِ من الجرأةِ على انتهاكِ محارمِ الله، تتمثلُ أمامك حالُهُم بحالةِ قومٍ لا يؤمنون بثوابٍ ولا عقابٍ، تراهم قد أضاعوا الصلاةَ وأصرُّوا على منع الزكاةِ إلا النوادرَ منهم، تراهم يُطارِدون النساءَ في الأسواقِ ويشربون الدُّخَانَ علنًا، ويحلِّقُونَ اللَّحَى كذلك، ويغُشُّون في معاملاتِهِم، تراهم أمامَ الملاهي والمنكراتِ ليلاً ونهارًا، تراهم يوالون أعداءَ الله ويُعظِّمُونهم، تراهم لم يكتفوا بالمعاصي في بلادِهِم، بل يذهبون إلى البلادِ الأخرى، بلادِ الفسقِ والفجورِ والحريةِ، وينفقون فيها الأموالَ الطائلةَ في ما يُغضب الله الذي أغنى وأقنى، ولكن ليعلم هؤلاء الفسقةُ أن الله لا يغفلُ عن أعمالِهِم السيئةِ، وسوف تشهد عليهم بها الأرضُ والسمواتُ، ولا تبكي عليهم لا هذه ولا هذه يومَ يتجرَّعون كأسَ المماتِ، ويشهد بها عليهم الملكان؛ كاتبُ الحسناتِ وكاتبُ السيئاتِ، ويشهد بها عليهم الحفظةُ الذين يتعاقبون على حفظِهِم تعاقبَ الحراسِ، ويشهد بها عليهم جوارحُهُم التي

باشرت فعل المعاصي، ويشهد بها خير شاهد، وهو مولا هم ﷺ، الذي تستوي الشهادة عنده والغيوب، ويشهد بذلك عليهم كُتِبَ أعمالهم التي كل ما فعلوا بها مكتوبٌ، حتى إذا رأوها يوم القيامة وبدا لهم ما لم يكن لهم في حساب؛ فزِعُوا، وقالوا: يا ويلتنا، ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلمُ ربُّك أحداً، كل هؤلاء يشهدون على العاصين بالمعاصي فيسجّلون عليهم ما قدّمته أيديهم، وليس لذلك نتيجة إن لم يتوبوا إلا غضبُ الربِّ عليهم، وإلقاءهم في دارِ المجرمين الجانين؛ جهنم، وإذا كان الأمر هكذا فلماذا يفرح العصاة؟!، ومن ورائهم جهنم التي لا تُبقي ولا تدر، التي ترمي بشرير كالقصر كأنه جملة صُفر.



شعرًا:

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُّوا لِذِيذِ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

آخر:

وَكَيْفَ يَلدُّ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ الْمَنَائِبَا بَغْتَةً سَتُعَاجِلُهُ
وَكَيْفَ يَلدُّ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ

نسأل الله تعالى النجاة منها، وأن يوفقنا للأعمال المؤهلة لدار الخلد، وأن
يوفقنا ولاتنا للقيام على هؤلاء المجرمين، وردعهم وإلزامهم سلوك طرق
الحق، إنه القادر على ذلك.

اللهم اجعل في قلوبنا نورًا نهتدي به إليك، وتولنا بحسن رعايتك حتى
نتوكل عليك، وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



موعظة في التحذير عن الانهماك

في الدنيا ولذاتها وشهواتها

عباد الله، إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل؛ إما بنعمة زائلة، أو بليّة نازلة أو منية قاضية.

مسكينٌ من اطمأن ورَضِيَ بدارٍ حلالها حسابٌ، وحرائمها عقابٌ، إن أخذه من حلالٍ حوسبَ عليه، وإن أخذه من حرامٍ عُدبَ به، من استغنى في الدنيا فُتِنَ، ومن افتقر فيها حَزِنَ، من أحبّها أدلّته، ومن التفت إليها ونظرها أعمته.

لَوْ كُنْتَ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَىٰ دُنْيَاكَ هَٰذِي لَمَّا أَلْفَيْتَ كَذَابًا

لَقُلْتَ تِلْكَ بَلَادٌ بَتَّتْهَا سَقَمٌ وَمَا وَهَا الْعَذْبُ سُمٌّْ لَلْفَتَىٰ ذَابًا

وكم كُشِفَ للسامعين عن حقيقة الدنيا، وبُيِّنَ لهم قصر مدتها وانقضاء

لذتها بما يضرب من الأمثال الحسية، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

لَعِبٌ وَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ عَارِضٌ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

شَرَحَ لَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَالَ الدُّنْيَا الَّتِي افْتَتِنَ النَّاسُ بِهَا، الَّذِينَ قَصُرَ نَظْرُهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مِنْ مَحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَزْكُنُ إِلَيْهَا الْعُقَلَاءُ فَضْلًا عَنِ الْاِفْتِتَانِ بِهَا وَالْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا، وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِي تَحْصِيلِهَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ لَا ثَمْرَةَ فِيهِ سِوَى التَّعَبِ، وَلَهُوَ تَشْغَلُ صَاحِبِهَا وَتَلْهِيهَ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ، وَزِينَةٌ لَا تَفِيدُ الْمَفْتُونِ بِهَا شَرْفًا ذَاتِيًّا، كَالْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَرَكَبِ الْبَهِيَّةِ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الْوَاسِعَةِ، وَتَفَاخُرًا بِالْأَنْسَابِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ، وَمَبَاهَاةً بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَظْمِ الْجَاهِ.

ثم أشار جلُّ شأنه إلى أنها مع ذلك سريعةُ الزوالِ، قريبةُ الاضمحلالِ، كَمَثَلِ غَيْثِ رَاقِ الزُّرَاعِ نَبَاتِهِ النَّاشِئُ بِهِ، ثُمَّ يَهِيجُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَنْمُو إِلَى أَقْصَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، فَسِرْعَانِ مَا تَرَاهُ مَصْفَرًّا مُتَغَيِّرًا ذَابِلًا، بَعْدَ مَا رَأَيْتَهُ أَخْضَرَ نَاضِرًا، ثُمَّ يَصِيرُ مِنَ الْيَبْسِ هَشِيمًا مُتَكَسِّرًا، فِيهِ تَشْبِيهُ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّنِينِ الْكَثِيرَةِ بِمُدَّةِ نَبَاتِ غَيْثٍ وَاحِدٍ يَفْنَى وَيُضْمَحِلُّ وَيَتَلَشَّى فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ، إِشَارَةً إِلَى سِرْعَةِ زَوَالِهَا وَقُرْبِ فَنَائِهَا، وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ ﷺ حَقَارَةَ الدُّنْيَا وَسِرْعَةَ زَوَالِهَا تَزْهِيدًا فِيهَا، وَتَنْفِيرًا وَتَحْذِيرًا مِنَ الْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا، أَشَارَ إِلَى فَخَامَةِ شَأْنِ الْآخِرَةِ وَفِظَاعَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْآلَامِ وَعَظْمِ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ تَرْهِيبًا مِنْ عَذَابِهَا الْأَلِيمِ، وَتَرْغِيبًا فِي تَحْصِيلِ النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَالنَّاسُ فِيهَا قَسْمَانُ؛ فُطْنَاءٌ قَدْ وَقَّعَهُمُ اللَّهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظَلُّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ حَائِلٌ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، بَلْ فَهَمُّوا أَنَّهَا نَعَمٌ فِي طَيْبِهَا نَعَمٌ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا حَيَاةٌ فَانِيَةٌ، وَأَنَّهَا مَعْبَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، فَرَضُوا مِنْهَا بِالسَّيْرِ، وَقَنَعُوا مِنْهَا بِالْقَلِيلِ، فَاسْتَرَاخَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ هَمِّهَا وَأَحْزَانِهَا، وَاسْتَرَاخَتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ نَصَبِهَا وَعَنَائِهَا، وَسَلِمَ لَهُمْ دِينُهُمْ، وَكَانُوا عِنْدَ اللَّهِ هَمَّ الْمَحْمُودِينَ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ دُنْيَاهُمْ عَنِ طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ.

جعلوا النفس الأخير وما وراءه نُصِبَ أعينهم، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا، وإيمانهم سالمٌ لهم، وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، وما الذي يتركونه لأعدائهم في الدنيا، ومن لا يُغنيهم من الله شيئاً ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] ويبقى عليهم وبالٌ ما جمعوا وما عمروا في غير طاعة الله.

أدرَكُوا كَلَّ هَذَا فَتَاهَبُوا لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ، وَأَعَدُّوا الْجَوَابَ لِلْحِسَابِ، وَقَدَّمُوا الزَّادَ لِلْمَعَادِ، وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى، فَطُوبَىٰ لَهُمْ خَافُوا فَآمَنُوا، وَأَحْسَنُوا فَفَازُوا وَأَفْلَحُوا.

شعرا:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنًا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ سَكْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، وأعنا على أنفسنا والشيطان، وآيسه منا كما آيسته من رحمتك يا رحمن، وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

والقسمُ الثاني من الناسِ جهالٌ عُمِّي البصائرِ لم ينظروا في أمرِها، ولم يكشفوا سوءَ حالِها ومآلِها، برزت لهم بزيتها ففتنتهم، فإليها أخلدُوا، وبها رضوا، ولها اطمأنوا، حتى ألهتُهم عن الله تعالى، وشغلتهم عن ذكرِ الله وطاعته، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ لِنَارٍ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨].

نعم، إنهم نسوا الله وأهملوا حقوقه، وما قدروه حقَّ قدره، ولم يُراعوا لانهماكهم في الدنيا وتمالكهم عليها مَواجِبَ أوامره ونواهيهِ حقَّ رعايتها، فأنساهم أنفسهم، أنساهم مصالِحهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فُرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنًا لا يمكن تداركه ولا يُجبر كسره، وسيرون يومَ القيامةِ مِنَ الأحوالِ ما يُنسيهم أرواحهم، ويجعلهم حيارى ذاهلين يوم تذهلُ كلُّ مُرضعةٍ عمًّا أرضعت، وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وترى الناسَ سُكارى، وما هم بسُكارى، ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ.

وفي مثل هذا يقول أحد العلماء: اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طُلب منك دليلٌ انطماسٍ بصيرتك، أقاموا الدنيا فهدمتُهم، واعتزوا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها مِنَ الآمالِ وأحبوا طولَ الآجالِ ونسوا الموتَ وما بعده من شدائدِ الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ
الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَأَتَتْ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ،
وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا
إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، فَلَا يُمَسِّي إِلَّا فَقِيرًا، وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا، وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ
بِقَلْبِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ
إِلَيْهِ أَسْرَعُ»^(١) اهـ.

وقال في عِدَّةِ الصَّابِرِينَ: وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا لَوْ سَاوَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ، وَأَنَّهَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ عَلَى
أَهْلِهَا.

وَأَنَّ مَثَلَهَا فِي الْآخِرَةِ كَمَثَلِ مَا يَعلُقُ بِإصْبَعٍ مَنْ أَدخَلَ إصْبَعَهُ فِي الْبَحْرِ،
وَأَنَّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وِلاهُ، وَعَالَمٌ وَمَتَعَلِّمٌ، وَأَنَّهَا سَجَنُ
الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ.

وَأَمْرُ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَيَعُدُّ نَفْسَهُ مِنَ أَهْلِ
الْقُبُورِ، وَإِذَا أَصْبَحَ فَلَا يَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ.

وَنُهيَّ عَنِ اتِّخَاذِ مَا يُرْغَبُ فِيهَا، وَلَعْنُ عَبْدِ الدِّينَارِ وَعَبْدِ الدَّرْهِمِ، وَدَعَا
عَلَيْهِ بِالْتَّعْسِ وَالْإِنْتِكَاسِ وَعَدَمِ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ بِالْإِنْتِقَاشِ.

وَأخْبَرَ أَنَّهَا خَضِرَةٌ حَلْوَةٌ أَي: تَأْخُذُ الْعَيُونَ بِخَضِرَتِهَا وَالْقُلُوبَ بِحَلَاوَتِهَا،
وَأَمْرٌ بِاتَّقَائِهَا وَالْحَذَرِ مِنْهَا كَمَا يُتَّقَى النِّسَاءُ وَيُحْذَرُ مِنْهُنَّ، وَأخْبَرَ أَنَّ الْحَرَصَ
عَلَيْهَا وَعَلَى الرِّيَاسَةِ وَالشَّرْفِ يُفْسِدُ الدِّينَ.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٦٤) إلى قوله ﷺ: «إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»، وقد عزا ابن الأثير في جامع الأصول (١١)
(١١) بقبته إلى الترمذي، وليس في سننه، وبقبته أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٠٢٥) وغيره بنحوه.

وأخبر أنه في الدنيا كراكب استظلَّ تحت شجرةٍ في يومٍ صائفٍ، ثم راح وتركها، وهذا في الحقيقة حالُ سكانِ الدنيا كلِّهم، ولكن هو ﷺ شهد هذه الحال، وعمي عنها بنو الدنيا.

ومرَّ بهم وهم يُعالجون خُصًا لهم قد وهى، فقال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك، وأمر بسترٍ على بابهِ، فنزع وقال: إنه يُذكّرني الدنيا، وأعلم الناس أنه ليس لأحدٍ منهم حقٌّ في سوى بيتٍ يسكنه، وثوبٍ يوارى عورته، وقوتٍ يُقيم صلبه.

وأخبر أن الميتَ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله، وكان يقول: الزهدُ في الدنيا يُريح القلبَ والبدنَ، والرغبةُ في الدنيا تُطيلُ الهمومَ والحزنَ، وكان يقول: مَنْ جعل الهمومَ كلَّها همًّا واحدًا، كفاه اللهُ سائرَ همومِهِ، ومَنْ تشعبتْ به الهمومُ في أحوالِ الدنيا لم يُبالِ اللهُ في أيِّ أوديتها هلكَ.

وأخبر أن بذلَ العبدِ ما فضّلَ عن حاجته خيرٌ له، وإمساكه شرٌّ له، وأنه لا يلامُ على الكفافِ، وأخبر أن عبادَ الله ليسوا بالمتنعّمين فيها، فإن أمانهم دارُ النعيمِ، فهم لا يرضون بنعيمهم في الدنيا عوضًا من ذلك النعيمِ.

وفي حديثٍ مناجاةِ موسى: «ولا تُعجبَنَّكما زينتهُ ولا ما مُتّع به، ولا تمُدّانِ إلى ذلك أعينكما، فإنها زهرةُ الدنيا وزينةُ المترفين، وإني لو شئتُ أن أزيّنكما من الدنيا بزينةٍ يعلمُ فرعونُ حينَ ينظرُ إليها أن مقدرتهُ تعجزُ عن مثلِ ما أوتيتما فعلتُ، ولكن أُرغبُ بكما عن نعيمها ذلك، وأزوِّيهِ عنكما، وكذلك أفعُلُ بأوليائي، وقديمًا ما أخرتُ لهم في ذلك، فإني لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذودُ الراعي الشفيقُ غنمه عن مراعي الهلكة، وإني لأجنيبهم سلوتها وعيشها، كما يذودُ الراعي الشفيقُ إبله عن مباركِ الغرّة، وما ذاك لهوانهم عليّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفّرًا لم تكلمه الدنيا ولم يُطغِه الهوى،

واعلم أنه لم يتزَيَّنْ لِي العبادُ بزينةٍ هي أبلغ من الزهدِ في الدنيا، فإنها زينةُ المتقين عليهم منها لباسٌ يُعرفون به مِنَ السكينةِ، والخشوعِ سيماهم في وجوههم من أثرِ السجودِ، أولئك أوليائي حقًّا، فإذا لقيتهم فاخفضْ لهم جناحَكَ، وذللْ لهم قلبَكَ ولسانَكَ».

«وقال الحواريون: يا عيسى، مَنْ أولياءِ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون؟، قال: الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا، حين نظر الناسُ إلى عاجلِها، فأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما عمِلوا أن سترُكهم، فصار استكثارُهم منها استقلالًا، وذكرُهم إياها فواتًا، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا، فما عارضهم من نائلِها رفضوه، وما عارضهم من رفعتِها بغيرِ الحقِّ وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يُجدِّدونها، وخربت بينهم فليسوا يعمرُونها، وماتت في صدورهم فليسوا يُحيُّونها، يهدمونها فينون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترى بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا بها همُّ الفرحين، ونظروا إلى أهلِها صرعى قد حلَّت بهم المثَلات، فأحيوا ذكرَ الموتِ وأماتوا ذكرَ الحياةِ، يُحبُّون الله، ويُحبُّون ذكره، ويستضيئون بنوره، ويُضيئون به، لهم خيرٌ عجيبٌ، وعندهم الخبرُ العجيبُ، بهم قام الكتابُ وبه قاموا، وبهم نطق الكتابُ وبه نطقوا، وبهم علِمَ الكتابُ وبه عمِلوا، ليسوا يرون نائلًا مع ما نالوا، ولا أمانًا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون».

«وقال: يا بني إسرائيل، اجعلوا بيوتكم كمنازلِ الأضيافِ، فما لكم في العالمِ من منزلٍ، إن أنتم إلا عابري سبيلٍ».

«وقال: يا معشرَ الحواريين، أتيكم يستطيع أن يبني فوقَ موجِ البحرِ دارًا، قالوا: يا روحَ الله، مَنْ يقدرُ على ذلك، قال: إياكم والدنيا، فلا تتخذوها قرارًا».

«وقال: حلاوةُ الدنيا مرارةُ الآخرةِ، ومرارةُ الدنيا حلاوةُ الآخرةِ».

«وقال: يا بني إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهُنْ عليكم، وأهينوا الدنيا تكرمُ عليكم الآخرة، ولا تكرموا الدنيا تهُنْ عليكم الآخرة، فإن الدنيا ليست بأهلٍ للكرامة، وكلُّ يومٍ تدعوا إلى الفتنة والخسارة».

قالوا: وقد تواتر عن السلف أن حبَّ الدنيا رأسُ الخطايا وأصلُها، وقيل: إن عيسى بن مريم عليه السلام قال: رأسُ الخطيئة حبُّ الدنيا، والنساءُ حُبالةُ الشيطان، والخمرُ جماعُ كلِّ شرٍّ^(١).



شعرا: قال الإمام الشافعي رحمته الله:

وَأظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا	خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاسْتِعَالِ مَفَارِقِي
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّْي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا	أَيَا بَوْمَةً قَدْ عَشَشْتُ فَوْقَ هَامَتِي
وَمَا أَوَاكَ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا	رَأَيْتِ خَرَابَ العُمُرِ مِنِّْي فزُرْتِنِي
طَلَّاعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خَضَابُهَا	أَنْعَمَ عَيْشًا بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي
نَنْغَصَ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا	إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ المُرِّ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
وَقَدْ فَنَيْتُ نَفْسُ تَوَلَّى شَبَابُهَا	وَعِزَّةُ عُمُرِ المَرِّ قَبْلَ مَشِيهِ
حَرَامٌ عَلَيَّ نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا	فَدَعُ عَنْكَ سَوَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا
كَمْثَلِ زَكَاةِ المَالِ تَمَّ نَصَابُهَا	وَأدَّ زَكَاةَ الجَاهِ وَاعْلَمَ بِأَنَّهَا
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا	وَأَحْسِنُ إِلَى الأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ تُرَابُهَا	وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنْكِبِ الأَرْضِ فَاخِرًا

(١) عدة الصابرين (ص ٢١٤: ٢١٩) بتصرف.

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِنْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
فَإِنْ تَجْتَنِبَهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا
إِذَا انْسَدَّ بَابُ عُنُقِكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
فَإِنَّ قُرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَنْتْ فَعَرَبَتْهَا
فَيَارَبُّ هَبْ لِي تَوْبَةً قَبْلَ مَهْلِكِ
فَمَا تَخْرَبُ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شَرَارِهَا
وَسِيقَ الْيَتَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الفَلَاةِ سَرَابُهَا
عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُّهُنَّ اجْتِنَابُهَا
وَإِنْ تَجْتَنِبَهَا نَارَ عُنُقِكَ كِلَابُهَا
فَدَعَهَا لِأَخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُهَا
وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
مُغْلَقَةَ الْأَبْوَابِ مُرَخًى حِجَابُهَا
أَبَادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلَاقِ بَابِهَا
وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا

اللهم ثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم وأيدنا
بنصرِكَ، وارزقنا من فضلك، ونجنا من عذابك يوم تبعثُ عبادك، واغفر لنا
ولو الدنيا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على
محمد وآله وسلم.



(فصل)

وعن سفيان قال: كان عيسى بن مريم يقول: حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ، والمالُ فيه داءٌ كثيرٌ، قالوا: وما دأؤه؟ قال: لا يسلّمُ من الفخرِ والخيلاءِ، قالوا: فإن سلّم؟ قال: يشغله إصلاحُه عن ذكرِ الله ﷻ، قالوا: وذلك معلومٌ بالتجربة والمشاهدة، فإن حبّها يدعو إلى خطيئةٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، ولا سيما خطيئةٌ يتوقّفُ تحصيلُها عليها، فيُسكِرُ عاشقها حبّها عن علمه بتلك الخطيئةِ وقبحها، وعن كراهتها واجتنابها، وحبّها يوقعُ في الشبهاتِ، ثم في المكروهاتِ، ثم في المحرماتِ، وطالما أوقعَ في الكفرِ، بل جميعُ الأممِ المكذّبةِ لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حبُّ الدنيا، فإن الرسلَ لما نهّوهم عن الشركِ والمعاصي التي كانوا يكتسبون بها الدنيا، حملهم حبّها على مخالفتهم وتكذيبهم، فكلُّ خطيئةٍ في العالمِ أصلها حبُّ الدنيا، ولا تنسَ خطيئةَ الأبوينِ قديمًا، فإنما كان سببها حبُّ الخلودِ في الدنيا، ولا تنسَ ذنبَ إبليسَ، وسببه حبُّ الرياسةِ، التي محبّتها شرٌّ من محبةِ الدنيا، وبسببها كفّرَ فرعونُ وهامانُ وجنودُهما وأبو جهلٍ وقومُه واليهودُ، فحبُّ الدنيا والرياسةِ هو الذي عمَرَ النارَ بأهلها، والزهدُ في الدنيا والزهدُ في الرياسةِ هو الذي عمَرَ الجنةَ بأهلها، والسُّكْرُ بحبِّ الدنيا أعظمُ من السُّكْرِ بشربِ الخمرِ بكثيرٍ، وصاحبُ هذا السُّكْرِ لا يُفيقُ منه إلا في ظلّمةِ اللحدِ، ولو انكشفَ عنه غطاؤه في الدنيا لعلمَ ما كان فيه من السُّكْرِ، وإنه أشدُّ من سُكْرِ الخمرِ، والدنيا تسحرُّ العقولَ أعظمَ سحرٍ، قال الإمامُ أحمد: حدثنا سيّارٌ، حدثنا جعفرُ قال: سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقول: اتقوا السَّحَّارَةَ، اتقوا السَّحَّارَةَ، فإنها تسحرُّ قلوبَ العلماءِ^(١).

(١) عدة الصابرين (ص ٢١٩، ٢٢٠) بتصرف.

شعراً:

مَا كُنْتُ بِالْوَانِي وَلَا الْبَطَالِ
 مَسْرُودَةً مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
 مِنْ نَبِلْهَا فَرَمْتُ بِغَيْرِ نَبَالِ
 إِذْ لَمْ أَحْصَنْ جُنَّةً لِنِضَالِ
 فِي مَازِقٍ مُتَعَرِّضًا لِنِزَالِ
 بَرْحِ الْغَلِيلِ بِرَشْفِ لَمَعِ الْآلِ
 لَوْ كُنْتُ مُتَعِظًا بِشَيْبِ قَدَالِ
 لَعَلِمْتُ أَنْ حُلُولَهُ تَرْحَالِي
 وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَحُلَّ عِقَالِي
 إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لَهَا، وَبَدَالِي
 مُتَقَلِّبٌ فِي قَبْضَةِ الْمُتَعَالِي
 بِأَقْوَالِ أَنْجُمِهَا وَخَسْفِ هِلَالِي
 وَمِنْ الْمُحَالِ تَشَاغُلٌ بِمُحَالِ
 لَعِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا مَعَ الْجُهَّالِ
 وَيُزِيلُهُ حِرْصًا لِيَجْمَعَ الْمَالِ
 يُرْجَى الْخَلَاصُ لِكَاسِبِ لِحَالِ
 بِالنَّارِ جَبْهَتُهُ عَلَى الْإِفْلَالِ
 فَاقْرَأْ عَقِيْبَةَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ
 قَدْ خَفَّ كَاهِلُهُ مِنَ الْأَثْقَالِ

لَوْ كُنْتُ فِي دِينِي مِنَ الْأَبْطَالِ
 وَلَيْسْتُ مِنْهُ لِأُمَّةٍ فَضْفَاضَةً
 لَكِنِّي عَطَلْتُ أَقْوَاسَ التُّقَى
 وَرَمَى الْعَدُوِّ بِسَهْمِهِ فَأَصَابَنِي
 فَأَنَا كَمَنْ يَلْقَى الْكَيْبَةَ أَعْزَلًا
 لَوْلَا رَجَاءُ الْعَفْوِ كُنْتُ كَنَاقِعِ
 شَابِ الْقَدَالِ فَإِنْ لِي أَنْ أَرَعُوِي
 وَلَوْ أَنَّي مُسْتَبْصِرٌ إِذْ حَلَّ بِي
 فَنَظَرْتُ فِي زَادِ لِدَارِ إِقَامَتِي
 فَلَكُمْ هَمَمْتُ بِتَوْبَةٍ فَمُنِعْتُهَا
 وَيَعِزُّ ذَاكَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي
 وَوَصَلْتُ دُنْيَا سَوْفَ تَقْطَعُ شَأْتِي
 شَغَلْتُ مُفَتَّنَ أَهْلِهَا بِفِتُونِهَا
 لَا شَيْءَ أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ عَالِمِ
 فَعَدَا يُفَرِّقُ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا
 لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَّمَا
 مَا إِنْ سَمِعْتُ بِعَائِلٍ تُكْوِي غَدَاً
 وَإِذَا أَرَدْتُ صَحِيحَ مَنْ يُكْوِي بِهَا
 مَا يَثْقُلُ الْمِيزَانَ إِلَّا بِأَمْرِي

فَأَفْضَلُ تُسْأَلُ عَنْهُ أَيُّ سُؤَالٍ
 وَأَفْنَعُ بِأَطْمَارٍ وَلُبْسٍ نِعَالٍ
 لَا يَسْتَقَرُّ وَلَا يَدُومُ بِحَالٍ
 قَدْ كَانَ يَمْلِكُهَا مِنْ الْأَقْيَالِ
 ذَرَوْ الرِّيَّاحَ الْهُوجَ حَقْفَ رِمَالٍ
 ثَبَتَتْ وَكَانُوا فَوْقَهَا كَجِبَالٍ
 وَاحْذَرْ عَلَيْكَ بِهَا مِنْ الْأَغْوَالِ
 قَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ مَهَا وَغَزَالٍ
 لِلْحَرْبِ يَقْدُمُهَا أَبُو الْأَشْبَالِ
 وَلَقَبَلْ مَا كَانُوا كَنْظَمِ لَالٍ
 عَمَّا لَقُوا فِيهَا مِنْ الْأَهْوَالِ
 بِعِبَارَةٍ كَالْوَحْيِ لَا بِمَقَالٍ
 بِجَرَائِمِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
 تَبَّتْ يَدَاهُ وَمَالُهُ مِنْ وَالٍ
 اللَّهُمَّ ثَبْتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَوَفَّقْنَا لِمَا
 وَفَّقْتَ لَهُ عِبَادَتِكَ الصَّالِحِينَ مِنْ امْتِثَالِ أَوْامِرِكَ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيكَ، وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(فصل)

وأقل ما في حبِّها أنه يُلهي عن حبِّ الله وذكره، ومن ألهاهُ ماله عن ذكرِ الله فهو من الخاسرين، قالوا: وإنما كان حبُّ الدنيا رأسَ الخطايا ومفسداً للدين من وجوه، أحدها: أنه يقتضي تعظيمها، وهي حقيرةٌ عند الله، ومن أكبر الذنوبِ تعظيمُ ما حقره الله.

وثانيها: أن الله لعنها ومقتها وأبغضها، إلا ما كان له فيها، ومن أحبَّ ما لعنه الله، ومقتَه وأبغضه، فقد تعرَّض للفتنة ومقتَه وغضبه.

وثالثها: أنه إذا أحبَّها صيرها غايته، وتوسَّل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائلٍ إليه وإلى الدارِ الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة فانتكس قلبه، وانعكس سيره إلى وراء.

فها هنا أمران، أحدهما: جعلُ الوسيلةِ غايةً، والثاني: التوسُّلُ بأعمالِ الآخرةِ إلى الدنيا، وهذا شرٌّ معكوسٌ من كلِّ وجه، وقلبٌ منكوسٌ غاية الانتكاس.

وهذا هو الذي ينطبقُ عليه حدو القذَّة بالقذَّة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥-١٦﴾، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨]، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

فهذه ثلاث آيات يُشبهُ بعضها بعضًا، وتدُلُّ على معنى واحدٍ، وهو أن مَنْ أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة، فحفظه ما أَرَادَ، وهو نصيبه، ليس له نصيبٌ غيرُه، والأحاديثُ عن رسولِ الله ﷺ مُطابِقةٌ لذلك مُفسِّرةٌ له، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة الذين هم أولُ من تُسَعَّرُ بهم النار: الغازي والمتصدِّقُ والقارئُ، الذين أرادوا بذلك الدنيا والنصيبَ، وهو في صحيح مسلم، وفي سنن النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، رجلٌ غزا يَلْتَمِسُ الأجرَ والذكرَ، ما له؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «لا شيءَ له»، ثم قال: «إن الله تعالى لا يقبلُ إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه»، فهذا قد بطل أجره وحبط عمله، مع أنه قصد حصولَ الأجرِ لما ضمَّ إليه قصدَ الذكرِ بين الناسِ فلم يُخْلِصِ عمله لله فبطل كلُّه.

قال: ورابعها: أن محبتها تعترض بين العبدِ وبين فعلٍ ما يعودُ عليه نفعه في الآخرة، لاشتغاله عنه بمحبوبه، والناسِ ها هنا مراتبُ.

لله فمَنهم: مَنْ يشغله محبوبه عن الإيمانِ وشرائعه.

لله ومنهم: مَنْ يشغله عن الواجباتِ التي تجبُّ عليه لله ولخلقه، فلا يقوم بها ظاهرًا ولا باطنًا.

لله ومنهم: مَنْ يشغله حبُّها عن كثيرٍ من الواجباتِ.

لله ومنهم: مَنْ يشغله عن واجبٍ يُعارضُ تحصيلها، وإن قام بغيره.

لله ومنهم: مَنْ يشغله عن القيامِ بالواجبِ، في الوقتِ الذي ينبغي، على الوجهِ الذي ينبغي، فيُفترط في وقته وفي حقوقه.

لله ومنهم: مَنْ يشغله عن عبوديةِ قلبه في الواجبِ، وتفريغه لله عند أدائه، فيؤدِّيه ظاهرًا لا باطنًا، وأين هذا من عشاقِ الدنيا ومحبيها، هذا من

أندريهم، وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد، وهو تفرغ القلب لحب الله، ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه، وجمع لسانه وقلبه على ربه، فعشقتها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا.

وخامسها: أن محبتها تجعلها أكثر هم العبد.

وسادسها: أن محبتها أشد الناس عذاباً بها، وهو مُعذَّب في دوره الثلاث، يُعذَّب في الدنيا بتحصيلها، وفي السعي فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ - أي في القبر - بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبداً، ولم يحصل له هناك محبوب يُعوّضه عنه، فهذا أشد الناس عذاباً في قبره، يعمل الهمم والغم والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه.

وسابعها: أن عاشقتها ومحبتها - الذي يؤثرها على الآخرة - من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً، إذ أثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، إن اللبيب بمثلها لا يُخدع.

ثم عقد فصلاً، وذكر فيه أمثلة تبين حقيقة الدنيا، المثال الأول: للعبد ثلاثة أحوال، حالة لم يكن فيها شيئاً، وهي ما قبل أن يوجد، وحالة أخرى وهي من ساعة موته، إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدى فلنفسه وجود بعد خروجها من البدن، إما في الجنة وإما في النار، ثم تُعاد إلى بدنه، فيجأزى بعمله، ويسكن إحدى الدارين في خلود دائم، ثم بين هاتين الحالتين - وهي ما بعد وجوده وما قبل موته - حالة متوسطة، وهي أيام حياته فلينظر إلى مقدار زمانها، وينسبها إلى الحالتين، يعلم أنه أقل من طرفه عين في مقدار عمر الدنيا، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يُبال كيف تقضت أيامه فيها في ضر وضيق، أو في

سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع النبي ﷺ لَبْنَةً عَلَى لَبْنَةٍ، ولا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ، وقال: ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب، قال في ظلِّ شجرة، ثم راح وتركها، وإلى هذا أشار المسيح بقوله ﷺ: "الدنيا قَنْطَرَةٌ فاعبروها ولا تعمرونها"، وهذا مَثَلٌ صحيحٌ؛ فإن الحياةَ معبرٌ إلى الآخرة، والمهدُّ هو الركنُ الأوَّلُ على أول القنطرة، واللحدُّ هو الركنُ الثاني على آخرها، ومن الناس من قطعَ نصفَ القنطرة، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوةٌ واحدة، وهو غافلٌ عنها، وكيفما كان فلا بدَّ من العبور، فمن وقف بيني على القنطرة ويزينُّها بأصنافِ الزينة، وهو يُستحثُّ على العبور، فهو في غاية الجهل والحمق.

المثال الثاني: شهوات الدنيا في القلبِ كشهواتِ الأُطعمةِ في المعدة، وسوف يجد العبدُ عند الموتِ لشهواتِ الدنيا في قلبه من الكراهةِ والنَّتنِ والقُبْحِ ما يجدُه للأُطعمةِ اللذيذةِ إذا انتهت في المعدة؛ غايتهَا، وكما أن الأُطعمةَ كلما كانت ألذَّ طعمًا وأكثرَ دسمًا وأكثرَ حلاوةً، كان رجيئها أقدر، فكذلك كلُّ شهوةٍ كانت في النفسِ ألذَّ وأقوى، فالتأذي بها عند الموتِ أشدُّ، كما أن تفجُّعَ الإنسانِ بمحبوبه إذا فقده يقوَّى بقدرِ محبةِ المحبوبِ^(١).



(١) عدة الصابرين (ص ٢٢٠، ٢٣٠) بتصرف.

شعرا قال بعضهم يخاطب نفسه:

إِلَى مَا أَرَى يَا قَلْبُ مِنْكَ التَّرَاخِيَا
وَأَخْبَرَ عَنْ قُرْبِ الرَّحِيلِ نَصِيحَةً
وَعُضَّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أَنَامِلًا
فَكَمْ مَرَّةً وَافَقْتَ نَفْسًا مَرِيدَةً
وَكَمْ مَرَّةً أَحَدْتِ بِدَعَا لَشَهْوَةٍ
وَكَمْ مَرَّةً أَمَرَ الْإِلَهَ نَبَذْتَهُ
وَكَمْ مَرَّةً قَدْ خُضْتَ بِحَرَ غَوَايَةٍ
وَكَمْ مَرَّةً بِرَّ الْإِلَهَ غَمَضْتَهُ
وَلَا زِلْتَ بِالْدُنْيَا حَرِيصًا وَمَوْلَعًا
فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ الْبِلَا إِذْ نَزَلْتَهُ
فَتُسْأَلُ عَنْ رَبِّ وَدِينِ مُحَمَّدٍ
وَيَأْتِيكَ مِنْ نَارِ سَمُومِ أَلِيمَةٍ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ إِذْ نُصِبَ
فَمَنْ نَاقَشَ الرَّحْمَنُ نُوقِشَ بَتَّةً
هُنَالِكَ لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنِ الرَّدَى
اللهم ثبت قلوبنا على دينك، وألهمنا ذكرك وشكرك، واختم لنا بخاتمة
السعادة، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين،
وصلّى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(فصل)

المثال الثالث: لها ولأهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات، مثل أهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينةً فانتهد بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الإبطاء، وخوفهم مرور السفينة، فتنفروا في نواحي الجزيرة، ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليًا، فأخذ أوسع الأماكن والينها، ووقف بعضهم في الجزيرة، ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمع نغمات طيورها، ويُعجبه حسن أحجارها، ثم حدثته نفسه بفوات السفينة، وسرعة مرورها، وخطر ذهابها فلم يُصادف إلا مكانًا ضيقًا فجلس فيه، وأكب بعضهم على تلك الحجارة المُستحسنة، والأزهار الفائقة فحمل منها حملة، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيقًا، وزاده ما حملة ضيقًا، فصار محموله ثقلاً عليه ووبالًا، ولم يقدر على نبذه بل لم يجد من حملة بُدًا، ولم يجد له في السفينة موضعًا، فحملة على عنقه، وندم على أخذه، فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار، وتغيرت أرايحها وآذاه ننتها، وتولج بعضهم في تلك الغياض، ونسي السفينة، وأبعد في نزهته، حتى إن الملاح نادى بالناس عند دفع السفينة، فلم يبلغه صوته؛ لاشتغاله بملاهيته، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشم تلك الأزهار، وتارة يعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سبغ يخرج عليه، غير منفق من شوك يتشبث في ثيابه ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه، أو عوسج يُحرق ثيابه، ويهتك عورته، أو صوت هائل يُفزع.

ثم من هؤلاء من لحق بالسفينة، ولم يبق فيها موضع، فمات على الساحل، ومنهم من شغله لهوه، فافترسته السباع ونهسته الحيات، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة، ونسيانهم موردتهم وعاقبة أمرهم، وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار

ونباتٌ يصير هشيماً.

المثال الرابع: لاغترار الناس بالدنيا، وضعف إيمانهم بالآخرة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا، كمثلي قوم سلكوا مفازةً غرباء، حتى إذا لم يدرُوا ما سلكوا منها أكثر، أم ما بقي؟ أنفدوا الزاد، وحسروا الظهر، وبقوا بين ظهراي المفازة، لا زاد ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم رجلٌ في حُلَّةٍ يقطرُ رأسه، فقالوا: إن هذا قريبٌ عهدٍ بريفٍ، وما جاءكم هذا إلا من قريبٍ، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء علام أنتم؟ قالوا: على ما ترى، قال: أرايتم إن هديتكم على ماءٍ رواءٍ ورياضٍ خضري، ما تجعلون لي؟ قالوا: لا نعصيك شيئاً، قال: عُهودكم ومواثيقكم بالله؟ فأعطوه عهودهم، ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً، فأوردهم ماءً ورياضاً خضراً، فمكث ما شاء الله، ثم قال: يا هؤلاء الرحيلُ، قالوا إلى أين؟، قال: إلى ماءٍ ليس كمائكم ورياضٍ ليست كرياضكم، فقال جُلُّ القوم، وهم أكثرهم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجدَه، وما نصنع بعيشٍ هو خيرٌ من هذا؟، وقالت طائفة وهم أقلهم: ألم تُعطوا هذا الرجلَ عهودكم ومواثيقكم بالله، لا تعصونه شيئاً، وقد صدقكم في أول حديثه، فوالله ليصدقنكم في آخره، فراح بمن اتبعه، وتخلَّف بقيتهم، فبادرهم عدوهم، فأصبحوا بين أسيرٍ وقتيلٍ»^(١).

شعراً:

إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمَفْرَحٍ فَمَنْ خَلَفَهُ فَجَعٌ سَيَتْلُوهُ أَجَلُ
وَكَاثَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَّاحِلُ
وَمَا لُبْتُ مَنْ يَغْدُو وَفِي كُلِّ لِحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمْرِ قَاتِلُ

(١) عدة الصابرين (ص ٢٣٠، ٢٣٢) بتصرف.

وَلِلْمَرَّةِ يَوْمٌ لَا مَحَالََةَ مَالَهُ غَدٌ وَسَطٌ عَامٍ مَالَهُ الدَّهْرَ قَابِلُ
 كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرَيْبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ أَمَلُ
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا، وَثَبِّتْ إِيمَانَنَا وَنُورَ بَصَائِرِنَا، وَاهْدِنَا سَبِيلَ
 السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَاعْمُرْ
 أَوْقَاتَنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ، وَارزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ، وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(فصل)

المثال الخامس: للدنيا وأهلها، ما مثلها به ﷺ كظل شجرة، والمرء مُسافر فيها إلى الله، فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف، ثم راح وتركها. فتأمل حسن هذا المثال، ومطابقته للواقع سواء، فإنها في خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل والعبد مسافر إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً، ولا يتخذها قراراً، بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق.

المثال السادس: تمثيله لها ﷺ بمُدخل أصبعه في اليم، فالذي يرجع به أصبعه من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة إلى الآخرة.

المثال السابع: ما مثلها به ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال إن النبي ﷺ جلس ذات يوم، عليا المنبر وجلسنا حوله، فقال «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا، وزينتها» فقال رجل يا رسول الله: أو يأتي الخير بالشر، فصمت رسول الله ﷺ.

ثم قال: «كيف قلت؟» قال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر، فقال رسول الله ﷺ: «إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم، إلا أكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها، استقبلت الشمس فثلطت وبالت، ثم اجترت فعادت فأكلت».

فمن أخذ مالا بحقه بورك له فيه، ومن أخذ مالا بغير حق، فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع، فأخبر ﷺ أن مما يخاف عليهم الدنيا، وسماها زهرة، فشبها بالزهر، في طيب رائحته وحسن منظره، وقلة بقاءه.

فهذه الفقرة اليسيرة، من جوامع كلمه ﷺ، حوت على إيجازها بشارة الصحابة الكرام رضي الله عنهم بما سيكون على أيديهم، من فتح البلاد، وإخضاع

العباد، وجلب الأموال الطائلة، والغنائم الكثيرة، وتحذيرهم من الغرور، والركون إلى هذه الأشياء الفانية، والأعراض الزائلة.

وضرب ﷺ مثلين حكيمين أحدهما مثل المفرط في جمع الدنيا، والآخر مثل المقتصد فيها، أما الأول، فمثله مثل الربيع وذلك قوله فإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم، بأن يُقارب الهلاك.

فهذا المطر ماء ينزله لإغاثة الخلق وإرواء كل ذي روح فرغم فوائده الكثيرة ومنافعه الغزيرة وما يتسبب عن ذلك من إنبات العشب والكلأ، يأكل منه الحيوان فيكثر فينتفخ بطنه، فيهلك أو يُقارب الهلاك، وكذلك الذي يُكثر من جمع المال، ويكون عنده من الجشع والشره، والحرص، ما يتجاوز به الحد، ولا سيما إذا جمع المال من غير حله، ومنع ذا الحق حقه، فإن لم يقتله قارب أن يقتله.

ولذلك كثير من أهل الأموال قتلتهم أموالهم فإنهم شرهوا في جمعها، واحتاج إليها غيرهم، فلم يصلوا إلى ذلك إلا بقتلهم، أو ما يُقارب ذلك من إذلالهم وقهرهم والضغط عليهم.

وأما المثال الثاني: وهو مثال المقتصد في جمع الدنيا، الطالب لحلها، فقد مثل له ﷺ بقوله: «إلا آكلة الخضر»، فكأنه قال ألا انظروا آكلة الخضراء، واعتبروا بشأنها «أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها» وعظم جنبها، أقلعت سريعاً «استقبلت عين الشمس» تستمريء بذلك ما أكلت وتجرته «فثلطت» أَلقت ما في بطنها من أذى سهلاً رقيقاً.

وفي قوله «استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت» ثلاث فوائد أحدها أنها لما أخذت حاجتها من المرعى تركته، وبركت مُستقبلةً عين الشمس، تستمريء، الفائدة الثانية أنها أعرضت عما يضرها من الشره في المرعى،

وأقبلت على ما ينفعها، من استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه.

الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثلث ما جمعته من المرعى في بطنها، فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقتلها، هكذا جامع المال مصلحته أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة^(١). فتنبه لذلك أيها المغفل الجموع المنوع.



وَإِيَّاكَ وَالذُّنْيَا الدَّيْنِيَّةَ إِنَّهَا
مَتَاعٌ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا
فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا
وَمَنْ تُسْقِهِ كَأْسًا مِنَ الشَّهْدِ غُدْوَةً
وَمَنْ تَكُسُ تَاجَ الْمَلِكِ تَنْزِعُهُ عَاجِلًا
أَلَا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا
فَلَذَّتْهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا
فَدُونِكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا
وَمَنْ يَكُ جَمْعُ الْمَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
فَدَعَهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحْتَمٌّ
وَمَنْ لَمْ يَذَرْهَا زَاهِدًا فِي حَيَاتِهِ
فَتَرَكُوهُ يَوْمًا صَرِيحًا بِقَبْرِهِ

هِيَ السَّحْرُ فِي تَخْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ
وَأَضْغَاثُ حُلْمٍ خَادِعٍ بِهَبَائِهِ
وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِبُكَائِهِ
تَجَرَّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ
بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عِدَائِهِ
وَيَحْسَبُهَا الْمَغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
سَرَابٌ فَمَا الظَّامِي رَوَى مِنْ عَنَائِهِ
وَكَمْ ذَمَّهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
مِنَ الْعِلْمِ مَا يَجْلُو الصِّدَا بِجَلَائِهِ
فَمَا قَلْبُهُ إِلَّا مَرِيضًا بِدَائِهِ
وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الْوَرَى بِأَدَائِهِ
سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
رَهِينًا أَسِيرًا آيسًا مِنْ وَرَائِهِ

وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفَدَّى لَدَيْهِمْ
 وَيَنْتَهَبُ الْوَرَاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي
 وَتُسْكِنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً
 يُقِيمُ بِهَا طَوْلَ الزَّمَانِ وَمَالَهُ
 فَوَاهَا لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ ثُمَّ كُرْبَةٍ
 وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمِ الْحِسَابِ وَهُوْلُهُ
 وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ غَائِبٌ
 قَضَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى الْخَلْقِ بِالْفَنَاءِ
 فَخُذْ أَهْبَةً لِلْمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
 وَإِيَّاكَ وَالْأَمْوَالَ فَالْعُمْرُ يَنْقُضِي
 وَحَافِظْ عَلَى دِينِ الْهُدَى فَلَعَلَّهُ
 فَدُونَكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً
 وَصَلِّيْ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا
 عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ مُحَمَّدٍ
 وَاتَّبَاعِهِمْ فِي الدِّينِ مَا اهْتَزَّ بِالرَّبِّ

اللهم اجعل قلوبنا مملوءة بحبك، وألسنتنا رطبة بذكرك، ونفوسنا مطيعة
 لأمرك، وارزقنا الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله
 وسلم.

(موعظة)

عبادَ الله، إن لكلمة التوحيد فضائل عظيمة، لا يمكن استقصاؤها منها، إنها كلمة الإسلام، وإنها مفتاح دار السلام، فيا ذوي العقول الصراح، ويا ذوي البصائر والفلاح، جدّدوا إيمانكم في المساء والصباح بقول: لا إله إلا الله من أعماق قلوبكم متأمّلين لمعناها، عاملين بمقتضاها.

عبادَ الله، ما قامت السموات والأرض، ولا صحّت السنّة والفرص، ولا نجا أحدٌ يوم العرض، إلا بـ لا إله إلا الله، ولا جردت سيوف الجهاد، ولا أرسلت الرسل إلى العباد، إلا ليعلموهم العمل بـ لا إله إلا الله.

تالله، إنها كلمة الحق، ودعوة الحق، وأنها براءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خلق الله الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

قال ابن عيينة رحمته الله: ما أنعم الله على عبدٍ من العبادِ نعمةً أفضلَ من أن عرفه لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد.

فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أبأها فمأله ودمه حلال، وبها كلم الله موسى كفاحاً، وهي أحسن الحسنات، كما في المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال: «الحمد لله، اللهم بعثني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد».

ثم قال: «أبشروا، فإن الله قد غفر لكم»^(١).
وهي أحسنُ الحسناتِ^(٢).

وهي تمحو الذنوبَ والخطايا، وفي سنن ابن ماجه عن أم هانيءَ رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا، ولا يسبقها عملٌ»^(٣)، ورؤي بعضُ السلفِ بعد موته في المنام، فقال: «ما أبقتُ لا إله إلا الله شيئًا، وهي تُجددُ ما دَرَسَ مِنَ الإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ»^(٤).

وفي المسند، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «جددوا إيمانكم» قالوا: كيف نُجددُ إيماننا؟ قال: «قولوا: لا إله إلا الله»^(٥).

وهي التي لا يعدلُها شيءٌ في الوزنِ، فلو وُزِنَتْ بالسَّمَوَاتِ والأَرْضِ لرجحتَ بهنَّ، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «أن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: أمرك بـ لا إله إلا الله؛ فإن السَّمَوَاتِ السَّبْعَ والأَرْضِينَ السَّبْعَ لو وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، ووضعت لا إله إلا الله بكفة لرجحتَ بهنَّ، ولو أن السَّمَوَاتِ السَّبْعَ والأَرْضِينَ كَنَّ فِي حَلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ قَصَمْتَهُنَّ لا إله إلا الله»^(٦).

وإنها تَرَجُّحُ بالسَّمَوَاتِ والأَرْضِ، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن موسى عليه السلام قال: «يا ربِّ علِّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله، قال موسى: يا ربِّ كلُّ عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، إنما أريد شيئًا تخصُّني به، قال: يا موسى، لو أن السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٢١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١٤٨٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٧٩٧).

(٤) انظر: كلمة الإخلاص لابن رجب (ص ٥٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٨٧١٠).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٦٥٨٣).

السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»^(١).

وكذلك تَرَجُّحُ في صحائف الذنوب، كما في حديث السَّجَلَاتِ والبطاقة، في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فيما أخرجه أحمد والنسائي والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

وهي التي تخرق الحُجُبَ، حتى تصل إلى الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ليس لها دون الله حجاب، لما تقدم، ولما في الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب»^(٣).

وإنها تُفْتَحُ لها أبواب السماء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله مُخلصًا إلا فُتِحَتْ لها أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش»^(٤).

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب، إلا قول: لا إله إلا الله، كما أن شفقتك لا تحجبها، كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله صلى الله عليه وسلم»^(٥).

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصًا بها قلبه، يُصدقُ بها لسانه إلا فتق الله

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٠٢، ١٠٩١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦٩٩٤)، والترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥١٨).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٩٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٠١).

(٥) أخرجه الختلي في الديباج (١٣٣).

له السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبدٍ نظر الله إليه أن يُعطيه سؤاله»^(١).

وهي الكلمة التي يُصدّق الله قائلها، كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا قال العبدُ: لا إله إلا الله والله أكبر صدّقه ربّه. وقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، قال: الله: لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، قال الله: لا إله إلا أنا، لي الملكُ، ولي الحمدُ، وإذا قال العبدُ: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه، ثم مات لم تطعمه النار»^(٢).

وهي أفضل ما قاله النبيون، كما ورد ذلك في دعاءِ عرفة^(٣).

وهي أفضل الذكر، كما في حديث جابر رضي الله عنه المرفوع: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله»^(٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أحبُّ كلمةٍ إلى الله: لا إله إلا الله، لا يقبل الله عملاً إلا بها»^(٥).

وهي أفضل الأعمال، وأكثرها تضييفًا، وتعدّل عتق الرقاب وتكون حرزًا من الشيطان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يومٍ مائة مرة، كانت له عدلٌ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَ له مائةٌ حسنةٍ،

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٧٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٣٠)، والنسائي في الكبرى (٩٧٧٤، ١٠١٠٨)، وابن ماجه في سننه (٣٧٩٤).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤) (٣٢)، (١/ ٤٢٢) (٢٤٦) مرسلًا.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٩٩)، وابن ماجه في سننه (٣٨٠٠).

(٥) أخرجه ابن قتيبة في عيون الأخبار (١/ ٢٩٧)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٣٠)، والدينوري في المجالسة (٨٣٧).

وَمُحَيِّ عَنْهُ مَائَةٌ سَيِّئَةٌ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا وَاحِدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

ووردَ أَنْ مَنْ قالها عَشْرَ مَرَاتٍ كانَ كَمَنْ أعتَقَ أربعةَ أنفُسٍ مِنْ ولِدِ إسماعيلَ، وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ دخلَ السوقَ فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخَيْرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كتب اللهُ له ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومَحَى عنه ألفَ ألفِ سيئةٍ، ورفع له ألفَ ألفِ درجةٍ»، وفي رواية: «وبنَى له بيتاً في الجنةِ»^(٢).

ومن فضائلها أنها أمانٌ مِنْ وحشةِ القبرِ وهولِ المحشرِ، كما في المسندِ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس على أهلِ لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهلِ لا إله إلا الله ينفضون الترابَ عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزنَ»^(٣).

وفي حديثٍ مُرسلٍ: «من قال: لا إله إلا الله، الملكُ الحقُّ المبينُ، كلَّ يومٍ مائةَ مرةٍ، كانت أماناً مِنَ الفقرِ، وأنساً مِنَ وحشةِ القبرِ، واستُجلبَ به الغنى، واستُقرَّعَ به بابُ الجنةِ، وهي شعارُ المؤمنين إذا قاموا مِنْ قبورهم»^(٤).

ومن فضائلها أنها تفتحُ لقاتلها أبوابَ الجنةِ الثمانية، يدخلُ مِنْ أيِّها شاءَ، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٢٨، ٣٤٢٩)، وابن ماجه في سننه (٢٢٣٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٧٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٢٨٠) مرسلًا، وقد روي موصولاً عند أبي نعيم في صفة الجنة (١٨٥) وغيره.

ورسولهُ، وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحُ منه، وأن الجنةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأن اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ، فُتَحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانية يدخلُ مِنْ أيَّها شاء»^(١).

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة منامه الطويل، وفيه قال: «رأيتُ رجلاً مِنْ أُمَّتِي انتهى إلى أبوابِ الجنةِ فأغلقتُ دونه، فجاءته شهادةٌ أن لا إلهَ إلا الله ففتحت له الأبوابَ، وأدخلته الجنةَ»^(٢).

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النارَ بتقصيرهم في حقوقهم، فإنهم لا بدَّ أن يخرجوا منها، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرجَنَّ منها من قال: لا إلهَ إلا الله»^(٣) اهـ.

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علِّمتنا، ولا تجعلْ علِّمنا وبالآ علينا، اللهم قوِّ معرفتنا بك وبأسمائك وصفاتك، ونور بصائرنا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّاتنا يا ربَّ العالمين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٢٧٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٥٢٦)، وابن بشران في أماليه (٢٥٠)، وعبد الخالق بن أسد في معجمه (٧٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤ / ٤٠٧)، وأبو موسى المدني في الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المرديّة، كما في الوابل الصيب (ص ٨٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦ / ١٩٣).

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ:

رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصَّافَا وَالتَّوَدُّدِ
وَمِن بَعْدِ حَمْدِ اللهِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَا
وَأَلِّ وَصَحْبِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ
وَبَعْدُ فَقَدْ طَمَّ البَلَاءُ وَعَمَّنَا
بِمَا لَيْسَ نَشْكُو كَشْفَهُ وَانْتِقَادَنَا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّزْرُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
فَهَبُّوا عِبَادَ اللهِ مِنْ نَوْمَةِ الرَّدَى
وَقَدْ عَنَّ أَنْ نُهْدِي إِلَيْ كُلِّ صَاحِبٍ
فَدُونَكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ
تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَكِذَاتُ أَهْلِهَا
فَإِنْ رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
وَرَوْحَ وَرَيْحَانٍ وَأَرْفَهُ جَبْرَةَ
فَحَقَّقْ لِتَوْجِيدِ الْعِبَادَةِ مُخْلِصًا
وَأَفْرِدُهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا
وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الَّذِي أَنْتَ نَاسِكٌ
وَلَا تَسْتَعِنِ إِلَّا بِهِ وَبِحَوْلِهِ
وَلَا تَسْتَعِذْ إِلَّا بِهِ لَا بَغْيَ لَهُ
إِلَيْهِ مُنِيبًا تَائِبًا مُتَوَكِّلًا
وَلَا تَدْعُ إِلَّا اللهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ

إِلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مُوَحَّدِ
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدِ
بَعْدُ وَمِضِ البَرَقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ
مَنْ الْجَهْلِ بِالدِّينِ القَوِيمِ الْمُحَمَّدي
لِغَيْرِ الإِلهِ الْوَاحِدِ الْمُتَمَرِّدِ
يُعَادِيهِمْ مِنْ أَهْلِهَا كُلِّ مُعْتَدِ
إِلَى الفِقْهِ فِي أَصْلِ الْهُدَى وَالتَّجَرُّدِ
نَضِيدًا مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُؤَطَّدِ
لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غَيَّنَ قَلْبُكَ بِالدِّدِ
كَأَنَّ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى قَبْرِ مَلْحَدِ
وَتُحْظَى بِجَنَّاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّدِ
وَحُورٍ حَسَانٍ كَالْيَوَاقِيْتِ خُرَّدِ
بِأَنْوَاعِهَا اللهُ قَصْدًا وَجَرَّدِ
وَبِالْحُبِّ وَالرُّغْبَى إِلَيْهِ وَجَرَّدِ
وَلَا تَسْتَعِثْ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَدِ
لَهُ خَاشِيًا بَلْ خَاشِعًا فِي التَّعَبُّدِ
وَكَئِنْ لَأَيْدَا بِاللهِ فِي كُلِّ مَقْصَدِ
عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللهِ ذِي الْعَرْشِ تَرْشُدِ
فَدَاعٍ لِغَيْرِ اللهِ غَاوٍ وَمُعْتَدِ

فَجَانِبُهُ وَاحِدٌ وَأَحَدٌ أَنْ تَحِي بِمُؤَيِّدٍ
 عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مُقَرَّبًا بَأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ سَيِّدٍ
 هُوَ الْمَالِكُ الرَّزَاقُ فَاسْأَلُهُ وَاجْتَدِ
 أَقْرَ وَلَمْ يَجْحَدْ بِهَا كُلُّ مُلْحِدٍ
 وَلَا تَتَنَاوَلَهَا كَرَأْيِ الْمُفْنِدِ
 سَمِيٍّ وَقُلْ لَا كُفُوَ لِلَّهِ تَهْتَدِ
 إِلَهُ الْوَرَى حَقًّا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ
 لَنَعْمَ الرَّجَا يَوْمَ اللَّقَا لِلْمُوَحِّدِ
 بِهَا مُسْتَقِيمًا فِي الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِيِّ
 تَعَالَى وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَدِّدِ
 كَمَا قَالَه الْأَعْلَامُ مِنْ كُلِّ مُهْتَدِ
 وَلَكِنْ عَلَى آرَاءِ كُلِّ مُلَدِّدِ
 مِنَ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعِدِ
 بِمَدْلُولِهَا يَوْمًا فَبِالْجَهْلِ مُزْتَدِ
 هُوَ الرَّدُّ فَافْهَمْ ذَلِكَ الْقَيْدَ تَرْشِدِ
 وَرَدُّهُ لَمَّا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ
 تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالتَّفَرُّدِ
 بِسُورَةِ (ص) فَاعْلَمَنَّ ذَلِكَ تَهْتَدِ

وَفِي صَرَفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشَّرْكَ قَدْ أَتَى
 وَهَذَا الَّذِي فِيهِ الْخُصُومَةُ قَدْ جَرَتْ
 وَوَحْدَهُ فِي أَعْمَالِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ
 هُوَ الْخَالِقُ الْمُخَيِّبُ الْمُؤَيِّدُ مُدَبِّرُ
 إِلَى غَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ أَعْمَالِهِ الَّتِي
 وَوَحْدَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
 فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
 وَذَا كُلُّهُ مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّهُ
 فَحَقَّقْ لَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى فَإِنَّهَا
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَكُنْ مُتَمَسِّكًا
 فَكُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ وَلِوَاحِدِ
 وَمَنْ لَمْ يَقْبِذْهَا بِكُلِّ شُرُوطِهَا
 فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
 فَأَوْلَاهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
 فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيرٍ وَجَاهِلٌ
 وَمِنْ شَرْطِهَا وَهُوَ الْقَبُولُ وَضِدُّهُ
 كَحَالِ قَرَيْشٍ حِينَ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى
 وَقَدْ عَلِمُوا مِنْهَا الْمُرَادَ وَأَنَّهَا
 فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَه اللَّهُ عَنْهُمْ

فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ
 وَثَالِثُهَا الْإِخْلَاصُ فَاعْلَمْ وَضِدُّهُ
 كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ نَبِيَّهُ
 وَرَابِعُهَا شَرْطُ الْمَحَبَّةِ فَلْتَكُنْ
 وَإِخْلَاصُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا
 وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍّ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا
 فَعَادَ الَّذِي عَادَى لِدِينِ مُحَمَّدٍ
 وَاحْتَبَّ رَسُولَ اللَّهِ أَكْمَلَ مَنْ دَعَى
 أَحَبَّ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنَّفْسِ بَلْ وَمِنْ
 وَطَارِفِهِ وَالْوَالِدِينَ كَلَيْهِمَا
 وَأَحِبُّ لِحُبِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
 وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
 وَخَامِسُهَا فَالْانْقِيَادُ وَضِدُّهُ
 فَتَنْقَادَ حَقًّا بِالْحُقُوقِ جَمِيعِهَا
 وَتَتْرُكُ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ طَائِعًا
 فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بِالْقَلْبِ مُسْلِمًا
 فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
 وَسَادِسُهَا وَهُوَ الْيَقِينُ وَضِدُّهُ
 وَمَنْ شَكَّ فَلْيَبْكِي عَلَى رَفْضِ دِينِهِ
 حَالًا وَأَغْنَامًا لِكُلِّ مُوَحَّدٍ
 هُوَ الشَّرْكُ بِالْمَعْبُودِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ
 بِسُورَةِ (تَنْزِيلُ) الْكِتَابِ الْمُجَبَّدِ
 مُحِبًّا لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
 كَذَا النَّفْيُ لِلشَّرِكِ الْمُفْنَدِ وَالِدِدِ
 يَتِمُّ بِحُبِّ الدِّينِ دِينِ مُحَمَّدٍ
 وَوَالِ الَّذِي وَالَاهُ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
 إِلَى اللَّهِ وَالتَّقْوَى وَأَكْمَلَ مُرْشِدِ
 جَمِيعِ الْوَرَى وَالْمَالِ مِنْ كُلِّ أَثَلِدِ
 بِأَبَائِنَا وَالْأُمَّهَاتِ فَتَنْقَدِ
 وَأَبْغِضْ لِبُغْضِ اللَّهِ أَهْلَ التَّمَرُدِ
 كَذَاكَ الْبَرَّاءِ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
 هُوَ التَّرْكُ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ الْمُفْسِدِ
 وَتَعَمَّلْ بِالْمَفْرُوضِ حَتْمًا وَتَقْتَدِ
 وَمُسْتَسْلِمًا لِلَّهِ بِالْقَلْبِ تَرُشِدِ
 وَلَمْ يَكُ طَوْعًا بِالْجَوَارِحِ يَنْقَدِ
 وَإِنْ خَالَ رُشْدًا مَا أَتَى مِنْ تَعْبُدِ
 هُوَ الشُّكُّ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ
 وَيَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَاءَ يَوْمًا بِمَوْئِدِ

وَيَعْلَمُ أَنَّ الشُّكَّ يَنْفِي يَقِينَهَا
 بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَيَقِنًا جَاءَ ذِكْرُهُ
 وَلَا تَنْفَعِ الْمَرْءَ الشَّهَادَةُ فَاغْلَمَنَ
 وَسَابِعُهَا الصَّدْقُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
 وَعَارِفٌ مَعْنَاهَا إِذَا كَانَ قَابِلًا
 وَطَابَقَ فِيهَا قَلْبَهُ لِلْسَّانِيهِ
 وَمَنْ لَمْ تَقُمْ هَذِي الشُّرُوطُ جَمِيعُهَا
 إِذَا صَحَّ هَذَا وَاسْتَقَرَّ فَإِنَّمَا
 وَإِنَّ لَهُ - فَاخْذَرْ هُدَيْتَ - نَوَاقِضًا
 فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ وَارْتَدَّ وَاعْتَدَى
 فَمِنْ ذَلِكَ شِرْكٌ فِي الْعِبَادَةِ نَاقِضٌ
 كَمَنْ كَانَ يَغْدُو لِلْقَبَابِ بِذَبْحِهِ
 وَجَاعِلٍ بَيْنَ اللَّهِ - بَغْيًا - وَبَيْنَهُ
 وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ بِالْخُضُوعِ شَفَاعَةً
 وَنَالِئُهُمَا مَنْ لَمْ يُكْفِرْ لِرِكَافِرٍ
 وَصَحَّحَ عَمْدًا مَذْهَبَ الْكُفْرِ وَالرَّدَى
 وَرَابِعُهَا فَالْاِعْتِقَادُ بِأَنَّمَا
 لِأَحْسَنُ حُكْمًا فِي الْأُمُورِ جَمِيعُهَا
 كَحَالَةِ كَعْبٍ وَابْنِ أَخْطَبَ وَالَّذِي
 فَلَا بُدَّ فِيهَا بِالْيَقِينِ الْمُؤَكَّدِ
 عَنِ السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَكْمَلِ مُرْشِدِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَيَقِنًا ذَا تَجَرُّدِ
 مِنَ الْكَذِبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدِ
 لَهَا عَامِلًا بِالْمُقْتَضَى فَهُوَ مُهْتَدٍ
 وَعَنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَمْ يَتَبَدَّلِ
 بِقَائِلِهَا يَوْمًا فَلَيْسَ عَلَى الْهُدَى
 حَقِيقَتُهُ الْإِسْلَامُ فَاغْلَمَهُ تَرْشُدِ
 فَمَنْ جَاءَ مِنْهَا نَاقِضًا فَلْيَجِدِّدِ
 وَزَاعَ عَنِ السَّمْحَاءِ فَلْيَشْهَدِ
 وَذَبْحَ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 وَلِلْجَنِّ فَعَلَ الْمُشْرِكِ الْمُتَمَرِّدِ
 وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
 إِلَى اللَّهِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَيَجْتَدِ
 وَمَنْ كَانَ فِي تَكْفِيرِهِ ذَا تَرَدُّدِ
 وَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بِاجْتِمَاعِ مَنْ هُدَى
 سِوَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَأَكْمَلِ مُرْشِدِ
 وَأَكْمَلُ مِنَ هَدَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
 عَلَى هَدْيِهِمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ

لِشَيْءٍ أَتَى مِنْ هَدْيِ أَكْمَلِ سَيِّدٍ
بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيَجِدْ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ ذِكْرُهُ فِي (مُحَمَّدٍ)
وَلَوْ بِعِقَابِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
عَلَى حَذِرٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ تَرْشُدِ
فَرَاغَهُ فِيهَا عِنْدَ ذِكْرِ التَّهْدِي
كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلَهُ لَمْ يُفْنِدِ
بِتَكْفِيرِهِ فَاطْلُبْهُ مِنْ ذَاكَ تَهْتَدِ
أَخِي حُكْمَ هَذَا الْمُعْتَدِي الْمُتَمَرِّدِ
يُعَانُ بِهَا الْكِفَارُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدِ
عِذَا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ مُفْسِدِ
وَمَنْهُ بِلا شَكِّ بِهِ أَوْ تَرُدُّدِ
وَجَاءَ عَنِ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَصَاحِبُهُ لَا شَكَّ بِالْكَفْرِ مُرْتَدِ
عَلَيْهِ اتَّبَاعُ الْمُصْطَفَى خَيْرِ مُرْشِدِ
يَسَعُهُ خُرُوجٌ عَنِ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ
كَصَاحِبِ مُوسَى حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدِ
وَمُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ فَافْهَمْ لِمَقْصِدِ
مَشَايخِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْمُفْنَدِ

وَخَامِسُهَا يَا صَاحِبِ مَنْ كَانَ مُبْغِضًا
فَقَدْ صَارَ مُرْتَدًا وَإِنْ كَانَ عَامِلًا
وَذَلِكَ بِالْإِجْمَاعِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدِ
وَسَادِسُهَا مَنْ كَانَ بِالِدِينِ هَارِتًا
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلْتَكُنْ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ فِي (بَرَاءة) ذِكْرُهُ
وَسَابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ فَاعِلًا
وَفِي سُورَةِ (الزَّهْرَاءِ) نَصُّ مُصْرَحٍ
وَمِنْهُ لَعْمَرِي الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ فَاعْلَمَنْ
وَتَامِنُهَا وَهِيَ الْمُظَاهَرَةُ الَّتِي
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِينَ لِرَبِّهِمْ
وَمَنْ يَتَوَلَّى كَافِرًا فَهُوَ مِثْلُهُ
كَمَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادُ مُضَلَّلٍ
كَمُعْتَقِدِ أَنْ لَيْسَ حَقًّا وَوَاجِبًا
فَمَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الضَّلَالَةَ وَأَنَّهُ
كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيعَةِ مَنْ خَلَا
هُوَ الْخَضِرُ الْمَقْضُوصُ فِي (الْكَهْفِ) ذِكْرُهُ
وَهَذَا اعْتِقَادُ لِلْمَلَا حِدَةِ الْأَوْلَى

كَنَحُو ابْنَ سَيْنَا وَابْنَ سَبْعِينَ وَالَّذِي
 وَشَيْخٍ كَبِيرٍ فِي الضَّلَالَةِ صَاحِبُ الْ
 وَعَاشِرُهَا الْإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ رَبَّنَا
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ عَامِلًا
 وَلَا فَرَقَ فِي هَذِي النَّوَاقِضِ كُلِّهَا
 هُنَالِكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجَدِّ فَاعْلَمَنَّ
 سِوَى الْمُكْرَهِ الْمَضْهُودِ أَنْ كَانَ قَدْ أَتَى
 وَحَازِرٌ - هَذَاكَ اللَّهُ - مِنْ كُلِّ نَاقِضٍ
 وَكُنْ بَادِلًا لِلْجِدِّ وَالْجُهْدِ طَالِبًا
 وَإِيَّاهُ فَارْغَبْ فِي الْهِدَايَةِ لِلْهُدَى
 وَصَلِّ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
 تَوْمٌ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَا سَرَى
 وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحٌ
 عَلَى السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلِ مُرْسَلِ
 وَالِ وَأَصْحَابِ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا

يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ وَالْحَفِيدِ الْمُلْدِّ
 فُضُوصٍ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ فِي التَّمَرُّدِ
 فَلَا يَتَعَلَّمُهُ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
 بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُو تَعَمُّدٍ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ
 وَلَا رَاهِبٍ مِنْهُمْ لِخَوْفِ التَّهْدِ
 هُنَالِكَ بِالشَّرْطِ الْأَطِيدِ الْمُؤَكَّدِ
 سِوَاهَا، وَجَانِبَهَا جَمِيعًا لِتَهْتَدِ
 وَسَلْ رَبَّكَ التَّيْبِتَ أَيَّ مُوَحِّدِ
 لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ فِي عَدِ
 وَمَا وَحَدَّتْ قُودٌ بِمَوْرِ مُعَبَّدِ
 نَسِيمُ الصَّبَا أَوْ شَاقَ صَوْتُ الْمُغَرِّدِ
 وَمَا انْهَلَّ صَوْبٌ فِي عَوَالٍ وَوَهْدِ
 وَأَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ طُرًّا وَأَجُودِ
 صَلَاةَ دَوَامًا فِي الرِّوَاكِ وَفِي الْعَدِ



(فصل)

في ذكر نماذج من صبر النبي ﷺ على الشدائد والأذى

في الدعوة إلى الله

وَمِنْ تَحْمُلِهِ ﷺ لِلشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَذِي أَحَدًا، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدًا، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَليْلَةٍ، وَمَا لِي وَلبَلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُؤَارِي إِبْطَ بَلَالٍ»^(١) خَرَجَهُ أَحْمَدُ.

وعند البيهقي أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا. فأبى عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكف عن قومك ما يكرهون من قولك، فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمّه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولّى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض لأمرك، وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً^(٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٢١٢)، والترمذي في سننه (٢٤٧٢)، وابن ماجه في سننه (١٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٧).

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما مات أبو طالب عرّض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفية من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتته امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أي بُنية، لا تبكين فإن الله مانع أباك»، ويقول ما بين ذلك «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»^(١).

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما مات أبو طالب تجهّموا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عمّ، ما أسرع ما وجدت فقدك»^(٢).

وأخرج الطبراني عن الحارث بن الحارث قلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء قوم اجتمعوا على صابيء لهم، فنزلنا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى توحيد الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به، وهم يردّون عليه ويؤذونه، حتى إذا انتصف النهار، وانصدع الناس عنه أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحاً ومنديلاً، فتناوله منها فشرب وتوضأ، ثم رفع رأسه فقال: «يا بُنية، خمّري عليك نحرَك، ولا تخافين على أبيك» قلنا من هذه؟ قالوا: هذه زينب بنته رضي الله عنها^(٣). قال الهيثمي: رجاله ثقات.

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قلت له ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته قال: «حضرتهم وقد اجتمع أشراؤهم في الحجر»، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سَفَهَ أحلامنا، وسَتَمَ آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨١٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٨)، وتاريخ أصبهان (٢/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٨) (٣٣٧٣)، وانظر: مجمع الزوائد (٦/ ٢٦).

جماعاتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، أو كما قالوا. قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسولُ الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استقبلَ الركنَ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيتِ، فلما مرَّ بهم غمزوه: - أي أشاروا إليه - ببعض ما يقول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مرَّ بهم الثانيةً بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مرَّ بهم الثالثةً فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يا معشرَ قريشٍ، أما والذي نفسُ محمدٍ بيده لقد جئتكم بالذَّبْحِ» فأخذتِ القومُ كلمته، حتى ما منهم رجلٌ إلا كأن على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتى إن أشدهم فيه وضاعةً قبل ذلك ليرفؤهُ بأحسن ما يجدُ من القولِ، حتى ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنتَ جهولاً. فانصرف رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحجرِ وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسولُ الله ﷺ فوثبوا عليه وثبةً رجل واحدٍ، فأطافوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيبِ آلهتهم ودينهم. فيقول رسولُ الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذُ بمجمعِ ردائه، وقام أبو بكرٍ رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدَّ ما رأيتُ قريشاً بلغت منه قطُّ^(١).

وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسولَ الله ﷺ مرةً حتى عُشي عليه، فقام أبو بكرٍ رضي الله عنه فجعل يُنادي: ويلكم، أتقتلون رجلاً

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٠٣٦) وهذا لفظه، والبخاري (٣٦٧٨) مختصراً.

أن يقول ربي الله، فقالوا: من هذا؟ فقالوا: ابنُ أبي قُحَافَةَ المجنون^(١).

وفي الحديث الذي أخرجه أبو يعلى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أن المشركين لهوا بأبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبلوا عليه، قالت: فرجع إلينا أبو بكر رضي الله عنه فجعل لا يمس شيئاً من غَدَائِرِهِ - أي جدائله - إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢).

وأخرج البزار في مُسنده عن محمد بن عقيل، عن عليّ رضي الله عنه، أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس، من أشجع الناس؟، فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أمّا أنا، ما بارزني أحدٌ إلا انتصفتُ منه، ولكن هو أبو بكر رضي الله عنه، إنا جعلنا لرسولِ الله صلى الله عليه وآله عريشاً، فقلنا: مَنْ يكونُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين، فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبو بكر رضي الله عنه شاهرًا بالسيفِ على رأسِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لا يهوي إليه أحدٌ إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وأخذته قريشٌ فهذا يُحَادُّه وهذا يُتَلْتَلُهُ ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبو بكر، يضرب هذا ويُجاهد هذا ويُتَلْتَلُ هذا، وهو يقول: ويلكم أقتلون رجلاً يقول: ربي الله. ثم رفع عليّ بُردةً كانت عليه، فبكى حتى أخضلَ لحيتَه، ثم قال: أنشدكم الله أمؤ من آلِ فرعونَ خيرٌ أم هو، فسكت القومُ، فقال عليّ رضي الله عنه: فوالله لساعةٍ من أبي بكر خيرٌ من ملءِ الأرضِ من مؤ من آلِ فرعونَ، ذاك رجلٌ يكتُمُ إيمانه، وهذا رجلٌ أعلنَ إيمانه^(٣).

(١) أخرجه البزار في مسنده (٥٨ / ١٤) (٧٥٠٧)، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٩١).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٢).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٤ / ٣) (٧٦١).

اللهم يسِّر لنا سبيلَ الأعمالِ الصالحاتِ، وهَيِّئْ لنا مِنْ أمرنا رشداً،
واجعلْ معونتكِ العظمى لنا سنداً، واحشُرنا إذا توفَّيتنا مع عبادك الصالحين،
الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين،
برحمتك يا أرحمَ الراحمين، واصلِّ على الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه
أجمعين.



(فصل)

أخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه قال: سألت ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبه بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: ﴿أَنْتَقُتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] الآية (١).

وعند ابن أبي شيبة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام، فقام إليه عقبه بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته، حتى وجب لركبته ساقطا، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو يقول: ﴿أَنْتَقُتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] (٢) الحديث.

وأخرج البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، وأبو جهل وشيبة وعتبة أبناء ربيعة وعقبه بن أبي معيط وأمية بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة، وهم في الحجر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سجد أطال السجود، فقال أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها فنكفوه على محمد صلى الله عليه وسلم، فانطلق أشقاهم عقبه بن أبي معيط فأتى به فألقاه على كتفيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، قال ابن مسعود رضي الله عنه: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم، ليس عندي منعة تمنعني، إذ سمعت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت حتى

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٥٦١).

أَلَقْتُ ذَلِكَ عَنْ عَاتِقِهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ قَرِيشًا تَسْبُهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ ثَلَاثًا، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ وَعُقْبَةَ وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ»، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِيَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بِسُوطٍ يَتَخَصَّرُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَقَالَ: مَا لَكَ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَلَّ عَنِّي» قَالَ: عَلِمَ اللَّهُ لَا أَخْلِي عَنكَ، أَوْ تَخْبِرُنِي مَا شَأْنُكَ؟، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ غَيْرَ حَمَلٍ عَنْهُ أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطْرِحَ عَلَيَّ الْفَرْثُ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَاتَى النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو الْبَخْتَرِيُّ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمَحْمَدٍ فَطْرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْثُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ السُّوْطَ فَضْرَبَهُ رَأْسَهُ قَالَ: فَثَارَ الرَّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ: وَيَحْكُمُ هِيَ لَه، إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ، وَيَنْجُو هُوَ وَأَصْحَابُهُ^(١).

وأخرج الطبراني عن يعقوب بن عُتْبَةَ بن المغيرة بن الأحنس بن شريق حليف بني زهرة مُرْسَلًا، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالصِّفَا فَأَذَاهُ، وَكَانَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصٍ وَصَيْدٍ، وَكَانَ يَوْمئِذٍ فِي قَنْصِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ - وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -: يَا أَبَا عِمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ - تَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - بَابِنِ أَخِيكَ، فَغَضِبَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، وَهُوَ مُعَلَّقٌ قَوْسَهُ فِي عُنُقِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَرِيشٍ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ حَتَّى عَلَا رَأْسَهُ بِقَوْسِهِ فَشَجَّهَ، فَقَامَ رَجَالٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى حَمْزَةَ يَمْسُكُونَهُ عَنْهُ، فَقَالَ حَمْزَةُ: دِينِي دِينُ

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٤٠ / ٥) (١٨٥٣)، والطبراني في الأوسط (٧٦٢)، وأصله عند البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

مُحَمَّدٍ ﷺ أشهد أنه رسولُ الله، فوالله لا أنثني عن ذلك، فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين، فلما أسلم حمزة رضي الله عنه عزَّ به رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعضُ أمرهم، وهابت قريشُ، وعلموا أن حمزة رضي الله عنه سيمنعُه^(١). قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عروة بن الزبير قال: ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسولِ الله ﷺ بشدة، فعمدَ إلى ثقيفِ يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفرٍ منهم سادةً ثقيفٍ، وهم أخوة: عبدُ ياليلَ بنَ عمرو، وحبیب بنَ عمر، ومسعود بنَ عمرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء، وما انتَهك قومُه منه، فقال أحدهم: أنا أسرقُ ثيابَ الكعبةِ إن كان اللهُ بعثك بشيءٍ قطُّ، وقال آخر: والله لا أكلِّمك بعد مجلسك هذا كلمةً واحدةً أبدًا، لئن كنت رسولًا لأنت أعظمُ شرفًا وحقًّا من أن أكلِّمك، وقال الآخرُ: أعجزَ اللهُ أن يُرسلَ غيرَكَ. وأفشوا ذلك في ثقيفِ الذي قال لهم، واجتمعوا يستهزؤون برسولِ الله ﷺ، وقعدوا له صقِّينَ على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارةَ فجعل لا يرفعُ رجلَه ولا يضعُها إلا رضخوها بالحجارة، وهم في ذلك يستهزؤون ويسخرون، فلما خلص من صقِّيهم وقدماه تسيلان بالدماءِ، عمَدَ إلى حائِطٍ من كرومهم فأتى ظلَّ حبلَةٍ من الكرمِ فجلس في أصلها مكروبًا موجعًا تسيل قدماه الدماء، فإذا في الكرمِ عتبةُ بنُ ربيعةَ وشيبةُ بنُ ربيعةَ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله، وبه الذي به، فأرسلًا إليه غلامهما عداسًا بنعنبٍ وهو نصرانيٌّ من أهل نينوى، فلما أتاه وضع العنب بين يديه، فقال رسولُ الله ﷺ: «بسم الله» فعجب عداسٌ، فقال له رسولُ الله ﷺ:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٤٠) (٢٩٢٦)، وانظر: مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٧).

«مِن أَيِّ أَرْضٍ أَنْتِ يَا عَدَّاسُ؟» قَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجْلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسُ: وَمَا يَدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ مَا عَرَفَ^(١).

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.



(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٢١).

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
خطبة الكتاب	٥
الباب الأول: في شهر رمضان	٧
موعظة	١٢
الفصل الأول: في التوبة من المعاصي	١٧
(فصل)	٢٢
(فصل)	٢٦
(فصل)	٣١
موعظة	٣٤
(فصل)	٣٥
(فصل)	٣٩
موعظة	٤٢
موعظة	٤٥
(فصل) فيما ينبغي التنبيه عليه والتحذير من ارتكابه.	٤٦
موعظة	٥٣
(فصل)	٥٥
١- حكم صوم رمضان	٥٥
٢- بيان من يجب عليه الصوم	٥٦
٣- ما يثبت به الشهر	٥٧

- ٤- فيما يترتب على ثبوت رؤية الهلال ٥٩
- ٥- لا يصح صيام رمضان إلا بنية من الليل ٦١
- (فصل) ٦٣
- ١- حكم صوم التطوع بنية من النهار ٦٣
- ٢- فيمن يُباح له الفطر ومن يجب عليه ٦٥
- ٣- من عرض له جنون أو إغماء ٦٧
- (موعظة) ٦٨
- (فصل) ٦٩
- ١- ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها: ٦٩
- ٢- حكم ما إذا أكل أو شرب ناسياً: ٧١
- (موعظة) ٧٣
- ٣- بعض فوائد الصيام ٧٦
- (فصل) ٨١
- ١- ذكر أشياء تخفى على بعض الناس ٨١
- ٢- ذكر أشياء تحرم ويتأكد تحريمها في حق الصائم ٨٤
- ٣- الحث على صيانة الوقت وصرفه فيما فيه النفع في الدنيا والآخرة .. ٨٧
- ٤- فيما يُستحب أن يقوله أو يفعله ٩٢
- ٥- في أحكام القضاء ١٠٠
- فائدة ١٠٢
- (فصل) ١٠٢
- (موعظة) ١٠٤
- (فصل) في بيان أنواع الكذب ١٠٧
- (فصل) في التحذير من الغيبة ١٠٩

- ١١٥..... (فصل)
- ١١٥..... أسباب الغيبة
- ١١٨..... (فصل)
- ١٢٣..... (فصل)
- ١٢٦..... موعظة
- ١٢٩..... (فصل) في صلاة التراويح
- ١٢٩..... ١- مشروعية صلاة التراويح:
- ١٣٣..... ٢- صفة أو كيفية صلاة التراويح:
- ١٣٦..... فائدة
- ١٣٨..... ٤- ما يُستحب في صلاة التراويح:
- ١٤٣..... (فصل) في صلاة الوتر
- ١٤٣..... ١- مشروعية صلاة الوتر، وحكمها
- ١٤٤..... ٢- وقت صلاة الوتر
- ١٤٨..... ٣- القراءة المستحبة فيها
- ١٤٩..... ٤- عدد ركعاتها
- ١٥٠..... ٥- دعاء القنوت في الوتر
- ١٥٣..... كتاب الفضائل
- ١٥٣..... ١- ما ورد من الحث على الاجتهاد في العشر الأخيرة من رمضان:
- ١٥٤..... ٢- ما ورد في فضل هذا العشر الأخير:
- ١٥٨..... موعظة
- ١٦٠..... ٣- ليلة القدر: فضائلها وعلاماتها
- ١٦٦..... فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة
- ١٧٥..... موعظة

- ١٧٧..... (فصل)
- ١- زكاة الفطر وما ورد من الآثار في شرعيتها ١٧٧
- ٢- فصل في وقت وجوب صدقة الفطر، والأفضل منه ١٨٠
- ٣- الواجب في الفطرة ١٨٢
- (فصل) ١٨٦
- (فصل) في تلاوة القرآن الكريم ١٩١
- ١- ما ورد من الحث على القرآن الكريم ١٩١
- ٢- ما جاء في فضل حمل القرآن: ١٩٣
- (فصل) ١٩٦
- ٣- ما ورد في فضل القرآن وتفهمه ١٩٨
- ٤- ما ورد في استحباب ترتيل القرآن الكريم ١٩٩
- (موعظة) ٢٠١
- ٥- ما ورد في عظم فضل بعض السور ٢٠٢
- ٧- ينبغي الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كتاب الله تعالى ٢٠٦
- موعظة ٢٠٩
- ٨- ما ورد في تعاهد القرآن الكريم، والترهيب من نسيانه، والإعراض عنه ٢١٢
- (فصل) ٢٢٠
- (فصل) ٢٢٥
- (فصل) ٢٢٧
- (فصل) في فضائل ذكر الله ٢٣٥
- (فصل) ٢٣٨
- (فصل) في فوائد ذكر الله تعالى ٢٤٥
- (فصل) ٢٤٨

- ٢٥٠..... (فائدة)
- ٢٥٢..... (فصل)
- ٢٥٧..... (فصل) في فضائل الاستغفار
- ٢٦٧..... (فصل)
- ٢٦٧..... في أحكام الاعتكاف في المسجد
- ٢٧٣..... (فصل) في بناء المساجد وآدابها
- ٢٧٣..... ١- ما ورد في الحث على بناء المساجد، وثوابها العظيم:
- ٢٧٥..... ٢- ما ورد في صيانة المساجد وتنظيفها:
- ٢٧٧..... ٣- ما ورد في تجنب آكل البصل والثوم الصلاة في المساجد:
- ٢٧٨..... (فصل)
- ٤- ينبغي تجنب المساجد البيع والشراء، ورفع الصوت ونُشدان الضالة فيها:
- ٢٨٠.....
- ٢٨٢..... ٥- حُرمة المبالغة في زخرفة المساجد
- ٢٨٣..... ٦- كراهة التزام موضع مُعين من المسجد للصلاة، لغير الإمام
- ٢٨٥..... (فصل) في الأيام التي يُسن أو يُكره صيامها
- ٢٨٥..... ١- ما ورد من الثواب العظيم في صوم بعض الأيام:
- ٢٩٠..... ٢- في بيان الأيام التي يُكره أو يُحرم صيامها، والنهي عن التشبه بالغير.
- ٢٩٥..... (فصل)
- ٢٩٥..... في الحث على تقوى الله ﷻ
- ٢٩٩..... وصف المؤمن المتقي
- ٣٠٦..... (موعظة)
- ٣٠٩..... كتاب الزكاة
- ٣٠٩..... ١- الأموال التي تجب فيها الزكاة:

- ٣١٣ ٢- نصاب الزكاة:
- ٣١٥ (فصل)
- ٣١٩ ٣- بيان مصارف الزكاة
- ٣٢٤ (موعظة)
- ٣٢٧ ٤- فيما ورد من الوعيد الشديد على ترك الزكاة:
- ٣٣٠ (فصل)
- ٣٣٥ (موعظة)
- ٣٣٩ (موعظة)
- ٣٤٥ (فصل) في بعض آداب الزكاة
- ٣٤٩ (موعظة)
- ٣٥٠ فصل فيمن تحل له الصدقة
- ٣٥١ التحذير من أخذ الصدقة لمن لا تحل له
- ٣٥٤ (موعظة)
- ٣٥٦ (فصل)
- ٣٥٩ (موعظة)
- ٣٦٣ فصل في صدقة التطوع
- ٣٦٣ ١- ما ورد من الآثار الشرعية في فضلها:
- ٣٦٨ (فصل)
- ٣٧١ ٢- وأفضل الصدقة جهد من مقل:
- ٣٧٢ ٣- بيان عظم ثواب الصدقة في شهر رمضان وفي الحرمين:
- ٣٧٤ ٤- الأولوية في الصدقة للأقرباء والجار وطلاب العلم:
- ٣٧٨ (فصل) في ذكر طرف من الفوائد المترتبة على أداء الزكاة
- ٣٨٦ (موعظة)

- ٣٨٩ موعظة في التحذير عن الانهماك في الدنيا ولذاتها وشهواتها
 ٣٩٢..... (فصل)
 ٣٩٨ (فصل)
 ٤٠١..... (فصل)
 ٤٠٦ (فصل)
 ٤٠٩ (فصل)
 ٤١٣ (موعظة)
 (فصل) في ذكر نماذج من صبر النبي ﷺ على الشدائد والأذى في الدعوة
 ٤٢٥ إلى الله
 ٤٣٠ (فصل)
 ٤٣٥..... فهرس الموضوعات

بِحَمْدِ اللَّهِ